أصحاب الرسول

للأطفال

الشيخ
محمود المصري
أبو عمار



مكتبة الصفا




أصحاب
الرسول
للأطفال


بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٢٢٠٥٥



أولاد الحاج عويس أمين صالح

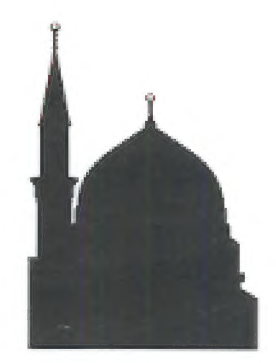
أصحاب الرسول ﷺ

للأطفال

الشيخ

محمود المصري

أبو عمار



مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

تليفون ٢٥١٤٧٣٢٠ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالإسلام هو دين الهدى والنور، الذى لا سعادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدى بهداه، وتستضىء بنوره، مخلصة فى عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابذة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له.

والأولاد أمانة فى أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير فى تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التى يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفى الأسرة الكريمة الراشدة التى تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى: ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع، يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه فى سلوكه الاجتماعى المستقيم.

ومكتبة الصفا تقوم بدورها فى توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائمًا، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن

الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث.

ونشر كتب الداعية الكبير فضيلة الشيخ «محمود المصرى».

نقدم اليوم دُرة تضاف إلى مطبوعاتنا وهو كتاب «أصحاب الرسول ﷺ للأطفال» لفضيلة الداعية محمود المصرى.

استطاع فيه - حفظه الله - أن يتحدث مع الأطفال بلغة عصرية جميلة.

يعلمهم فيه أصول دينهم، عن طريق القصص والحكايات.

وسترى أخى القارئ الكريم مدى السلاسة والسهولة التى تميزت بها عبارات هذا الكتاب حتى يناسب عقول رجال المستقبل.

ونعدكم أخى القارئ الكريم بمزيد من المطبوعات فى كافة المجالات، التى نرجو من الله عز وجل أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[(١)].

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾[(٢)].

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾[(٣)].

* حبايبى الحلوين: لقد قدمت لكم مجموعة من القصص لكى نعرف تاريخنا الإسلامى المجيد.

فبدأت بكتاب قصص الأنبياء للأطفال ثم كتاب قصص القرآن وسيرة الرسول ﷺ وقصص الرسول ﷺ... فكان لابد أن أكتب لكم كتابًا نتعرف من خلاله على أصحاب الرسول ﷺ فكان هذا الكتاب الذى

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠- ٧١).

بين أيديكم فهو كتاب كتبتـه لحبايبى الحلوين بأسلوب جميل وبسيط حتى تعرفوا سـيرة أصحاب الرسول ﷺ الذين هم أفضل الناس بعـد الأنبياء والمرسلين.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة أصحاب الرسول ﷺ عسى الله أن يجمعنا بهم فى الفردوس الأعلى.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

عمو / محمود المصرى

أبو عمار

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن نلتقى مع أول صحابى من أصحاب الرسول ﷺ بل وأعظم صحابى من أصحاب الرسول ﷺ.

إنه رجلٌ عظيم القدر رفيع المنزلة نَصَر الرسول ﷺ يوم خذله الناس... وآمن به يوم كفر به الناس.... وصدَّقه يوم كذَّبه الناس.

إنه أفضل الصحابة بلا خلاف... ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على رجل خير منه.

إنه أول مَن آمن من الرجال على الصحيح... إنه مَن وُزن إيمانه بإيمان الأمة فرجح إيمانه.

إنه الورع الحيى.. الحازم الرحيم التاجر الكريم... صاحب الفطرة السليمة من أدران الظلام والجاهلية.

كان شبيهًا بالرسول ﷺ.. وأنعِم به من شبَه.

* إنه الرجل الذى بذل نفسه وماله لخدمة الإسلام والمسلمين.

إنه الرجل الذى اختاره النبى ﷺ ليكون صاحبه فى أعظم حدث فى العالم كله.. ألا وهو الهجرة من مكة إلى المدينة.

إنه الرجل الذى أعاد الأمة إلى الإسلام بعد أن ارتد أكثر العرب بعد موت النبى ﷺ.

إنه الرجل الذى انتشر الإسلام فى عهده فى أكثر بقاع الأرض.

إنه أول من جمع القرآن كله فى مصحف واحد.

إنه الزاهد العابد الخاشع المتواضع المجاهد الكريم.

إنه أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع السيرة العطرة لهذا الصحابى الجليل.

من هنا نبدأ

وُلِد أبو بكر الصِّدِّيق بعد عام الفيل بعامين فى قبيلة بمكة تُسمى (تَيم)... فهو أصغر من النبى ﷺ بعامين لأن النبى ﷺ وُلِد فى عام الفيل.

وكان أبو بكر قد تربَّى على مكارم الأخلاق منذ صغره فكان حَسَنَ الخُلق وكان يُحسن الكتابة والقراءة وكان أعلم أهل قريش بأنساب العرب.

لم يعرف اللهو أبدًا ولم يقع فى المعاصى التى كان أكثر الناس يقعون فيها... وها هو ﷺ تراه قد حرَّم على نفسه الخمر فى الجاهلية فلم يشربها قط لا فى الجاهلية، ولا فى الإسلام وذلك أنه مرَّ وهو فى الجاهلية برجل سكران يضع يده فى العذرة - الغائط- يدنيها من فيه، فإذا وجد ريحها صَدَف عنها، فحرَّمها أبو بكر على نفسه.

* ولم يسجد لصنم قط:

وها هو يحكى بنفسه لبعض الصحابة ويقول لهم: ما سجدت لصنم قط وذلك أنى لما كبرت أخذنى والدى (أبو قُحافة) إلى بيت الأصنام وقال لى: يا بُنى هذه آلهتك فاسجد لها... ثم انصرف أبى وتركنى فما كان منى إلا أن اقتربت من الصنم وقلت له: إنى جائع فأطعمنى فلم يُجبنى... فقلت له: إنى عارٍ فاكسُنى فلم يُجبنى فألقيت عليه صخرة فسقط على وجهه فانكسر... فعُدت إلى البيت وقد تيقنت أن تلك الأصنام ما هى إلا أحجار لا تنفع ولا تضر.

* وكان أبو بكر محبوبًا فى قريش لصدقه وأمانته وأخلاقه العذبة الرقيقة

فكان رجال قريش يأتونه ويألفونه ويحبونه.

* وكان أبو بكر من قبيلة ضعيفة قليلة العدد والعُدة والمال ولذلك لم يتولوا أي عمل لقريش. . وكان أبو بكر يتاجر في ماله القليل حتى أصبح بعد ذلك من الأغنياء بفضل الله أولاً ثم بفضل صدقه وأمانته.

فكان يعطف على الفقير والمسكين واليتيم وينصر الضعفاء والمظلومين فازداد حُب الناس له يومًا بعد يومٍ حتى أصبح من أحب الناس إلى أهل قريش بعد النبي محمد ﷺ الذي كان معروفًا بأنه الصادق الأمين.

إسلامه رضي الله عنه

كان أبو بكر صديقًا للنبي ﷺ قبل البعثة فكان أبو بكر يحب النبي ﷺ حبًا جمًّا وكان النبي ﷺ يبادله هذا الحب.

فقد كانا متشابهين في الصدق والأمانة وفعل الخيرات واللين والرحمة.

وتمر الأيام وينزل الوحي على النبي ﷺ ويُبعث النبي ﷺ برسالة الإسلام ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور.

فما كان من النبي ﷺ إلا أن عرض الإسلام على زوجته خديجة فأسلمت ثم عرض الإسلام على أبي بكر فلم يتردد لحظة واحدة بل أسلم في التو واللحظة. . . فهو الذي يعرف صدق النبي ﷺ وأمانته.

ولذلك لما أخبره النبي ﷺ بأن الله قد أرسله ليكون خاتم الأنبياء قال له أبو بكر: والله ما جربت عليك كذبًا قط.

وما إن أسلم أبو بكر رضي الله عنه حتى حمل أمانة الدين على أعناقه وخرج يدعو الناس إلى دين الله جل وعلا فأسلم على يديه ستة من العشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة فيما بعد.

فيأتي الصدِّيق رضي الله عنه يوم القيامة وهم في ميزان حسناته.

بل وأسلم على يديه خلقٌ كثيرٌ غير هؤلاء الأطهار الأبرار.

وهكذا يجب أن يكون الداعية... يحمل همَّ الناس من حوله ويخشى عليهم من عذاب الله ويأخذ بأيديهم إلى مرضاة الله وجنته.

ومن المناقب الجميلة أن الذى لقَّب أبا بكرٍ (عتيقًا) هو الحبيب المصطفى الصادق المصدوق ﷺ.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: إني لفى بيت رسول الله ﷺ وأصحابه فى الفناء، وبيني وبينهم الستر إذ أقبل أبو بكر فقال رسول الله ﷺ: «من سرَّه أن ينظر إلى عتيق من النار، فلينظر إلى هذا»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر الصديق على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «أبشر، فأنت عتيق الله من النار» قلت: فمن يومئذ سُمى عتيقًا[٢].

صبره على الإيذاء

ولما علمت قريش بإسلام أبي بكر آذوه إيذاءً شديدًا وأذاقوه من العذاب ألوانًا.

* وها هو موقف من المواقف التي تعرَّض لها أبو بكر رضي الله عنه.

ففى يوم من الأيام اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً فألحَّ أبو بكر على النبي ﷺ فى أن يُعلنوا إسلامهم أمام قريش فقال له النبي ﷺ: يا أبا بكر إنَّا قليل.

فلم يزل أبو بكر يُلح على النبي حتى وافقه رسول الله ﷺ.

ودخل النبي ﷺ وأصحابه المسجد وقام أبو بكر فى الناس خطيبًا يدعو

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ١٧٠)، والحاكم (٣/ ٦٤، رقم ٤٤٠٤) وقال: صحيح الإسناد.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٦٧٩) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله فى الصحيحة (١٥٧٤).

الناس إلى الله جل وعلا فقام المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوهم ضربًا شديدًا... وكان النصيب الأكبر من الضرب لأبي بكر فقد ضربه عتبة بن ربيعة ضربًا شديدًا حتى اختفت معالم وجهه بعد أن تورَّم وانتفخ.

وجاء بنو تيم (قوم أبي بكر) وأنقذوه من قريش وحملوه حتى أدخلوه منزله وهم لا يشكُّون في أنه قد مات فعادوا إلى قريش وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ابن ربيعة.

ثم عادوا إلى أبي بكر وحاولوا أن يكلموه لكنه كان مُغْمىً عليه من شدة الضرب فما تكلم إلا آخر النهار.

فكان أول كلمة تخرج من فمه أنه قال: ما فعل رسول الله ﷺ.

فقالت له أمه: والله يا بُني لا علم لي بصاحبك.

فقال لها أبو بكر: اذهبي إلى أم جميل فاطمة بنت الخطاب.

فاسأليها عنه... فخرجت أمه وذهبت إلى فاطمة بنت الخطاب وقالت لها: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله.

فظنت فاطمة أنها جاسوسة جاءت إليها من عند قريش.

فقالت لها: لا أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ذهبت... قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا فدنت أم جميل وأعلنت الصياح، وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسقٍ وكفرٍ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها.

قالت: سالمٌ صالحٌ. قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم.

قال: فإن لله عليَّ ألا أذوق طعامًا، ولا أشرب شرابًا، حتى آتي رسول الله ﷺ.

فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل، وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ، فقبّله، وأكبَّ عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس! إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع لها عسى أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت[1].

* بل وفي مرة أخرى أخذت قريش تضرب النبي ﷺ ضربًا شديدًا وهم يقولون له: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا؟ فلم يستطع أحدٌ أن يقترب من النبي ﷺ إلا أبو بكر فقد أقبل وهو يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول: «ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم».

* وها هو يرى عقبة بن أبي معيط في فناء الكعبة قد أخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلفَّ ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[2، 3].

أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا

وذات مرة يمر أبو بكر رضي الله عنه فيجد بلالاً رضي الله عنه يُعذَّب في رمضاء مكة، وقد هانت عليه نفسه في سبيل الله وهو يردد هذا النداء الخالد: أحدٌ . . . أحدٌ.

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٢٩- ٣٠).

(٢) سورة غافر: الآية: (٢٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٨٥٦) كتاب المناقب.

فيذهب أبو بكر في التو واللحظة ويُصفّي التجارات ويأتي بالأموال ليشتري العبيد والأرقاء ليعتقهم خشية أن يُفتنوا في دينهم.

* وكان بلال من بين العبيد الذين اشتراهم أبو بكر وأعتقهم ابتغاء مرضاة الله جل وعلا.

لقد ذهب أبو بكر إلى أُمية بن خلف وقال له: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ ألا ترحمه من هذا العذاب؟

فقال له أمية: أنت الذي أفسدته عليَّ فإن كنت تقدر أن تُنقذه فافعل....

فاشتراه أبو بكر بسبع أواقٍ من ذهب.

فقال له أمية: لو أبيت إلا أوقية واحدة لبعته لك.

فقال له أبو بكر: والله لو أبيت إلا مائة أوقية من الذهب لاشتريت منك بلالاً.

فكان عمر رضي الله عنه إذا ذُكر عنده أبو بكر قال: «أبو بكر سيدنا وأعتق بلالاً سيدنا»[1].

فقام جماعة من المنافقين وقالوا: والله لقد أعتق أبو بكرٍ بلالاً ليدٍ كانت لبلال عنده... أي أنه يردّ له معروفًا قديمًا.

فسكت أبو بكر وتولّى الله عز وجل الدفاع عن أبي بكر فأنزل قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾[2].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٤) المناقب.
(٢) سورة الليل: الآيات: (١٧-٢١).

أرضى بجوار الله عز وجل

وكان إيذاء قريش للنبى ﷺ وأصحابه يزداد يومًا بعد يوم فلما رأى النبى ﷺ ذلك أشار على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فإن فيها ملكًا لا يُظلم عنده أحد.

فما كان من أبى بكر إلا أن خرج مهاجرًا إلى الحبشة حتى وصل إلى مكان اسمه (برك الغماد) فقابله رجل اسمه (ابن الدغنة) وهو سيد القارة فقال له: إلى أين أنت ذاهب يا أبا بكر.

فقال أبو بكر: لقد آذانى قومى حتى خرجت لأعبد ربى فى مكان آخر.

فقال له ابن الدغنة: لا يا أبا بكر.... فإن مثلك لا ينبغى أن يُخرجه قومه فإنك تصل الرحم وتساعد المساكين والضعفاء وتُكرم الضيف وتُعين على نوائب الحق فارجع فأنت فى حمايتى وجوارى.

وأخذه ابن الدغنة وقال لقريش: إن أبا بكر لا ينبغى أن يخرج من بلده أبدًا فإنه يصل الرحم ويساعد المساكين والضعفاء ويكرم الضيف ويعين على نوائب الحق وقد جعلته فى جوارى وحمايتى.

فقالوا له: يا ابن الدغنة اجعل أبا بكر يعبد ربه فى بيته ويفعل ما يشاء ولكن لا يستعلن بذلك حتى لا يفتن نساءنا وأولادنا فيُسلموا معه.

فقال ابن الدغنة ذلك لأبى بكر فوافق فى بداية الأمر وأخذ يعبد ربه فى بيته ولا يستعلن بصلاته ولا قراءته. ثم بنى بعد ذلك مسجدًا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ فيه.... فكان الأولاد والنساء يزدحمون عليه ليشاهدوه وكان أبو بكر رجلاً رقيق القلب كثير البكاء....

فخشى أشراف قريش أن يتأثر الأولاد والنساء ببكاء أبى بكر فيُسلموا فأرسلوا إلى ابن الدغنة وقالوا له: إنَّا كنا قد امتنعنا عن إيذاء أبى بكر لأنه أصبح فى

جوارك وحمايتك وكنت قد وعدتنا أن يبقى أبو بكر فى بيته يعبد ربه سراً لكنه بنى مسجداً واستعلن بصلاته وقراءته فإما أن تنهاه عن ذلك وإما أن يرد إليك جوارك ولا يبقى فى حمايتك فإنَّا لا نحب أن نؤذيه وهو فى حمايتك.

فذهب ابن الدغنة إلى أبى بكر وقال له: يا أبا بكر... قد علمت ما تعاهدنا عليه فإما أن تعبد الله سراً وإما أن ترد إلىّ جوارى فلا تكون فى حمايتى فإنى أخشى أن تتحدث العرب أنه قد أُوذى رجل فى جوارى وحمايتى.

فقال أبو بكر: لن أعبد الله سراً بل سأعبده علانية وأرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل.

موقفه العظيم في قصة الإسراء والمعراج

وفى ظل هذه الأحزان الشديدة التى تعرض لها النبى ﷺ كان من رحمة الله بالنبى ﷺ أن أكرمه برحلة الإسراء والمعراج لتكون تكريمًا له ﷺ، وتسلية له عما أصابه من المصائب والأحزان ليزداد يقين النبى ﷺ بنجاح دعوته وتبليغ رسالة ربه جل وعلا والنصر على أعدائه.

وفى هذه الرحلة أطلعه الله على أشياء عظيمة من ملكوته العظيم حتى امتلأ قلب النبى ﷺ بالنور والرضا والطمأنينة.

ولما عاد النبى ﷺ إلى مكة وحكى لبعض أصحابه عن تلك الرحلة وصل الخبر لكفار قريش فسخروا من النبى ﷺ وقالوا له: أتزعم أنك أُسرى بك من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُرج بك إلى السماء السابعة ثم عدت مرة أخرى فى جزء يسير من الليل.

فقال النبى ﷺ: «نعم».

فقال أحدهم: فهل تستطيع، أن تصف لنا المسجد الأقصى؟

فوافق النبي ﷺ على ذلك... وبدأ يصف لهم المسجد لكنه لم يستطع أن يُكمل الوصف لأنه رأى المسجد ليلاً ولم يكن قد رأى كل شيء بوضوح... فأمر الله الملائكة فجاءت بالمسجد الأقصى حتى وضعته أمام النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ ينظر إليه ويصفه لكفار قريش وهم يتعجبون من دقة الوصف رغم أنهم يعلمون أن النبي ﷺ لم يذهب إلى هناك.

ولما سمع المشركون عن رحلة الإسراء والمعراج ذهبوا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقالوا له: إن محمداً يزعم أنه أُسرى به الليلة إلى المسجد الأقصى في جزء من الليل ونحن نقطع هذه المسافة في شهر كامل فماذا تقول يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: إن كان النبي ﷺ قال ذلك فقد صدق إني لأصدقه في خبر السماء أفلا أصدقه في بيت المقدس.

* فلما رأى النبي ﷺ تكذيب كفار قريش له، قال لجبريل عليه السلام: «يا جبريل إن قومي لا يصدقوني».

فقال جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصِّديق.

موقفه الخالد

في هجرة النبي ﷺ إلى المدينة

وكان إيذاء المشركين للنبي ﷺ وأصحابه يزداد يومًا بعد يوم فلما رأى النبي ﷺ ذلك أذن لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة.

وبعد هجرة أصحاب الرسول ﷺ أصبحت مكة خاوية من المؤمنين ولم يبقَ إلا عددٌ قليل ممن حبستهم قريش وبقى أبو بكر الصديق وعلى بن

أبي طالب ورسول الله ﷺ فقد كان ينتظر الأذن من الله جل وعلا بالهجرة.

وبدأت هجرة الرسول ﷺ

وذهب النبي ﷺ إلى أبي بكر وأخبره بأن الله قد أذن له بالهجرة ففرح أبو بكر حتى بكى بكاء شديداً من شدة الفرح.

وأعدَّ أبو بكر الراحلتين وأعدَّ الزاد والماء وبدأت رحلة الهجرة التي كانت أعظم حدث في تاريخ الإسلام والمسلمين.

وخرج النبي ﷺ من مكة ومعه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه حتى وصلا إلى غارٍ قريب من مكة.. وهو غار «ثور» فدخل أبو بكر الغار حتى يطمئن على أنه ليس فيه شيء يؤذي النبي ﷺ.

فلما دخل إلى الغار مسحه ونظفه ووجد في جدار الغار بعض الفتحات فقام وسدَّها كلها ما عدا واحدة فما كان منه إلا أن جلس على الأرض وسدَّها بقدمه ثم نادى على الرسول ﷺ ليدخل الغار آمنًا مطمئنًا.

ودخل النبي ﷺ وأراد أن ينام ويستريح فوضع رأسه على رجل أبي بكر ونام...

وفي تلك اللحظة جاء ثعبان أو عقرب ولدغ أبا بكر ومع ذلك لم يوقظ الرسول ﷺ من نومه واشتد الألم على أبي بكر فبكى بلا صوت ونزلت دموعه على خد النبي ﷺ فاستيقظ النبي ﷺ وسأله: «ما بك يا أبا بكر؟».

قال: لُدغت يا رسول الله.

فقال النبي ﷺ: «ولماذا لم تخبرني؟».

فقال أبو بكر: خشيت أن أوقظك وأنت بحاجة إلى النوم لكي تستريح يا رسول الله.

فقام النبي ﷺ فبصق على قدم أبي بكر فشُفيت بإذن الله ودعا له النبي ﷺ بالجنة.

* وفي هذه اللحظة كان المشركون يتتبعون آثار أقدام الرسول ﷺ وصاحبه... وبحثوا عنهما في كل مكان حتى وصلوا إلى الغار الذي كان فيه النبي ﷺ وأبو بكر.

فنظر أبو بكر إلى أقدام المشركين فقال: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا.

فقال له النبي ﷺ بكل ثقة ويقين: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[1].

* لقد حفظ الله نبيه ﷺ وأعمى أبصار المشركين عن رؤية النبي ﷺ وصاحبه رغم أنهم كانوا على بُعد أمتار قليلة منهما.

* ومكث النبي ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاثة أيام.

وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتي بالطعام إليهما وكانت قد شقّت نطاقها[2] نصفين فجعلت الطعام في أحدهما وربطت وسطها بالآخر ولذلك سماها النبي ﷺ بذات النطاقين وقال لها: «أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة».

* وكان عبد الله بن أبي بكر يأتي كل ليلة ويبيت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر فإذا أصبح الصباح عاد إلى مكة وكأنه كان فيها لم يخرج منها حتى يستمع إلى كلام المشركين وما يدبرونه للنبي ﷺ وصاحبه ثم يعود إلى الغار في الليل ليخبر النبي ﷺ بكل ما سمعه.

* وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يخرج بالأغنام لتمسح آثار أقدامها

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) النطاق: هو حزام تربطه المرأة على وسطها.

آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر فلا يعرف أحدٌ شيئًا عن ذهابه إلى النبي ﷺ ولا يشك أحدٌ في أمره.

* وكان النبي ﷺ وأبو بكر قد استأجرا رجلاً كافراً اسمه (عبد الله ابن أُريقط) ليدلهما على الطريق فقد كان ماهراً بالطريق يحفظ طُرق الصحراء وشعابها.

وكانا قد دفعا إليه الراحلتين وواعداه أن يأتي إليهما بالراحلتين في غار ثور بعد ثلاثة أيام.

* ولما وصل عبد الله بن أُريقط انطلق معه النبي ﷺ وأبو بكر وعامر بن فهيرة... وبدأت الرحلة إلى المدينة المنورة.

محبة تفوق الخيال

* وكان أبو بكر يسير أمام النبي ﷺ مرة وخلفه مرة وعن يمينه مرة وعن يساره مرة فتعجب النبي ﷺ وقال: «ما لك يا أبا بكر؟».

فقال أبو بكر: يا رسول الله أذكر الطلب - أي الكفار الذين يطاردونك - فأمشي خلفك ثم أذكر الرَّصَد - أي الجواسيس الذين يرصدونك ويُعدون لك الكمائن - فأمشي أمامك وعن يمينك وعن شمالك فأنا أخشى عليك منهم يا رسول الله.

فقال له النبي ﷺ: «يا أبا بكر لو كان هناك أذى ينتظرني لأحببت أن يكون بك دوني؟».

فقال أبو بكر: أجل يا رسول الله... فلئن قُتلتُ أنا فإنما أنا رجلٌ واحد.. ولئن قُتلت أنت ضاعت الأمة كلها.

* وبينما هم في الطريق إذ أحسَّ النبي ﷺ بشيء من التعب فنظر أبو بكر حتى رأى ظل شجرة ففرش للنبي ﷺ تحت ذلك الظل ثم قال للنبي

ﷺ: اضطجع هنا يا رسول الله... فاضطجع النبي ﷺ.

ثم ذهب أبو بكر يبحث ويرى إذا كان هناك أحدٌ من المشركين يتبعهم فوجد راعي غنم فسأله: يا غلام هل عندك من لبن؟ قال: نعم. فأمره أبو بكر أن يحلب له بالأجر ثم أمره أن ينفض ضرعها من الغبار وأن ينفض كفيه من التراب ثم حلب اللبن وأخذه أبو بكر وانتظر حتى استيقظ النبي ﷺ فقال له: اشرب يا رسول.. فشرب.. ثم قال له: اشرب.

يقول أبو بكر: فشرب النبي ﷺ حتى ارتويت... يا له من حب لا يخطر على قلب بشر.

موقفه العظيم يوم بدر

لقد شهد أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها وثبت معه ثباتًا لا نظير له.

ففي يوم بدر استشار رسول الله ﷺ أصحابه؛ فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأجاد... وكانت المعركة.

يقول علي رضي الله عنه: أشجع الناس أبو بكر... إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يصل إليه أحدٌ من المشركين، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يقترب منه أحدٌ إلا ضربه بالسيف.

* بل لقد حدث موقف عجيب يوم بدر... كان عبد الرحمن بن أبي بكر مشركًا في ذلك الوقت وكان يحارب في صفوف المشركين وكان أبوه (أبو بكر) في صفوف المسلمين... فكان كلما رأى أباه قريبًا منه ابتعد عنه خشية أن يقاتل أباه.

وتمر الأيام ويُسلم عبد الرحمن بن أبي بكر ويقول لأبيه: يا أبت لقد

رأيتك يوم بدر فكنت أبتعد عنك خشية أن أقتلك .

فقال له أبو بكر : أما أنا فلو رأيتك يومها لقتلتك .

وهذه صورة عالية من الولاء والبراء فقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [2] .

بل ستعجب عندما تعلم أن الملائكة كانت تقاتل مع أبي بكر رضي الله عنه في يوم بدر .

فقد قال النبي ﷺ لعلي وأبي بكر : «مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل... وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال» [3] .

ثباته في باقي الغزوات والمشاهد

وثبت أبو بكر رضي الله عنه ثبوت الجبال يوم أُحد حول رسول الله ﷺ يدافع .

وبعث رسول الله ﷺ سرية إلى بني فزارة سنة سبع للهجرة بقيادة أبي بكر رضي الله عنه فوردت الماء ، وغنمت ، وسَبَتْ ، وعادت سالمة .

وفي غزوة تبوك ساعة العُسرة كانت راية المسلمين بيد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

---

(١) سورة التوبة : الآية : (٢٤) .

(٢) سورة المجادلة : الآية : (٢٢) .

(٣) أخرجه أحمد (١/١٤٧) ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣٢٤١) .

ويوم حُنين أُعجب المسلمون بكثرتهم فلم تُغنهم شيئًا، وولوا مدبرين بعد أن كمن لهم أعداء الله في شعاب الوادي، وكان أول من ثبت حول رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه[1].

موافقته للحبيب ﷺ يوم الحديبية

وها هو الصديق رضي الله عنه في موقف من أعظم المواقف التي كاد أصحاب النبي ﷺ أن يعترضوا فيه على بنود الصلح التي وضعها المشركون.

ولكن الصدِّيق رضي الله عنه الذي كان من أكثر الناس تشبهًا بالحبيب ﷺ في تفكيره وشفافية قلبه، بل وفي كلامه ينظر إلى المواقف ببصيرة عميقة وشفافية ليست لها حدود.

ففي الوقت الذي رأى فيه الصحابة رضي الله عنهم أن شروط قريش كانت جائرة، وأن موقف المسلمين موقف ذلة كان الصدِّيق يرى هو والحبيب ﷺ أن الموقف موقف عزة وقوة.

وهنا قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه معترضًا على هذا الموقف وعلى تلك الشروط الجائرة، فقال: قلت لرسول الله ﷺ: ألست نبي الله حقًا؟!

قال: «بلى».

قلت: ألسنا على حق وعدونا على الباطل؟!.

قال: «بلى».

قلت: فَلِم نُعطي الدَّنِيَّة في ديننا إذًا؟!

قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري».

قلت: أوَ لست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟

قال: «بلى، فأخبرتك أنَّا نأتيه العام؟».

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٦٩).

قلت: لا.

قال: «فإنك آتيه ومُطوِّفٌ به».

قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبيَّ الله حقًا؟

قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟

قال: بلى.

قلت: فَلِمَ نعطى الدنية فى ديننا إذًا؟

قال: أيها الرجل، إنه رسول الله ﷺ ليس يعصى ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه (أى: اتبع قوله، وفعله، ولا تخالفه) فو الله إنه لعلى الحق.

قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟

قال: بلى أفأخبرك أنك آتيه العام؟

قلت: لا. قال: فإنك آتيه، ومطوف به[1].

فيا لها من قلوبٍ طاهرة تشابهت وتلاقت على الحُب فى الله جل وعلا.

إن من تأمل فى كلمات الصديق رضي الله عنه لوجد أنها هى نفس الكلمات التى قالها النبى ﷺ.

فيا لها من موافقة بين تلك الأرواح الطاهرة النقية التقية الصادقة.

إسلام والد أبى بكر يوم فتح مكة

وها هى اللحظة التى كان ينتظرها أبو بكر سنواتٍ طويلة وهى اللحظة التى أسلم فيها والده ودخل فى دين الله جل وعلا.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٧٣١) كتاب الشروط - باب الشروط فى الحرب.

فإنه لما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد أتاه أبو بكر رضي الله عنه بأبيه يُمسك بيده فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه».

قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه.

قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلم»، فأسلم(١).

موقفه الخالد عند تجهيز جيش العسرة

لقد كان أبو بكر دائمًا سبَّاقًا إلى الخير.

ففي غزوة تبوك دعا النبي ﷺ أصحابه لتجهيز الجيش فجاء كل رجل بما يستطيع أن يأتي به من المال... لكن أبا بكر جاء بماله كله ولم يترك لنفسه ولا لأولاده درهمًا ولا دينارًا.

* وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحكي لنا هذا الموقف.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله أن نتصدق فوافق ذلك مني مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يومًا - فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله.

قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقك إلى شيء أبدًا(٢).

* ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي سبق فيها أبو بكر كل من حوله إلى فعل الخيرات... فقد خرج النبي ﷺ ذات مرة على أصحابه وقال

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٤٦)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٦٧٨) كتاب الزكاة، والترمذي (٣٦٧٥) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٦٠٢١).

لهم: «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟». قال أبو بكر: أنا. قال: «من تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر رضي الله عنه أنا. قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «من عاد منكم اليوم مريضًا» قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»[1].

* بل وفي يوم من الأيام رأى عمر بن الخطاب امرأة كبيرة في السن فأراد أن يساعدها وإذا به يجد كل يوم من يسبقه إليها ويساعدها ويأتيها بالطعام والشراب فقد كانت المرأة عمياء لا تستطيع أن تخدم نفسها... فاختبأ عمر ليرى من الذي يسبقه إليها كل يوم فإذا به يرى أبا بكر خارجًا من عندها فبكى عمر وقال: والله لا أسابقك إلى خيرٍ أبدًا يا أبا بكر.

منزلة الصديق عند النبي ﷺ

وتعالوا بنا لنعرف منزلة أبي بكر الصديق عند النبي ﷺ قبل أن نُكمل قصة الصدّيق رضي الله عنه.

* ففي يوم من الأيام حدث شيء بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأراد أبو بكر أن يعتذر لعمر فلم يقبل اعتذاره فانصرف أبو بكر ثم ندم عمر بعد ذلك وأراد أن يصالح أبا بكر فذهب إليه في بيته فلم يجده فلقد كان أبو بكر قد ذهب إلى النبي ﷺ وحكى له ما حدث وأن عمر لم يقبل اعتذاره.

فلما جاء عمر ووجد أبا بكر عند النبي ﷺ غضب النبي ﷺ مما فعله عمر فأشفق (أبو بكر) على (عمر) وقال: يا رسول الله أنا الذي أخطأت في حقه أنا الذي ظلمته... فنظر النبي ﷺ إلى عمر وقال له: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله فهل

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٢٨) كتاب فضائل الصحابة.

أنتم تاركو لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟». فما أوذي بعدها [١].

وقال رسول الله ﷺ: «إن أمنَّ الناس عليَّ في صُحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر» [٢].

وقال النبي ﷺ: «ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه بها إلا الصدِّيق، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مالُ أحد قط ما نفعني مالُ أبي بكر، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله» [٣].

* بل ها هو النبي ﷺ يُبشر أبا بكر بأنه يُدعى يوم القيامة من أبواب الجنة الثمانية... قال ﷺ: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام، وباب الريان» فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدعَى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: وهل يُدعَى منها كلها أحدٌ يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر» [٤].

وفي رواية قال: «أجل وأنت هو يا أبا بكر».

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٦١) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٤) كتاب فضائل الصحابة، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٦٦٢) كتاب المناقب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٨٩٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٧) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٢٧) كتاب الزكاة.

آخر أيام الحبيب ﷺ

وعاش أبو بكر أجمل أيام عمره في رحاب الحبيب ﷺ الذي كان يحبه حبًا جمًا.

وفي يوم من الأيام خرج النبي ﷺ في السنة العاشرة إلى حجة الوداع وكان أبو بكر في صحبته.

ثم عاد النبي ﷺ بعدها إلى المدينة وأمر بإغلاق كل الأبواب التي تُفتح على المسجد إلا باب أبي بكر ليعرف الناس قدره ومنزلته.

* وأمر الرسول بتجهيز جيش لإنفاذه إلى أرض الروم، وجعل فيه كبار المهاجرين والأنصار، ومنهم «أبو بكر» و «عمر»، وجعل قيادته للفتى «أسامة بن زيد» - الذي لم يتم العشرين من عمره، وتم تجهيز الجيش وعسكر بالجرف (إحدى ضواحي المدينة) حتى يأتيه الإذن من الرسول بالتحرك، ولكن الرسول مرض واشتد عليه مرضه فانتظر الجيش، وقال ﷺ: «مُروا أبا بكر فليُصلِّ بالناس». وجاء اختياره للصديق ليقوم مقامه في الصلاة بالمسلمين لأنه ﷺ كان يعلم عمق إيمان الصديق، ومدى حب المسلمين له، فلما قال الرسول ذلك قالت «عائشة بنت أبي بكر» رضي الله عنها: إن أبي رجل رقيق لا يستطيع أن يُسمع الناس القرآن من كثرة بكائه؛.. حيث قصدت رضي الله عنها أن لا يستخلفه النبي من بعده بفهمها العميق، ولكن النبي ﷺ أصر على ذلك وقال ﷺ: «مروا أبا بكر فليُصلِّ بالناس». فقالت السيدة «عائشة» مثلما قالت من قبل، فغضب النبي ﷺ وقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**».

وصلى «الصديق» بالناس؛ فكان أول من صلى بالمسلمين عامة في حياة النبي ﷺ فرضي به المسلمون كما رضيه الله ورسوله[1].

---

(١) الخلفاء الراشدون/ أ. سامي عبد الرؤوف، أ. عبد الحسيب الحتاتي (ص: ٩) ط. مكتبة سفير.

* وفاضت زوج الرسول إلى بارئها جل وعلا.

وتسرب النبأ الفادح من البيت المحزون.

وشعر المؤمنون أن آفاق المدينة أظلمت، لا يدرون ما يفعلون.

وأقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مُغشّى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبّ عليه فقبّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد متّها.

ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر.

فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر.

فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١).

قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

استخلاف أبي بكر رضي الله عنه

وبعد وفاة النبي ﷺ اجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة رسول الله ﷺ . . . وحدث خلاف بين الصحابة إلى أن اجتمع الناس على مبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية رقم (١٤٤).

وفي اليوم التالي لوفاة الرسول ﷺ صعد عمر بن الخطاب المنبر وخطب في الناس بعد أن حمد الله وأثنى عليه بقول: «فإن يك محمد قد مات فإن الله جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به فاعتصموا به تهتدوا وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار فإنه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا إليه فبايعوه» فقام الناس فبايعوه البيعة العامة، وصعد الصدِّيق المنبر ليوضح أساس حكمه القائم على العدل والمساواة والسير على نهج الرسول، ليضع بذلك قاعدة ومنهجًا لمن يأتي بعده من الحكام الراغبين في إقامة العدل ونشر المساواة؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إني قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوِّموني.. الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، لا يَدَعُ قومٌ الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمَّهم الله بالبلاء.. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

بعث جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه

وما إن انتهى الصحابة من دفن رسول الله ﷺ ومبايعة أبي بكر رضي الله عنه حتى قام الصديق لإنفاذ جيش أسامة إلى أرض الروم تنفيذًا لوصية رسول الله ﷺ.

وكان في ذلك الوقت قد ارتدت قبائل كثيرة من العرب عن الإسلام بعد وفاة الرسول... بل ظهر منهم من يدَّعي النبوة كالأسود العنسي ومسيلمة الكذاب... ومنهم من لم يرتد عن الإسلام لكنه أصر على منع الزكاة.

كان بعض الصحابة عندما وصلت هذه الأخبار قد اقترح على الصديق

أن يعيد جيش أسامة ولكنه رفض وقال: «والله لا أحلّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ، والذى نفس أبى بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته».

وكان الصديق يهدف من مقولته تلك أن يؤكد للمسلمين أنه سائر على منهج رسول الله، وأمر الصديق باستعداد الجيش للخروج وخرج رضي الله عنه سيراً على الأقدام ليكون فى وداع الجيش، وكان أسامة راكبًا فرسه فقال أسامة: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل فقال الصديق: والله لا تنزل ووالله لا أركب، وما علىَّ أن أُغبِّر قدمى فى سبيل الله تعالى.

واستأذن أبو بكر أسامة أن يترك له عمر بن الخطاب ليعينه ويشير عليه فى أمور المسلمين فأذن له.

ومضى أسامة بجيشه حتى وصل إلى حدود الشام فأغار على الروم؛ ففر جنودهم، وقد ملأ الرعب قلوبهم، وحقق المسلمون بقيادة أسامة بن زيد انتصارًا عظيمًا على الروم.

وكان لانتصار أسامة أثر كبير فى إرهاب المرتدين ومانعى الزكاة.

وقرر الصديق محاربتهم فاستشار الصحابة فى الأمر فأشار عليه بعضهم أن يتفاوض مع مانعى الزكاة وألا يقاتلهم، فقال له عمر بن الخطاب: علام نقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»، فردَّ الصديق غاضباً: «أينقص الدين وأنا حى؟» ثم قال: «والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليه، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة». فاقتنع الصحابة برأى أبى بكر، ثم قام الصديق بتجهيز أحد عشر لواء وأرسلها جميعًا فى وقت واحد لمحاربة المرتدين ومانعى الزكاة فى الجزيرة كلها.

وقد نصر الله تعالى الجيوش التى أرسلها أبو بكر لقتال المرتدين ومانعى الزكاة، وعاد كثير من هؤلاء المرتدين إلى الإسلام وحسن إسلامهم، كما هُزم مسيلمة الكذاب شر هزيمة على أيدى المسلمين وقُتل فى المعركة، وقُتل معه أكثر من واحد وعشرين ألف مرتد.

ولما استقر الأمر لأبى بكر فى الجزيرة كلها أراد أن ينشر دين الله فى الأرض، وأن يحمى الدولة الإسلامية من أخطار عدوها المتربص بها، فأرسل الجيوش إلى إمبراطورية الفرس بالحيرة (العراق)، ودارت معارك كثيرة انتصرت فيها الجيوش المسلمة على جيوش الفرس فى ذات السلاسل، والأُبلّة، واليسر، ونهر الدم، وغيرها من المواقع.

وملأت هذه الانتصارات قلب إمبراطور الروم بالرعب، فجمع قادة جيوشه ليبحث فى أمر هذه الانتصارات التى يحققها المسلمون، فقال لقادته بصوتٍ مرتجف:

إن ما فعله المسلمون لا أكاد أصدقه، هل هم العرب الحفاة العراة؟ إن انتصاراتهم على الفرس تتلاحق وهم فى طريقهم إلينا.

فقال أحد القادة:

إن هؤلاء المسلمين يُضحون بحياتهم دفاعًا عن عقيدتهم ويجب أن نتصدى لهم.

وقال آخر:

لدينا أعداد كثيرة من الجنود ومعدات وأسلحة لا طاقة للمسلمين بها ولن يجرءوا على قتالنا أبدًا.

فقال الإمبراطور:

أرى أن نحصن حدودنا، ونوفر لجنودنا العُدة والعتاد استعدادًا لحالات الحرب القصوى بقيادة القائد «باهان».

وانفض الاجتماع ومضى قادة الروم إلى أداء المهمة التي كلفهم بها الإمبراطور.

وفي هذه الأثناء وصلت رسالة من خالد بن سعيد المرابط في حدود الشام يطلب المدد من الخليفة أبي بكر ويخبره فيها أن جنود الروم يتحرشون بالمسلمين ويستميلون القبائل العربية القريبة منهم إلى صفوفهم.

عرض أبو بكر الصديق الأمر على الصحابة فوجدهم متحمسين للجهاد عازمين على التصدِّي لتحرُّش الروم، وسارعوا إلى الانضمام إلى الجيوش التي أعدها أبو بكر لمساندة جيش خالد بن سعيد المرابط على حدود الشام، وخرجت الجيوش واحداً بعد الآخر.

وخرجت الروم بجيش عظيم يبلغ (٢٤٠) ألف جندي بقيادة القائد الأكبر «باهان» ومعه كبار القادة أمثال «تزريق» أخي إمبراطور الروم، في حين كانت جيوش المسلمين تكاد تقترب في عددها من ثلاثين ألف جندي، وأرسل المسلمون إلى الصدِّيق يطلبون منه المدد؛ فأرسل إلى خالد بن الوليد وطلب منه أن يتوجه بجيشه لمساعدة إخوانه في حرب الروم فخرج خالد في نصف الجيش تسعة آلاف جندي وترك النصف الآخر تحت قيادة المثنى بن حارثة بالعراق لاستكمال فتوح المسلمين في بلاد فارس، وأدرك خالد إخوانه في اليرموك وقاتل المسلمون قتالاً شديداً فاندفع جنود الروم محاولين الهرب فأتبعهم خالد بجيشه وانقضَّ عليهم، وكان وراءهم هاوية (الواقوصة) فسقطوا فيها، وظل المسلمون يلاحقونهم حتى سقط منهم يومها أكثر من مائة وعشرين ألفاً لقوا مصرعهم، وتمت هزيمة الروم، وقضت المعركة على كل أمل لهم في استبقاء الشام تحت سيطرتهم[1].

---

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ١١ - ١٥) بتصرف.

ونُظِّمت إدارة الدولة الإسلامية في عهده، فجعل القضاء لعمر بن الخطاب وجعل أبا عبيدة بن الجراح أمينًا على بيت المال، وكان يكتب له زيد بن ثابت وعثمان ابن عفان ومَن حضر من الصحابة ممن يجيدون الكتابة، وروى رضي الله عنه (١٤٢) حديثًا عن رسول الله ومضى على منهج الرسول في الحكم، فكان استكمالاً واستمرارًا لعهد النبوة.

وكان الصديق مثلاً وأسوة في البر والرحمة لعماله على شبه الجزيرة العربية التي أصبحت بطولها وعرضها تحت الإدارة الإسلامية في عهده رضي الله عنه فقسمها إلى ولايات، وجعل على كل ولاية أميرًا يكون له فيها إقامة الصلاة وجمع الزكاة، وإقامة الحدود والفصل في القضايا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولم يتوانَ الصديق عن نصح المسلمين وتذكيرهم.

الصديق أول من جمع القرآن الكريم

ففي حروب الردة التي خاضها المسلمون ضد المرتدين قُتل عددٌ كبير من حَفَظة القرآن فرأى المسلمون وعلى رأسهم عمر بن الخطاب أنه لابد من جمع القرآن في مصحف واحد.

فأشار (عمر) على (أبي بكر) بجمع القرآن.

فقال أبو بكر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ.

فقال عمر: هذا والله خير.

ودار بينهما حوار طويل حتى اقتنع أبو بكر بذلك وشرح الله صدره لهذا الأمر.

فأرسل أبو بكر لزيد بن ثابت وقال له: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه.

فقام زيد بجمع القرآن ونسخه في صُحف ثم أعطاها لأبي بكر الصديق

فبقيت عنده حتى توفاه الله فأخذها عمر حتى توفاه الله ثم كانت عند حفصة بنت عمر إلى أن أخذها منها عثمان بن عفان لينسخها زيد بن ثابت ثم ردَّها إليها.

صور من ورعه وزهده ورقة قلبه ﷺ

ولقد كان أبو بكر قمة فى الزهد والورع والخشية فها هو بعد خلافته يترك تجارته ويتفرغ لشئون المسلمين والقيام على راحتهم، فكان يجلس فى مسجد النبى ﷺ يسمع لآلام الناس ومشاكلهم ويسعى لحلِّها، وكان يستشير أكابر الصحابة فى أمور المسلمين حتى يفعل كل ما يستطيع من أجل راحة المسلمين والحفاظ على دينهم ودنياهم فى وقتٍ واحد.

وكان يرى الفقراء والمساكين بنفسه سرًا وكان يشترى الثياب ويوزعها على اليتامى والأرامل فى الشتاء وكان يعيش حياة متقشفة وكان يقوم بخدمة نفسه ولا يطمع فى أى شيء من زهرة الدنيا وزينتها الفانية.

* وها هو خليفة رسول الله ﷺ كان عنده غلامٌ يأتيه كل يوم بطعامه فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟ فقال أبو بكر: ما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أنى خدعته فأعطانى بذلك، فهذا الذى أكلت منه؟ فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء فى بطنه[1].

* وها هو تراه رقيق القلب كثير البكاء وبخاصة إذا كان يقرأ القرآن أو إذا ذُكر النبى ﷺ أمامه.

عن أنس قال: قال أبو بكر ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٨٤٢) كتاب مناقب الأنصار - باب أيام الجاهلية.

انتهيا إليها بكت، فقالا لها: ما يُبكيك؟ ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ، فقالت: ما أبكي أن أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها [(١)].

ولما دنا أجل الصديق ﷺ وقد أكرمه الله عز وجل بالقضاء على فتنة المرتدين وكثرت الفتوحات الإسلامية في عهده وساق الله على يديه الخير الكثير للإسلام والمسلمين فأحسَّ أنه من الأفضل أن يستخلف رجلاً من بعده يكمل مسيرة الإصلاح ونشر الدعوة ويأخذ بأيدي الناس إلى جنة الرحمن - جل وعلا -.

ولا شك أن اختيار هذا الرجل قبل وفاة الصديق ﷺ سيُجنب المسلمين محنة الاختلاف على الخليفة القادم.

فأراد أن يختار للمسلمين خليفة من بعده على أن يتم اختيار خليفته بالشورى بين المسلمين فشاور سعيد بن زيد، وأُسيد بن الحضير من الأنصار وغيرهما من الصحابة في عمر بن الخطاب ومدى صلاحيته للخلافة من بعده، ثم أرسل في طلب عبد الرحمن ابن عوف وقال له: أخبرني عن عمر فقال ابن عوف: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فدعا الصديق عثمان بن عفان وسأله عن عمر، فقال عثمان: علمي فيه أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله.

فلما أجمع الصديق على اختيار عمر خليفة له من بعده بعد أن شاور الصحابة، قال أحد المسلمين له: يا أبا بكر ما تقول لربك إذا سألك عن استخلاف عمر وقد ترى شدته؟.

فقال الصديق: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: أبالله تخوفونني؟ أقول

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٤) كتاب فضائل الصحابة - باب فضل أم أيمن.

لربي اللهم إني استخلفت على أهلك خير أهلك[1].

وهنا جاء القرار الحاسم من الصديق رضي الله عنه فدعا عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب. . . . إني استخلفت عليكم.

ثم غُشي عليه.

فكتب عثمان: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب.

فلما أفاق أبو بكر قال: اقرأ عليَّ، فقرأ عليه، فكبَّر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسي في غشيتي.

قال: نعم.

قال: جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله.

وأقرها أبو بكر رضي الله عنه وأمره أن يخرج على الناس بالكتاب فبايعوه لمن فيه قد علموا أنه عمر.

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالحب والبذل والتضحية والفداء والعدل والإيثار.

نام خليفة رسول الله ﷺ على فراش الموت ليلحق بحبيبه وصاحبه رسول الله ﷺ في جنة الرحمن جل وعلا إخوانًا على سُرر متقابلين.

عن عائشة رضي الله عنها: أول ما بُدئ مرض أبي بكر أنه اغتسل وكان يومًا باردًا

(١) الخلفاء الراشدون (ص/ ١٧- ١٨) بتصرف.

فأصيب بالحُمّى خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بالصلاة، وكانوا يعودونه، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه.

وعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي. فنظرنا فإذا عبدٌ نوبي كان يحمل صبيانه، وإذا بعير كان يسقي بستانًا له. فبعثنا بهما إلى عمر. فبكى عمر وقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب مَن بعده تعبًا شديدًا[1].

ثم قال: يا عائشة: إنه ليس أحدٌ من أهلي أحب إليَّ منك، وقد كنت أعطيتك بستانًا وإن في نفسي منه شيئًا فرديه إلى الميراث.

قالت: نعم.. فرددته.

وقال رضي الله عنه أما إنَّا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خيش ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فئ المسلمين قليلٌ ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر، وابرئي منهن ففعلت، فلما جاء الرسولُ إلى (عمر) بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض ويقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده[2].

واستمر مرض أبي بكر مدة خمسة عشر يومًا حتى كان يوم الاثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة.

---

(١) صفة الصفوة (١/ ١٠٨).

(٢) الطبقات (٣/ ١٤٧).

قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين، قال: فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد، فإن أحب الأيام والليالي إليَّ أقربها من رسول الله ﷺ[1].

وتوفي رحمه الله وهو ابن ثلاث وستين سنة، وغسَّلته زوجه أسماء بنت عُميس، وكان قد أوصى بذلك ودُفن جانب رسول الله حسب وصيته، وصلى عليه خليفته عمر ابن الخطاب، ونزل قبره عمر، وعثمان، وطلحة، وابنه عبد الرحمن، وجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ، وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ.

وهكذا رحل أبو بكر الصديق الذي بذل نفسه وماله لخدمة الإسلام والمسلمين.

رحل الرجل الذي ما طلعت الشمس ولا غربت على رجلٍ أفضل منه بعد الأنبياء والمرسلين.

رحل أبو بكر الصديق ولكن لم ولن ترحل سيرته العطرة.

رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا به في الفردوس الأعلى.



(١) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع فاروق الأمة الأكبر.

إنه الرجل الذي كان إسلامه فتحًا وكانت هجرته نصرًا وكانت ولايته عدلاً.

إنه الرجل الذي قال عنه النبي ﷺ: «إن الله أجرى الحكمة على قلب ولسان عمر»، وقال عنه: «لو كان نبي بعدي لكان عمر»[1].

إنه الرجل الذي نزل القرآن أكثر من مرة موافقًا لرأيه.

إنه الرجل الذي بشَّره النبي ﷺ بالجنة.

إنه الرجل الذي أخبره النبي ﷺ بأن الشيطان يخافه ويهرب منه.

إنه الرجل الذي حفرت الدموع خطَّين أسودين في وجهه من كثرة البكاء.

إنه العابد الزاهد المجاهد.

إنه العادل إن ذُكر العادلون.

هو من سهر لينام الناس.. وجاع ليشبع الناس.

هو من جعل كبير المسلمين أبًا، وأوسطهم أخًا، وأصغرهم ولدًا،... فوقَّر أباه وأحَبَّ أخاه ورَحِم ولده.

هو مَن لا تأخذه في الله لومة لائم.

هو قائل الحق ولو كان مُرًّا.

إنه مَن اشترى أعراض المسلمين من أحد الشعراء بثلاثة آلاف درهمٍ حتى قال ذلك الشاعر:

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٦٨٦) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣٢٧).

وأخـــــــذت أطراف الـكـلام فـلـم تَـدع
شـــتـــمًـــا يـضـــر ولا مـــديـحًـــا ينفعُ
ومـتـــــتنى عـــرض الـبـــخـــيل فـلم يخف
شـــتـــمـــى وأصـــبح آمـنًا لا يـفـــزعُ

إنه (فاروق الأمـة) الذى زلزل عروش الظالمين... ودكّ قلاع الأكـاسرة والقياصـرة، وخضعت لعدالته الجبـابرة والأباطرة وهوت عناكب الظلم أمام رايات عدله الخفـاقة وفتوحاته المظفرة... فـأرغم أنوف الروم وحطم كبرياء الفُرس وأخرج المغضوب عليهم (اليهود) من جزيرة العرب.

أخرجهم أذلة صاغرين.

إنه الزاهد العالم.. العابد الغيور.. الخائف من الله.

إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

من هنا نبدأ

وُلد عمـر بن الخطاب رضي الله عنه بعد عام الفـيل بثلاث عشـرة سنة وكان من قبيلة بنى عدى بمكة.

وكان قويًا شجاعًا يخافه القريب والبعيد... وكان يعمل فى رعى الغنم ثم عمل بالتجارة... وكان قد تعـلَّم القراءة والكتابة فقد كان ذكيًّا فصيحًا بليغًا وكان يمتلك الكثير من المواهب والقدرات التى أهَّلته ليكون بعد ذلك سفيرًا لقريش فى الجاهلية فيما بينها وبين غيرها من القبائل... وبخاصة إذا قامت الحروب بينهم.

* * *

شمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة

وفى وسط الجاهلية العمياء التى كانت تعيشها قريش وغيرها من قبائل العرب شاء الله أن يُبعث النبى ﷺ ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور.

وبُعث النبى ﷺ وأخذ يدعو قومه إلى الإسلام فعادوه أشد العداء وآذوه إيذاءً شديداً هو وأصحابه فصبر النبى ﷺ ومن معه من المؤمنين واحتسبوا كل هذا عند الله جل وعلا.

إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

وفى وسط هذا الظلم والإيذاء الشديد للنبى ﷺ وأصحابه حدث ما لم يتوقعه المشركون... فلقد أسلم حمزة بن عبد المطلب الذى كان الناس يعملون له ألف حساب بسبب قوته وشجاعته.

وأسلم عدد آخر من الرجال... على رأسهم: عمرو بن عبسة وضماد الأزدى وأبو ذر الغفارى.

ولكن الضربة القاضية لظهر المشركين بعد إسلام حمزة هى إسلام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

فقد أسلم عمر بعد إسلام حمزة بأيام وذهب إلى دار الأرقم وأسلم بين يدى النبى ﷺ.

ولكن كيف كانت قصة إسلامه؟ فتعالوا بنا لنعرف قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قصة إسلام عمر رضي الله عنه

لقد كان عمر رضي الله عنه شديداً فى الجاهلية ولما بُعث النبى ﷺ وآمن معه

عدد قليل من الناس كان عمر يؤذيهم ويعذبهم عذابًا شديدًا حتى أنه كان يُعذب بعض الجوارى ثم يتركهن ويقول لهن: أنا ما تركتكن رحمة بكن ولكن لأنى مللت منكن، . . . وكان يشرب الخمر كثيرًا.

وفى يوم من الأيام لقى عمر امرأة تُسمى (أم عبد الله بنت أبى حثمة) وكانت قد عزمت على أن ترحل هى وزوجها عامر إلى بلاد الحبشة فرارًا من تعذيب قريش. . . . فقال لها عمر: إلى أين يا أم عبد الله؟ قالت: نخرج فى أرض الله فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجًا.

فقال عمر: صحبكم الله يا أم عبد الله.

فلما عاد زوجها عامر قالت له: لقد لقيت عمر وقال لى كذا ورأيته يتكلم برقة شديدة.

فقال زوجها عامر: أتظنين أن عمر سيُسلم؟!!! والله لو أسلم حمار الخطاب ما أسلم عمر بن الخطاب.

* وهكذا كان الناس جميعًا فى يئسٍ شديد من إسلام عمر لكن الله إذا أراد شيئًا هيأ له أسبابه.

* ففى يوم من الأيام خرج عمر بن الخطاب إلى حانة من حانات الخمر ليشرب الخمر فلم يجد صاحب الحانة فقال فى نفسه: لو أنى جئت الكعبة فطُفت بها سبعة أشواط. . . فلما ذهب إلى الكعبة وجد النبى ﷺ قائمًا يصلى فقال عمر: إنها فرصة عظيمة أن أستمع إلى محمد لأعرف ماذا يقول. . . .

قال: فأردت أن أقترب منه ولكن أريد ألا يرانى حتى لا يفزع منى.

قال: فجئت من قِبل الحجر فدخلت تحت ثياب الكعبة حتى لا يرانى وجعلت أمشى رويدًا رويدًا حتى أصبحت أمامه لكنه لا يرانى لأنى كنت خلف أستار الكعبة.

قال: فلما سمعت القرآن تعجبت من حلاوته فتأثرت به ثم قلت في نفسي إنه لقول شاعر... فسمعت النبي يقرأ ويقول: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾[1].

فقال عمر: إنه كاهن[2].

فقرأ النبي ﷺ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾. وظل عمر واقفًا في مكانه حتى انتهى النبي ﷺ من صلاته ثم انصرف.

* وبدأ عمر يعيش صراعًا مع نفسه: هل يظل على شركه ليعيش آمنًا مطمئنًا بين قومه وعشيرته الذين يحاربون كل من أسلم.

* أم يُسلم ويعادي قومه وعشيرته وبخاصة وأن له مكانة كبيرة في قريش فهو سفير قريش.

ومن أجل ذلك تأخر إسلام عمر قليلاً لكن الله هيأ له الأسباب التي جعلت قلبه ينشرح للإسلام.

فقد كان النبي ﷺ يدعو في ذلك الوقت ويقول: «اللهم أعزّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب»[3].

* ففي يوم من الأيام عَلِم عمر أن النبي ﷺ وبعض أصحابه قد اجتمعوا في بيت عند الصفا فأخذ سيفه يريد قتل النبي ﷺ فلقيه رجل من بني زُهرة - وهم أخوال النبي ﷺ - فقال له: إلى أين يا عمر؟

قال: إلى محمد لأقتله فقد فرّق أمر قريش وعاب دينها وسبّ آلهتها.

فقال له الرجل: وهل تظن أن بني هاشم وبني عبد مناف سيتركوك تمشي على الأرض بعدها دون أن يقتلوك بعد أن قتلت محمداً؟

---

(١) سورة الحاقة: الآيتان: (٤٠ - ٤١).

(٢) الكاهن: هو الذي يدّعي معرفة الغيب ويقوم بخدمة المعبد.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٦٨١) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٦٠٣٦).

فقال له عمر: يبدو أنك قد صبأت وتركت دين قومك واتبعت محمداً.

قال الرجل: الا ترجع إلى أهل بيتك فتُقيم أمرهم؟

قال عمر: وأى أهل بيت؟

قال الرجل: لقد أسلمت أختك فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد واتبعا محمداً على دينه.

فرجع عمر وذهب إلى أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد ﷺ وكان خبَّاب بن الأرت ﷺ يجلس معهما يعلمهما القرآن وكان معه صحيفة مكتوب فيها سورة طه.

فلما اقترب عمر من بيت أخته سمع صوت رجل يُعلمهما القرآن فلما دخل اختبأ خبَّاب فى مكان من البيت.

فقال عمر لأخته: ما هذا الصوت الذى سمعته؟

قالت: ما سمعنا شيئًا.

فقال عمر: لقد سمعت أنكما اتبعتما محمداً على دينه.

فقال له سعيد: أما آن الأوان يا عمر لأن تُسلم لله وتدع الأصنام التى يعبدها قومك.

فقام عمر وضربه ضربًا شديدًا حتى طرحه أرضًا فقامت فاطمة لتدافع عن زوجها فضربها عمر حتى سالت الدماء من وجهها.

فقالت له: نعم لقد أسلمنا لله.. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر الدماء تسيل من وجه أخته رقَّ قلبه لها رقة شديدة وقال لأخته: أعطينى هذه الصحيفة التى بيدك.

فقالت له: إنى أخشى أن تمزقها.

فحلف لها عمر أن لن يمسها بسوء.

فقالت له: إنك مشرك نجس وهذه الصحيفة لا يمسها إلا المطهرون فقم واغتسل.

فقام عمر فاغتسل ثم عاد إليها وأخذ منها الصحيفة وبدأ يقرأ فيها ﴿طه ۝ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[1]، حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾[2].

فأحس عمر بروعة القرآن وعظمته فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خبَّاب خرج من مخبئه وقال له: أبشر يا عمر فقد سمعت رسول الله يدعو فيقول: «اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام»، وإني لأرجو الله أن تكون أنت يا عمر.

* فقال عمر لخباب: يا خباب دُلني على محمد حتى آتيه فأُسلم فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نَفَرٌ من أصحابه فأخذ عمر سيفه ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من فتحة بالباب فرآه متوشحًا السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحًا السيف، فقال حمزة بن عبد المطلب فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرًا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «ائذن له» فأذن له الرجلُ، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ رداءه، ثم جذبه جذبة شديدة، وقال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزل الله بك قارعة» فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله، قال: فكبَّر رسول الله ﷺ تكبيرة، عرف أهل البيت من

---

(١) سورة طه: الآيتان: (١- ٢).

(٢) سورة طه: الآية: (١٤).

أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم وأصـر على أن يخرجوا جميعًا أمام المشركين ليعرفوا أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء [(١)].

*وخرج المسلمون لأول مرة يجهرون بكلمـة التوحيد أمام المشركين في صَـفَّين... على رأس الصف الأول عـمـر بن الخطاب وعلى رأس الصف الثاني حمزة بن عبد المطلب. فعرف المشركون أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء بفضل الله جل وعلا.

إن إسلام عمر كان فتحًا

ولقد كان إسلامـه سببًا عظيمًا في ظهـور الإسلام وقوته، وذلك لما كان يتميز به من القوة والشجاعة فكان لا يخاف في الله لومة لائم.

* قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر» [(٢)].

وقال عبد اللـه بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحًا وإن هجرته كانت نصرًا وإن إمـارته كانت رحمة، ولقـد كنا ما نصلي عند الكعبـة حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.

وكان إسلام عـمر بعد خروج مَن خرج من أصـحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

نعمة الإسلام

وبعد ما أسلم عمر وأعلن التوحيـد لله عز وجل أصبح إنسانًا آخر فلقد غيَّره الإيمـان والإسلام... فبعـد أن كان حريصًا كل الحـرص عل أن يقتل النبي ﷺ أصبح يتمنى أن يفدي النبي ﷺ بنفسه وماله وأولاده، وبعد أن كان يعذب المسلمـين أصبح رقيق القلب رحيمًا بكل من حوله حتى أننا

(١) رواه أحمد (٣٧١) في فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٦٨٤) كتاب المناقب.

سنراه قويًا بعد أن أصبح أميرًا للمؤمنين يجلس بجوار البعير المريض ويبكى ويقول: والله ما أدرى ما بك وإنى لأخشى أن يسألنى الله عنك يوم القيامة.

وبعد أن كان يصد الناس عن الإسلام أصبح يتمنى أن يُسلم الكون كله لله جل وعلا.

* عاش عمر رضي الله عنه فى صحبة النبى ﷺ يتعلم منه ويتربى بين يديه ويفديه بنفسه ويدافع عنه ويبذل كل ما يستطيع لخدمة هذا الدين العظيم.

هجرة رغم أنوف المشركين

* وتمر الأيام ومازال المشركون يعذبون المؤمنين عذابًا شديدًا ولا يستطيع أحدٌ أن يقف فى وجه هؤلاء الطُغاة الذين عذبوا أصحاب النبى ﷺ.

وهنا جاءت فكرة الهجرة إلى المدينة المنورة وبخاصة بعد أن بايعه أهل المدينة بيعة العقبة الثانية وأصبحت المدينة مؤهلة لأن تكون وطنًا جديدًا يأوى إليه النبى ﷺ وأصحابه.

وأوحى الله إلى النبى ﷺ بأن يأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة ولكن كان لابد من أن تكون الهجرة سرًا حتى لا يعلم المشركون بذلك فيمنعوهم من الهجرة.

وبدأت وفود المؤمنين تهاجر سرًا من مكة إلى المدينة، ويالها من خطوة تحتاج إلى صدق وإخلاص وعزيمة فقد تركوا الديار والأموال والأهل والأصحاب وفارقوا الأوطان حتى يفوزوا برضوان الله وجنته.

* وهاجر أصحاب الرسول ﷺ إلى المدينة سرًا إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد خرج علانية أمام المشركين فأخذ سيفه ورُمحه ومضى نحو الكعبة فوجد المشركين جالسين عند الكعبة فطاف بها سبعة أشواط ثم أتى المقام

فصلى ركعتين وقال للمشركين: من أراد أن تفقده أمه أو ترمل زوجته أو يصبح ولده يتيمًا فليلقني خلف هذا الوادي. فخافوا جميعًا ولم يتبعه رجلٌ منهم.

* ولم تكن الهجرة فرارًا أو هروبًا من أذى المشركين بل إنها قبل أي شيء امتثال لأمر الله جل وعلا فهو الذى أوحى لنبيه بالهجرة.

وكذلك كانت الهجرة من أجل الهروب من الفتن والابتلاءات والأذى... وكذلك كانت الهجرة من أجل نشر دعوة النبى ﷺ وتربية جيل فريد لينشر هذه الدعوة فى بقاع الأرض كلها.

فى رحاب الأنصار

وهكذا هاجر عمر من مكة إلى المدينة فلما وصل إلى المدينة وجد الأنصار فى استقباله هو وإخوانه من المهاجرين... ففتحوا لهم قلوبهم قبل بيوتهم واستقبلوهم أعظم استقبال.

ورغم المحبة والأخوة التى رآها من إخوانه الأنصار إلا أن عمر كان فى قمة الشوق لرؤية الحبيب ﷺ.

وما هى إلا فترة يسيرة حتى هاجر النبى ﷺ إلى المدينة وأضاءت المدينة بقدومه ﷺ وأحسّ عمر أنه قد امتلك الدنيا بكل ما فيها عندما رأى النبى ﷺ مرة أخرى.

* وعاش عمر فى رحاب النبى ﷺ... وكان النبى ﷺ يحبه حبًا جمًا ويُقربه منه حتى اتخذه مع أبى بكر وزيرين له يستشيرهما فى أمور المسلمين ويستعين بهما فى بناء قواعد الدولة الإسلامية.

* * *

محبة النبى لعمر وثناؤه عليه

ولقد كان النبى ﷺ يحب عمر حبًا جمًا ويثنى عليه دائمًا وذلك لما رآه من صدق إيمانه وصلابته فى الحق وحرصه على البذل والعطاء والتضحية من أجل هذا الدين العظيم.

فها هو ﷺ يقول: «لو كان نبى بعدى لكان عمر بن الخطاب»[1].

وها هو يقول: «إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صعد النبى ﷺ أُحُدًا ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله وقال: «اثبت أُحُد فما عليك إلا نبى أو صدِّيق أو شهيدان»[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أرأف أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى دين الله عمر»[4].

النبى ﷺ يبشره بالجنة ويرى قصره فيها

وها هو الحبيب الصادق المصدوق ﷺ يبشر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه من أهل الجنة ويالها من بشرى... بل إن الحبيب ﷺ رأى قصر عمر فى الجنة.

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨٦) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٢٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨٢) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٣٦).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٦٨٦) كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ.

(٤) أخرجه أبو يعلى (١٠/ ١٤١)، وابن عساكر (٧/ ٣٢٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٦٨).

«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت لمن هذا؟ فقالوا: لشاب من قريش، فظننت أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب»[2].

* بل إن النبي ﷺ من شدة حبه لعمر رضي الله عنه تزوج ابنته حفصة ليُقربه منه أكثر وأكثر.

وكان النبي ﷺ يُسميه أبا حفص (يعني الأسد) ويكنيه بالفاروق.

جهاده في سبيل الله

* ولما نادى منادي الجهاد: يا خيل الله اركبي... كان عمر في مقدمة هؤلاء الصحب الكرام الذين خرجوا للجهاد في سبيل الله فشهد مع النبي ﷺ كل الغزوات ولم يتأخر أبدًا عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

حاله مع القرآن

ولقد كان عمر رضي الله عنه يتعايش بقلبه وجوارحه مع كل آية من آيات القرآن فها هو يحفظ سورة البقرة في أكثر من عشر سنين مع أنه كان قادرًا على أن يحفظها في أيام قليلة.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٤٨) كتاب المناقب، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٦٨٩) كتاب المناقب، وأحمد (١١٩٨٥) وابن حبان (٢١٨٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٦٤).

فلما سأله أصحابه عن ذلك قال لهم: ما كنت أحفظ آية حتى أكون قد عملت بالتي قبلها.

* وكان يبكي كثيراً عند سماع القرآن... بل كان يسير مرة فسمع رجلاً يقرأ سورة الطور إلى أن وصل إلى قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾[1]. فسقط عمر من على الدابة وهو يبكي ويقول: قَسَمٌ حقٌ ورب الكعبة... ومرض شهراً كاملاً يعوده الناس ولا يدرون ما به.

* بل لقد كانت آيات القرآن تنزل موافقة لرأي عمر رضي الله عنه.

عن أنس رضي الله عنه قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلًّى فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البَرُّ والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه. فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يُبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت هذه الآية[2].

* بل لقد نزلت آيات كثيرة غيرها موافقة لرأي عمر في أكثر من خمسة عشر موضعًا في كتاب الله جل وعلا.

شياطين الجن والإنس تفر من عمر رضي الله عنه

إن الإنسان كلما ازداد خوفه من ربه عز وجل فإن الله يُلقي هيبته في قلوب مَن حوله... وها هو فاروق الأمة رضي الله عنه يُلقي الله هيبته في قلوب الشياطين فما إن تراه حتى تهرب خوفًا منه!!!

---

(١) سورة الطور: الآية: (٧، ٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٠٢) كتاب الصلاة، وأحمد (١٥٧) والنسائي في الكبرى (٨/ ١٣).

ولذا قال له النبي ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا[1] إلا سلك فجًا غير فجك»[2].

موقفه في يوم صلح الحديبية

وفي صلح الحديبية كان النبي ﷺ قد خرج بأصحابه قاصدين مكة لأداء العمرة فما كان من قريش إلا أن منعت النبي ﷺ وأصحابه من دخول مكة لأداء العمرة وأرسلوا رجالاً للتفاوض مع النبي ﷺ وتم الاتفاق في النهاية على هدنة الحديبية والتي كانت تحتوي على شروط وبنود تتلخص فيما يلي:

١- وضع الحرب لمدة عشر سنين فلا يحاربهم النبي ﷺ ولا يحاربونه.

٢- من أتى رسول الله ﷺ ليُسلم بغير إذن وليه فإن النبي ﷺ يرده عليهم وأما من جاء من المسلمين يريد أن يلحق بالمشركين فلهم أن يقبلوه.

٣- أن يرجع النبي ﷺ وأصحابه هذا العام... فإذا كان العام القادم خرج المشركون من مكة وتركوها للنبي ﷺ وأصحابه لمدة ثلاثة أيام ليطوفوا بالبيت... على ألا يدخلوها إلا بالسيوف فقط.

❊ ❊ ❊

(١) سالكًا فجًا: أي ماشيًا في طريق.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٩٦) كتاب فضائل الصحابة.

اعتراض عمر بن الخطاب على بنود الصلح

لقد كان المسلمون يعلوهم الحزن الشديد لسببين اثنين:

الأول: أن النبي ﷺ كان قد أخبرهم أنهم سيطوفون بالبيت.

والثاني: أن النبي ﷺ قَبِل ضغط قريش في هذا الصلح.

وصارت مشاعر المسلمين لأجلهما جريحة، بحيث غلب الهم والحزن على التفكير في عواقب بنود الصلح... لعل أعظمهم حزنًا كان عمر بن الخطاب، فقد جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله: ألست نبي الله حقًّا؟!

قال: «بلى».

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟!

قال: «بلى».

قلت: فَلِم نُعطي الدنيَّة[1] في ديننا إذًا؟!

قال: «إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري».

قلت: أوَ ليس كنت تحدثنا أنَّا سنأتي البيت فنطوف به؟

قال: «بلى فأخبرتك أنَّا نأتيه العام؟».

قال: قلت: لا.

قال: «فإنك آتيه ومُطوفٌ به».

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقًّا؟

قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

---

(١) أي: لماذا نتنازل لهم ونعطيهم أكثر من حقهم.

قال: بلى.

قلت: فلِمَ نُعطى الدنيَّة فى ديننا إذاً؟

قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصى ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق.

قلت: أليس كان يحدثنا أنَّا سنأتى البيت ونطوف به؟

قال: بلى، فأخبرك أنه تأتيه العام؟

قلت: لا.

قال: فإنك آتيه ومُطوفٌ به.

قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً[1] - أى: عمل أعمالاً صالحة كثيرة ليُكفِّر عن مجادلته للنبى ﷺ.

موقف الفاروق رضي الله عنه عند موت النبى ﷺ

وعاش عمر أجمل أيام حياته مع النبى ﷺ وحجَّ معه حجة الوداع.

وتمر الأيام وتأتى اللحظة التى أظلمت فيها المدينة بموت النبى ﷺ وبكى أصحاب الرسول ﷺ بكاءً مريراً فقد فقدوا رسولهم وحبيبهم ومُعلمهم ومُرشدهم وهاديهم وقدوتهم فى لحظة واحدة.

ووقف عمر بن الخطاب وقد أخرجه الخبر عن وعيه يقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى، وإن رسول الله ما مات ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع بعد أن قيل قد مات.

والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليُقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات!

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٤) كتاب الشروط.

مبايعته لأبي بكر الصديق

ولما توفى رسول الله ﷺ كاد أن يحدث خلاف كبير بين المهاجرين والأنصار بسبب اختيار خليفة المسلمين فقام عمر رضي الله عنه وحسم الخلاف بقوله: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يُصلي بالناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر، فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر.

وفى اليوم التالى صعد عمر على المنبر وقال: قد كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يُدْبرنا - أى يكون آخرنا موتًا ونحن نموت قبله - ثم أكمل كلامه فقال: فإن كان محمد ﷺ قد مات، فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين، فإنه أولى الناس بأموركم، فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة، وكانت بيعة الناس العامة على المنبر.

• وبذلك تم القضاء على هذه الفتنة وبويع أبو بكر بالخلافة وظل عمر بجوار أبى بكر يسانده وينصره ويعاونه فى مهام الخلافة فتولى القضاء وبيت المال وكان أبو بكر لا يقضى أمراً إلا بعد أن يستشير عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

دوره العظيم فى جمع القرآن

ولقد كان لعمر أعظم دور فى جمع القرآن الكريم فى عهد أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

ففى حروب الردة التى خاضها المسلمون ضد المرتدين قُتل عددٌ كبير من حفظة القرآن فرأى المسلمون وعلى رأسهم عمر بن الخطاب أنه لابد من جمع القرآن فى مصحف واحد.

فأشار عمر على أبى بكر بجمع القرآن.

فقال أبو بكر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ.

فقال عمر: هذا والله خير.

ودار بينهما حوار طويل حتى اقتنع أبو بكر بذلك وشرح الله صدره لهذا الأمر.

فأرسل أبو بكر لزيد بن ثابت وقال له: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبّع القرآن فاجمعه.

فقام زيد بجمع القرآن ونسخه في صُحُف ثم أعطاها لأبي بكر الصديق فبقيت عنده حتى توفاه الله فأخذها عمر حتى توفاه الله ثم كانت عند حفصة بنت عمر إلى أن أخذها منها عثمان بن عفان لينسخها زيد بن ثابت ثم ردّها إليها.

استخلاف أبي بكر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

ولما دنا أجل الصديق رضي الله عنه وقد أكرمه الله عز وجل بالقضاء على فتنة المرتدين وكثرت الفتوحات الإسلامية في عهده وساق الله على يديه الخير الكثير للإسلام والمسلمين فأحسّ أنه من الأفضل أن يستخلف رجلاً من بعده يكمل مسيرة الإصلاح ونشر الدعوة ويأخذ بأيدي الناس إلى جنة الرحمن جل وعلا.

ولا شك أن اختيار هذا الرجل قبل وفاة الصديق رضي الله عنه سيُجنب المسلمين محنة الاختلاف على الخليفة القادم.

فأراد أن يختار للمسلمين خليفة من بعده على أن يتم اختيار خليفته بالشورى بين المسلمين فشاور سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير من الأنصار وغيرهما من الصحابة في عمر بن الخطاب ومدى صلاحيته للخلافة من بعده، ثم أرسل في طلب عبد الرحمن ابن عوف وقال له: أخبرني عن عمر فقال ابن عوف: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني فدعا الصديق

عثمان بن عفان وسأله عن عمر، فقال عثمان: علمي فيه أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله.

فلما أجمع الصديق على اختيار عمر خليفة له من بعده بعد أن شاور الصحابة، قال أحد المسلمين له: يا أبا بكر ما تقول لربك إذا سألك عن استخلاف عمر وقد ترى شدته؟ فقال الصديق: أجلسوني فلما أجلسوه قال: أبالله تخوفونني؟ أقول لربي: اللهم إني استخلفتُ على أهلك خير أهلك.

* وهنا جاء القرار الحاسم لأبي بكر فدعا عثمان بن عفان وأمره أن يكتب العهد باستخلاف عمر بن الخطاب من بعده على المسلمين.

* وكان المسلمون ينادونه ويقولون: يا خليفة خليفة رسول الله ﷺ فكان النداء طويلاً وثقيلاً فجاء رجل من الأعراب إلى عمر بن الخطاب فنادى عليه وقال: يا أمير المؤمنين فأحبَّ الصحابة هذا اللقب فكانوا ينادونه به بعد ذلك.

وتوفي أبو بكر في جمادى الآخرة سنة (١٣هـ)، وتولى عمر تجهيزه ودفنه، ثم قام في الناس خطيبًا ليبين لهم سياسته في الحكم، فأخبرهم أنه يعُدُّ الخلافة أمانة واختبارًا من الله، وأنه سيقوم برعاية أهل المدينة ومن حولها من البلاد القريبة، أما البلاد البعيدة فإنه سيولِّي عليها أهل القوة والأمانة، ثم إن المحسن له ثوابه والمسئ له عقابه.

ولما كان عمر رضي الله عنه تاجرًا يأكل من تجارته؛ رأى أن يتفرغ لمهام الخلافة، ولما سأله الناس عن حقه (راتبه) في بيت مال المسلمين قال: يحل لي ثوبان: ثوب في الشتاء وثوب في الصيف، وما أحج به وأعتمر وقُوتُ أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ثم إني رجل من المسلمين يصيبني ما يصيبهم[1].

(١) الخلافة الراشدة/ أ. سامي عبد الرؤوف، أ. عبد الحسيب الخناني (ص: ٢٧- ٢٨) ط. سفير

* ولقد كان عمر ﷺ يُضرَب به المثل في الزهد والورع والعلم والحلم والقوة والشجاعة والعدل والمساواة.

ولقد أخذ عمر نفسه بالشدة؛ فأكل الخشن من الطعام، ولبس الخشن من الثياب وكان شديداً في محاسبة نفسه؛ حتى كلّمه الصحابة في ذلك، فشكرهم على نصيحتهم وبيّن لهم أنه لا يُلزم أحدًا بهذه الشدة، ولكنه يريد أن يلحق بالنبي وأبي بكر في المنزلة يوم القيامة.

وضرب عمر المثل للحاكم الذي يولي رعيته كل اهتمامه، فكان يسأل عن أحوال الناس، ويتفقدهم، ويطوف في الأسواق ويسأل عن الأسعار، وينتقل بين القبائل يعطي الناس رواتبهم، ويسير في الطرقات ليلاً ونهارًا، . . . رآه يومًا أحد الصحابة يدخل بيتًا، فذهب في الصباح ليرى مَن في البيت، فإذا عجوز عمياء مُقعدة يتعهدها عمر بالرعاية ويقوم على قضاء حوائجها سرًا.

وكان عمر من أرقّ الناس قلبًا، وأكثرهم رأفة ورحمة، وكان رغم شدته في الحق ومحاسبته الشديدة لأهله ورعيته، إلا أنه كان سريع العَبرة كثير الدمع حتى صار في وجهه خطان أسودان من شدة بكائه[1].

الفتوحات الإسلامية في عهده

بدأ عمر خلافته بترغيب الناس في الجهاد في بلاد فارس بعد أن نقض الفرس عهودهم وآذوا المسلمين فأرسل عدة جيوش كان أولها بقيادة أبي عُبيد ابن مسعود، ثم تبعه جيش آخر بقيادة عبد الله البجلي ثم تتابعت الجيوش إلى العراق لنشر الإسلام ودعوة الناس للدخول في دين الله.

وتجمع الفرس وتعاهدوا على قتال المسلمين وطردهم من العراق، فكتب

---

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٣٧).

المثنى بن حارثة، قائد جيوش المسلميـن إلى عمر يُطلعه على الموقف، فقدَّر عمر خطورة الأمر، فأمر المثنى أن يُرغِّب مَن حوله من الناس فى الجهاد، ثم دعا المسلمين فى البلاد إلى الجهاد؛ فلبَّى المسلمون النداء وجاءوا من كل مكان إلى المدينة وأراد عمر أن يقود هذه القوات بنفسه، فأشار عليه الصحابة أن يظل هو بالمدينة ينظم الجيوش ويتابع المعارك، وأن يعهد بقيادة هذا الجيش إلى سعد بن أبى وقاص فوافق عمر.

وسار سعد إلى العراق ودارت بينه وبين الفرس عند القادسية معارك عنيفة، أبلى فيها المسلمون بلاءً حسنًا، وظهرت البطولات، وقاتل المسلمون قتال الشجعان حتى انتهت المعركة بهزيمة ساحقة للفرس.

ثم كتب عمر إلى سعد يأمره بمواصلة الفتوحات؛ فانطلق المسلمون إلى بلاد فارس ينشرون نور الإسلام، ففتحوا المدائن عاصمة دولة الفرس، ثم تحقق فتح الفتوح (نهاوند) وفُتحت كبرى المدن الفارسية، كأصبهان، وأذربيجان، وخُراسان وانتشر الإسلام فى بلاد فارس.

وفى بلاد الشام انطلقت الجيوش الإسلامية بقيادة أبى عُبيدة بن الجراح بعد معركة اليرموك تحرر الناس من عبادة البشر إلى عبادة رب البشر، ومن ظلم الجاهلية إلى عدل الإسلام ففُتحت دمشق، وحِمص وحلب وسواحل بلاد الشام وباقى المدن الشامية.

وفى ربيع الآخر سنة (١٦هـ) فُتحت مدينة القدس وذهب عمر بنفسه ليوقِّع الصلح بين المسلمين وأهل المدينة، . . . ويُروى أن عمر سافر إلى الشام بمفرده، راكبًا دابته، وليس على رأسه عمامة، ولما عرضت له بركة ماء نزل عن دابته، وأمسك حذاءه بيده، وخاض الماء ومعه دابته.

وعَظُم فى أعين قادة جيوشه أن يدخل عمر الشام على تلك الهيئة فكلَّمه أبو عبيدة فى ذلك ولكن الذى اختار الآخرة وزهد فى مفاتن الدنيا وعزم

على أن يلحق بصاحبيه محمد ﷺ وأبي بكر أجابه: لقد كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

وعند مدينة الرملة جاء ممثل القدس ومعه أعيان المدينة؛ فصالحهم عمر، وأمَّنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وترك لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، فالإسلام لا يُكره أحدًا على الخروج من دينه والدخول فيه، وعليهم دفع الجزية مقابل الخدمات التي تُقدَّم لهم، وكتب بذلك وثيقة تضمن لهم حقوقهم وتذكرهم بالواجبات التي عليهم.

ثم أمر (عُمَر) عمرو بن العاص أن يتوجه إلى مصر لفتحها فخرج عمرو إلى أهل مصر ليخلصهم من ظلم الرومان وبطشهم، وتابعه عمر فأرسل إليه الإمدادات حتى فُتحت مصر وبلاد النوبة وبرقة وطرابلس.

قال الزهري: فتح الله الشام كله على عمر والجزيرة ومصر والعراق كله، ودوَّن الدواوين قبل أن يموت بعام، وقسَّم على الناس فيئَهم.

وفي المدينة المنورة عاصمة الخلافة أقام عمر حكمًا قائمًا على الشورى فاختار مجموعة من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وفُضلاء العرب يستشيرهم ولا يقطع أمرًا دون مشورتهم[1].

صور من عدل فاروق الأمة عمر رضي الله عنه

كان الفاروق رضي الله عنه حريصًا على العدل غاية الحرص ولذا كان ينتقي (الولاة) انتقاءً فكان لا يعطي الولاية لمن يحرص عليها، بل كان يعطيها لأهل الزهد والعفاف والتقوى، وكان يحرص على أن يتابعهم ويوصيهم بالناس خيرًا.

* عن أبي عثمان قال: استعمل عمر رضي الله عنه رجلاً من بني أسد على عمل، فدخل ليسلم عليه فأتى عمر ببعض ولده فقبَّله، فقال الأسدي: أتُقبل هذا يا

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٢٨- ٣٢) بتصرف.

أميـر المؤمنين؟ فوالله مـا قبلت ولدًا لي قط!! فقـال عمـر: فأنت والله بأولاد الناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملاً أبدًا، فرد عهده أو قال: فما ذنبي إن كان الله - عز وجل- نزع الرحمة من قلبك، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، ثم قال: مزق الكتاب، فإنه إذا لم يرحم أولاده، فكيف يرحم الرعية؟! (١).

لله درك من إمام

* وذات يوم يتلقى الفاروق هدية من الحلوى، ولا تكاد توضع بين يديه حتى يسأل الرســول الذي جاء يحملها: ما هذا؟ قـال: حلوى يصنعها أهل أذربيجان، وقد أرسلني بها إليك عتبة بن فرقد - وكان واليًا على أذربيجان - فذاقها عمر، فوجد لها مذاقًا شهيًّا، فعاد يسأل الرسول: أكُل المسلمين هناك يطعـمون هذا؟ قـال الرجل: لا . . . وإنما هو طعـام الخاصـة. فقـال عمـر للرجل: أين بعيرك؟ خذ جملك هذا وارجع به لعـتبة، وقل له: عمر يقول لك، اتق الله، وأشبع المسلمين مما تشبع منه . . !!

وأنا والله ما نسيتها بعد!!!!

وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: مر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وأنا في الســوق وهو مارٌّ في حـاجة له، ومـعه الدِّرة قـال: هكذا أمط عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقني بها خـفقة، فما أصاب إلى طرف ثوبي، فـأمطت عن الطريق، فسكـت عني حتى كـان في العام المـقبل فلقـيني في السوق فقال: يا سلمة أردت الحج العـام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدي، فمـا فارقت يدي يده حتى دخل بي بيته، فأخـرج كيسًا فيه سـتمائة درهم فقال: يا سلمة استعن بهذه، واعلم أنهـا من الخفقة التي خفقتك عام

(١) أخرجه عبد الرزاق والبخاري في الأدب المفرد، وحسّن إسناده الشيخ الألباني (٧٢).

أول، قلت والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها! قال: وأنا والله ما نسيتها بعد.

يا عمر.. عدلت فأمنت فنمت!!!

أرسل قيصر روما رسولاً إلى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا ملك، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج الرسول فى طلبه، فرآه نائمًا فى الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع جبته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه وقد بلّ الأرض، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع فى قلبه وقال: رجل لا يقر للملوك قرار من هيبته وتكون هذه حاله! ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت، وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرًا خائفًا، أشهد أن دينك الدين الحق ولولا أننى أتيت رسولاً لأسلمت، ولكنى أعود وأسلم».

فاروق الأمة... وأم الأيتام

فى ليلة من الليالى خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يمشى فى شوارع المدينة المنورة ليطمئن على أحوال الرعية... وفجأة رأى منظرًا عجيبًا!!!... لقد رأى فى وسط هذا الظلام الدامس نارًا مشتعلة من بعيد.

فلما اقترب أمير المؤمنين عمر ومعه غلامه (اسمه أسلم) وجد امرأة قد أشعلت نارًا ووضعت عليه وعاءً كبيرًا.. وبجوارها أطفال صغار يصرخون من شدة الجوع.. فهذا يقول: يا أماه أريد طعامًا.. والآخر يقول: يا أماه سأموت من الجوع.. والثالث يصرخ ولا يستطيع أن يتكلم.. فصعق عمر

لهذا المشهد وسألها عن سبب بكاء الأطفال.

فقالت: إنهم يبكون من شدة البرد والجوع.

فنظر عمر إلى الوعاء الذي وضعته على النار وقال لها: أليس في هذا الوعاء طعام؟

قالت المرأة والدموع تسيل من عينيها: إنه ماء وضعته على النار حتى يسكتوا وينامـوا... والله بيننا وبين عمر - ولم تعرف أن الذي يكلمها هو أمير المؤمنين عمر -.

فقال لها عمر: وما يُدري عمر بحالك؟.

فقالت المرأة: سبحان الله.. يتولى أمرنا وينسانا.

.. تألم عمر من كلام المرأة.. وتألم أكثر وأكثر من مشهد هؤلاء الأطفال اليتامى الذين يصرخون من شدة الجوع... فانصرف عمر ومعه غلامه أسلم إلى مخزن بيت المال فأخرج كيسًا من دقيق وقارورة فيها زيت وكيسًا فيه سكر وقال لغلامه أسلم: احمل على ظهري.

فقال له أسلم: أحمل عليك أم أحمله عنك؟

فقال له عمر: احمل عليَّ... هل أنت ستحمل عني ذنوبي يوم القيامة.

* وأسرع عمر إلى تلك الأم وأولادها ووضع أمامها الدقيق والزيت والسكر وأخرج لها جزءًا يسيرًا لتصنع منه طعامًا لأولادها وأخذ ينفخ في النار حتى تشتعل أكثر وأكثر لينضج الطعام.

فلما نضج الطعام أخذ عمر يقدم الطعام للأطفال ثم ترك عندهم باقي الدقيق والزيت والسكر وقال لهذه المرأة: اذهبي غدًا إلى أمير المؤمنين وسوف تجديني هناك إن شاء الله.

* وظل عمر ينظر إلى الأطفال حتى رآهم يضحكون فقال لغلامه أسلم: جئت وهم يبكون فأحببت ألا أنصرف إلا وهم يضحكون.

فذهبت إليه المرأة فى اليوم التالى فلما رأته وعرفت أنه أمير المؤمنين فزعت وخافت.

فقال لها عمر: لا تخافى ولا تفزعى... ثم أمر لها ولأولادها براتب تصرفه كل شهر من بيت مال المسلمين.

عبادته رضي الله عنه

وعلى الرغم من أن الفاروق عمر كان يحمل هموم الأمة كلها إلا أنه لم ينس أبدًا حظه من العبادة التى يتزود بها فى سفره إلى الدار الآخرة.

• فقد كان عمر يسرد الصوم فى آخر عمره ولا يفطر إلا فى يوم الفطر أو الأضحى وكان يقوم الليل ويصلى ما شاء الله له أن يصلى ثم يوقظ أهله ويقول لهم: الصلاة الصلاة ويتلو هذه الآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾.

ولما قيل له: ألا تنام؟

قال: لئن نمت بالنهار ضاعت رعيتى ولئن نمت بالليل ضاعت نفسى.

• ومن شدة إعجاب الصحابة بعبادة عمر قام رجل اسمه عثمان بن أبى العاص فتزوج امرأة من نساء عمر بعد موته وبعد انقضاء عدتها فلما سُئل عن سبب ذلك قال: والله ما تزوجتها رغبة فى المال ولا الولد ولكنى أحببت أن تخبرنى عن ليل عمر كيف كانت عبادته فيه.

فاروق الأمة وحسن الاتباع

واستلم عمر الحجر الأسود وقال: إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يُقبلك ما قبلتك.

وقال نافع: كان الناس يأتون الشجرة، التى بايع رسول الله ﷺ تحتها بيعة الرضوان، فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت.

* ولقد أمر عمر بقطع تلك الشجرة خوفًا منه أن يظن الناس بعد ذلك أنها تنفع أو تضر فيعبدونها من دون الله.

كرمه وجوده رضي الله عنه

ولقد كان عمر فى قمة الجود والكرم حتى أنه لما دعا النبى ﷺ أصحابه يومًا للصدقة ذهب عمر إلى النبى ﷺ بنصف ماله.

* بل قال أحد التابعين: كنت عند عمر يومًا فأُتى باثنين وعشرين ألف درهم، فلم يَقُم من مجلسه حتى يفرقها، وكان إذا أعجبه شيءٌ من ماله تصدق به، وكان كثيراً ما يتصدق بالسُّكَّر، فقيل له فى ذلك فقال: إنى أحبه وقد قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (١).

صفحة مشرقة من زهده وورعه رضي الله عنه

ولقد كان عمر رضي الله عنه فارسًا فى ميدان الزهد والورع فلقد كان لا يريد شيئا من زهرة الدنيا وزينتها الفانية ولذلك كان خشن العيش وخشن المطعم يلبس ثوبًا مرقعًا.

* وفى يوم من الأيام تأخر عمر عن خطبة الجمعة فلما حضر وصعد المنبر اعتذر للناس وقال: إنما تأخرت لأنه ليس لى إلا قميص واحد فكانت امرأتى تخيطه بعدما قُطع.

* ولما عُوتب مرة لأنه يأكل طعامًا رديئًا قال لهم: لو شئت لأكلت أطيب وألين طعام ولكنى أخشى أن يُنقص ذلك من حسناتى وإنى تركت صاحبىَّ - النبى ﷺ وأبى بكر - على الجادة فأخشى إن تركت طريقهما ألا أدركهما فى المنزل - أى فى الجنة-.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

* ولما حدث قحط وجدب في عام الرمادة حلف عمر ألا يذوق سمنًا ولا لبنًا ولا لحمًا حتى يشبع الناس فكان لا يأكل إلى الخبز والزيت حتى اسودّ جلده وكان يقول: بئس الوالي أنا إن شبعت والناس جياع.

جُوع الخليفة والدنيا بقبضته
منزلة في الزهد سبحان موليها
فمن يباري أبا حفص وسيرته
أو من يحاول للفاروق تشبيها
يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال
لها من أين لي بثمن الحلوى فأشريها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به
أولى فقومي لبيت المال رُدّيها
كذاك أخلاقه كانت وما
عُهدت بعد النبوة أخلاقٌ تحاكيها

* وأما عن ورعه فحدّث ولا حرج فقد كان قمة في الورع.

أنفق عمر بن الخطاب في حجة حجَّها ثمانين درهمًا من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة، قال: ثم جعل يتأسف، ويضرب بيده على الأخرى، ويقول: ما أخلقنا أن نكون قد أسرفنا في مال الله تعالى.

ولما ورد عمر الشام، صُنع له طعام لم يرَ قبله مثله فلما أُوتي به قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين باتوا لا يشبعون من خبز الشعير؟

فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لهم الجنة، فاغرورقت عيناه، فقال: إن كان حظنا في هذا ويذهب أولئك بالجنة لقد سبقونا وفازوا فوزًا عظيمًا.

* وفي يوم من الأيام دخل عمر السوق فوجد إبلاً سمينة فقال: لمن هذه؟

قالوا: لعبد الله بن عمر ابن أمير المؤمنين.

فدعا ابنه عبد الله وقال له: ما هذه الإبل؟

فقال عبد الله: إنها إبل هزيلة اشتريتها وبعثت بها إلى المراعى لتأكل حتى سمنت وجئت لأبيعها كما يفعل كل الناس.

فقال عمر: لقد سمنت لأن الناس كانوا يقولون: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين... اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين... يقصد أن الناس كانوا يجاملونه لأنه ابن أمير المؤمنين. ثم أمره أمير المؤمنين عمر بأن يبيع تلك الإبل ويأخذ رأس ماله ويرد الربح كله إلى بيت مال المسلمين.

صفحات مشرقة من تواضعه رضي الله عنه

* وها هو فاروق الأمة عمر رضي الله عنه يضرب للأمة كلها أروع الأمثال فى تواضعه.

* فها هو يخرج مع أحد الصحابة من المسجد فوجد امرأة كبيرة فى السن تجلس على الطريق فسلمت عليه فردَّ عليها السلام فقالت: هيه يا عمر... لقد رأيتك وأنت صبيٌّ صغير فى سوق عكاظ تُسمَّى عُميراً وكنت تصارع الصبيان... ومرت الأيام حتى أصبحت أمير المؤمنين... فاتقِ الله فى الرعية فإنك ستقف بين يدى الله وسيسألك عن كل صغيرة وكبيرة... فبكى عمر.

فقال لها الصحابى: لقد تجرأتِ على أمير المؤمنين وأبكيتيه.

فقال له عمر: دعها... أما تعرف هذه المرأة؟

قال له الصحابى: لا أعرفها.

فقال له عمر: إنها خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من فوق سبع سموات فعمر - والله - أحرى أن يسمع كلامها.

وعن أنس بن مالك قال: سمعت عمر بن الخطاب يومًا، وخرجت معه حتى دخل بُستانًا، فسمعته يقول: وبيني وبينه جدار، وهو فى جوف

البستان: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ، والله يا ابن الخطاب، لتتقين الله، أو ليعذبنك.

* وخرج عمر في سواد الليل، فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتًا، ثم دخل بيتًا آخر، فلما أصبح طلحة، ذهب إلى ذلك البيت، فإذا بعجوز عمياء مُقعدة فقال: ما بال هذا الرجل يأتيك؟

قالت: إنه يتعاهدني من كذا وكذا، يأتيني بما يُصلحني ويُخرج عني الأذى.

* وقَدِم على عمر بن الخطاب وفد من العراق فيهم الأحنف بن قيس في يومٍ صائف شديد الحر، وعمر محتجر (متعمم) بعباءة يهنأ بعيرًا من إبل الصدقة (أي يطليه بالقطران) فقال: يا أحنف، ضع ثيابك وهلُمَّ، فاعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة، فيه حق اليتيم، والأرملة، والمسكين، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبدًا من عبيد الصدقة فيكفيك؟

فقال عمر: وأي عبد هو أعبد مني، ومن الأحنف؟ إنه مَن ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده في النصيحة وأداء الأمانة.

* وفي يوم من الأيام نادى عمر بن الخطاب: الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس وكثروا صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أيها الناس، لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي القبضة من التمر والزبيب فأظل يومي وأي يوم ثم نزل، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، ما زدت على أن عبت نفسك؟ فقال: ويحك يا ابن عوف!! إني خلوتُ فحدثتني نفسي، فقالت: أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك؟! فأردت أن أعرفها نفسها.

* * *

حرصه على جلب الخير للأمة

أصدر عمر رضي الله عنه قانونًا يمنع غش اللبن بخلطه بالماء، ولكن هل تستطيع عين القانون أن ترى كل مخالف، وأن تقبض على كل خائن وغاش؟!

القانون أعجز من هذا؛ فإن عين الإنسان لها حدود لا تتجاوزها أما عين الله فلا يعجزها شيء فالإيمان بالله والمراقبة له هو الذي يعمل عمله في هذا المجال.

وهنا تُحكى القصة المشهورة حكاية الأم وابنتها: الأم تريد أن تخلط اللبن طمعًا في زيادة الربح، والبنت المؤمنة تذكرها بمنع أمير المؤمنين لهذا الأمر، فتقول الأم: وهل أمير المؤمنين يرانا؟ فترد الابنة بهذا الجواب الذي نبع من قلب مؤمن بالله، ويعلم أن الله مطلع عليه، قالت: إن كان أمير المؤمنين لا يرانا، فرب أمير المؤمنين يرانا، فما كان من عمر الذي سمع تلك المقالة من هذه الفتاة الصالحة المراقبة لله عز وجل إلا أن قام إلى أولاده، وقال: ليذهب أحدكم إلى تلك الفتاة فليتزوجها، فإني لأرجو الله أن يخرج من أصلابها رجلاً يوحد الله به كلمة المسلمين وكان الذي توقعه عمر رضي الله عنه، فقد تزوجها ابنه عاصم، فأنجبت له بنتًا سموها ليلى وكنّوها بأم عاصم، ثم تزوجت ليلى بعبد العزيز بن مروان، فأنجبت له الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الذي قاد المسلمين إلى كل خير... وهكذا تكون نتيجة المراقبة لله جل وعلا.

أمنية عُمرية

وها هو عمر بن الخطاب يتمنى تلك الأمنية العجيبة الفريدة.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: تمنّوا.

فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا أنفقه في سبيل الله وأتصدق.

وقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجدًا وجوهرًا فأنفقه في سبيل الله وأتصدق.

ثم قال عمر: تمنوا.

فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: أتمنى لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ ابن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وحذيفة بن اليمان[1].

وحان وقت الرحيل

أصبحت الدولة الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه دولة عظيمة مترامية الأطراف نعمت بالرخاء والازدهار وأنشأ عمر الدواوين والبريد ونظَّم الفيء وأمر ببناء مدن جديدة مثل: الكوفة، والبصرة، والفسطاط، وجعل لكل قُطرٍ واليًا وعاملاً للصدقات وقاضيًا، ووضع للقضاء شروطًا دقيقة، مثل: العلم بالقرآن والسنة، والاستقامة وحسن الخلق، وعدم المجاملة.

وكان عمر دائم التفكير في رعيته وفي عِظَم مسئوليته أمام ربه يوم القيامة؛ ولذا قال لمن حوله: «لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية عامًا، فإني أعلم أن للناس حوائج تُقطَع دوني، وأما عُمالهم فلا يرفعونها إليَّ، وأما هم فلا يصلون إليَّ، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير على الجزيرة (العراق) فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى . . . .».

وذات يوم قام عمر من نومه ليروي للمسلمين رؤيا رآها في نومه، فلقد رأى في نومه كأن ديكًا نقره نقرتين، والديك عند العرب، هو الأجنبي، فقال عمر: يرزقني الله الشهادة، ويقتلني أعجمي[2].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٦) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) الأعجمي: هو الرجل الذي لا يكون من العرب.

وتمر الأيام والصحابة يشعرون بالحزن والقلق الشديد بسبب تلك الرؤيا فهم يعلمون أن عمر صادق في رؤياه ولكنهم كانوا يتمنون طول البقاء لأمير المؤمنين عمر ولو كان ذلك على حساب أعمارهم... ولكن آن الآوان ليفوز الفاروق بالشهادة التي بشّره النبي ﷺ بها قبل ذلك.

فلقد اشتد غيظ الكفار والمنافقين، وزاد حقدهم وهم يرون دولة الإسلام شامخة قد عمّ الرخاء أرجاءها، وجيوشها تنتقل كل يوم من فتح إلى فتح فيزداد الإسلام قوة وانتشاراً ففكروا في مؤامرة لقتل أمير المؤمنين عمر فاجتمع ثلاثة من الموالي هم: الهُرمزان الفارسي، وجُفَينة النصراني، وأبو لؤلؤة المجوسي الذي قام بالتنفيذ.

فقد استغل أبو لؤلؤة انشغال عمر رضي الله عنه بتنظيم صفوف المسلمين في صلاة الفجر فوقف خلفه، وبمجرد أن كبّر عمر للصلاة تقدم أبو لؤلؤة وطعنه بخنجر وراح يطعن كل من اعترضه من المسلمين؛ حتى قتل سبعة وأصاب ستة، وبعد ذلك ألقى عليه أحد المسلمين ثوبًا أسود فوقع على الأرض فطعن نفسه بالخنجر.

وسقط عمر فأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف ليصلي بالناس وقام إليه جماعة من المسلمين فحملوه حتى أدخلوه بيته وهو مغشى عليه ينزف جرحه، فلما تنبّه سأل: أصلّى الناس؟ فقالوا: نعم، فقال رضي الله عنه: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، ثم دعا بماء فتوضأ وصلى ودماؤه تنزف من جرحه ثم سأل عمّن طعنه فقالوا: أبو لؤلؤة المجوسي فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي (وفاتي) بيد رجل يدّعي الإسلام.

ثم جعل عمر الخلافة شورى في الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، ورأى عمر أن هؤلاء الستة أحق الناس بهذا الأمر، وهم: عثمان وعليّ وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد

الله، وسعد بن أبي وقاص. ثم أرسل إلى أم المؤمنين عائشة يُقرئها السلام ويستأذنها أن يُدفَن مع صاحبيه - رسول الله ﷺ وأبي بكر -، فأذنت له، فسعد بذلك وظل يردد ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾. وأوصى من حوله قائلاً: أوصيكم بكتاب الله فإنه لن تضلوا ما اتبعتموه وأوصيكم بالمهاجرين والأنصار والأعراب وأهل الذمة.

وفي يوم الأحد صبيحة هلال شهر المحرم سنة (٢٤هـ) حُمل الفاروق ليُدفن بجوار النبي ﷺ وأبي بكر بعد أن ملأ الأرض رحمة وعدلاً[1].

وهكذا رحل فاروق الأمة الأكبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي ملأ الدنيا زهداً وعدلاً ورحمة.

مات الرجل الذي قال عنه النبي ﷺ: «لو كان نبيٌّ بعدي لكان عمر».

مات أحد المبشرين بالجنة.

مات الرجل الذي كان إسلامه فتحًا وكانت هجرته نصراً وكانت ولايته عدلاً.

ولا نملك عند وداع هذا الصحابي الجليل إلا أن نقول له: جزاك الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فكم تعلمنا من سيرتك العطرة التي فاح عبيرها في الدنيا كلها وكم تعلمنا من مواقفك الخالدة التي سطَّرتها على جبين التاريخ بسطور من النور. فلن ننساك أبداً ما دامت أرواحنا في أبداننا.

* رضي الله عن عمر بن الخطاب وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٣٩- ٤١).

عثمان بن عفان رضي الله عنه



عثمان بن عفان رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابي الجليل.

إنه الرجل الذي يندر وجوده في كل العصور والأزمان.

إنه الرجل الذي تستحي منه ملائكة الرحمن.

إنه الرجل الذي فاحت سيرته بـريح الحياء والزهد والورع والجود والكرم والبذل والتضحية والطاعة والخشية.

إنه الرجل الذي اشترى بئر رومة ليشرب المسلمون من مائها.

إنه الرجل الذي جهز جيش العُسرة.

إنه الرجل الذي بذل نـفسـه ومـاله وكل مـا يمـلك لنُصـرة هذا الدين ولمواساة إخوانه المؤمنين.

إنه الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

من هنا نبدأ

لقد وُلد عثمـان بن عفان رضي الله عنه بعد عام الفيل بستـة أعوام أي أنه أصغر من النبي ﷺ بستة أعوام وذلك لأن النبي ﷺ وُلد في عام الفيل.

ونشأ عثمان نشأة طيبة مباركة فلقد تربّى على مكارم الأخلاق فلم يسجد لصنمٍ أبدًا ولم يشرب الخمر في الجاهلية ولم يشارك شباب مكة في أي نوع من اللهو والمجُون الذي كان منتشرًا في ذلك الوقت.

ولم يقترف فاحشة قط ولم يظلم إنسانًا قط.

ولذا كان عثمان هو فتى قريش الأول . . . فلقد كان شريف النسب في قومه كريم الأخلاق غنيًا كريمًا وكان أهل قريش يحبونه حبًا جمًا فلقد كان معروفًا بصدقه وأمانته ووفائه .

وكان قد تعلَّم القراءة والكتابة واشتغل بعد ذلك بالتجارة فكان معروفًا بحسن الخلق ولين المعاملة والصدق والأمانة وكان من شدة حب قريش له .
كانت المرأة من قريش إذا أرادت أن تداعب طفلها تقول له :

أُحِبُّكَ والرَّحْمَن
حُبَّ قُرَيْشٍ لِعُثْمَان

* ولما كان معروفًا بالصدق والأمانة وحسن الخلق أقبل الناس على تجارته فربحت تجارته وصار بعد ذلك من أغنياء مكة الذين يُضرب بهم المثل في الصدق والأمانة والجود والإيثار .

إسلامه رضي الله عنه

ولقد كان عثمان بن عفان رضي الله عنه تربطه صداقة وصلة وثيقة بأبي بكر الصديق قبل الإسلام . . . ولا عجب في هذا فالأرواح جنودٌ مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف . . . فقد كان أبو بكر وعثمان من أقرب الناس شبهًا بأخلاق الرسول ﷺ .

وكانت أرض الجزيرة قد امتلأت بالشرك والظلم والكثير من العادات الجاهلية . . . فكان عثمان يشتاق من أعماق قلبه لطوق النجاة الذي يُخرج الناس من الظلمات إلى النور .

وما هي إلا فترة يسيرة حتى بُعث الحبيب ﷺ وكان عثمان رضي الله عنه من السابقين الذين أسلموا قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم .

ولإسلام عثمان بن عفان قصة ما زال يرويها الرواة .

ذلك أنه حين بلغه فى الجاهلية أن محـمد بن عبد الله زوَّج ابنته رُقية من ابن عمهـا عتبة بن أبى لهب ندم أشد الندم لأنه لم يسبق إليها... ولم يحظَ بخُلقها الرفيع ونسبهـا الكريم فقد كانت من بيت عُرف بمكارم الأخلاق فذهب عثمان إلى أهله مهـمومًا لأنه كان يتمنى أن يتزوج من رقيـة بنت محمد بن عبد الله الذى كان معروفًا بين قومه بأنه الصادق الأمين، وبينما كان عثمان جالسًا مع أهله إذ دخلت عليهم خالته سُعدى بنت كُريز وكانت امرأة كبيرة فى السن عاقلة فأخذت تكلمه وتكشف عنه تلك الهموم ثم بشَّرته بظهور نبى يُبطل عبادة الأصنام ويدعو الناس إلى عبادة الواحد الديَّان... فبشرته بأنه سيكون من أتباع هذا النبى ﷺ وأنه سيتزوج ابنته.

فظل عثمان يفكر فيما قالته خالته، ثم ذهب إلى صديقه وحبيبه أبى بكر الصديق وأخبره بما قالته خالته.

فقال له أبو بكر: صدقت خالتك فيما أخبرتك وبشرتك به.

فلقد بُعث النبى ﷺ برسالة السماء ليدعو الناس إلى ترك الأصنام وإلى عبادة الرحمن جل وعلا وإنك يا عثمان رجل عاقل لا يخفى الحق عليك... وإنك تعلم أن قومنا قد ضلوا يوم أن عبدوا تلك الأصنام التى لا تنفع ولا تضر... والتى صنعوها بأيديهم من الحجارة.

فقال عثمان: ومن هذا النبى يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: إنه محمد بن عبد الله ﷺ... إنه الصادق الأمين.

فقال عثمان: فهل لك أن تصحبنى إليه؟

فقال: نعم... ومضينا إلى النبى ﷺ فلما رآنى قال: «أجب يا عثمان داعى الله... فإنى رسول الله إليكم خاصة، وإلى خلق الله عامة...».

قال عثمان: فو الله ما إن ملأت عينى منه، وسمعت مقالته؛ حتى

استرحتُ له، وصدقت رسالته ثم شهدتُ أن لا إله إلا الله... وأن محمداً عبده ورسوله.

زواج عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ

ولم يؤمن بالنبي ﷺ أحدٌ من قومه بنى هاشم حتى هذه اللحظة غير أنه لم يكن فيهم أحدٌ يعلن العداوة على النبي ﷺ غير عمه (أبى لهب).

فقد كان هو وزوجته (أم جميل) من أشد الناس عداءً لرسول الله ﷺ فكان أبو لهب يحذر الناس منه فى كل مكان وكانت أم جميل تؤذى النبي ﷺ وتلقى الشوك فى طريقه ﷺ.

فأنزل الله فيه وفى امرأته: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1].

فازداد أبو لهب حقداً وحسداً للنبى ﷺ وجلس هو وزوجته أم جميل يفكران فى إيذاء النبي ﷺ فقررا أن أفضل شيء هو إيذاء النبى ﷺ فى ابنته رقية فأمرا ابنهما (عُتبة) بأن يُطلِّق زوجته رقية بنت محمد ﷺ فطلقها ولم يكن قد دخل بها، وكان هذا من إكرام الله لرسول الله ﷺ وابنته رقية.

وما إن سمع عثمان بخبر طلاقها حتى كاد أن يطير قلبه من شدة الفرح فأسرع إلى بيت رسول الله ﷺ وطلب منه أن يزوجه من ابنته رقية فوافق النبي ﷺ وزوّجه من رقية وقامت أمها خديجة رضي الله عنها وزفّتها إلى زوجها عثمان بن عفان وكان عثمان من أجمل الناس وجهًا وكانت رقية تشبه عثمان فى الجمال والحياء فكان الناس يقولون:

---

(١) سورة المسد.

أحـــــسن زوجـــــين رآهمــــا إنســــان
رُقَــــيَّةُ وزوجــــهــــا عــــثــــمــــان

صبره على الإيذاء

وما أن علم المشركون بخبر إسلام عثمان بن عفان حتى تحوَّل حُبهم له إلى كراهية شديدة فأذاقوه من العذاب ألوانًا.

فلقد علموا أن إسلام عثمان سيكون سببًا في إسلام أكثر شباب مكة الذين كانوا يحبونه حبًا جمًا.

* وكان أكثر الناس إيذاءً لعثمان هو عمه (الحكَم بن أبي العاص) الذي كان يربطه ويمنع عنه الطعام ويقول له: لا تزال على ذلك حتى تترك دين محمدٍ وترجع إلى دين الآباء والأجداد.

فيأبى عثمان أن يعود إلى الشرك... فاستشاط عمه غضبًا فكان يلفّ عثمان في الحصير ثم يوقد النار من تحته حتى يكاد عثمان أن يختنق من الدخان.

وكان كلما ازداد عمه تعذيبًا له كلما ازداد عثمان تمسكًا بدين الله جل وعلا حتى يئس منه عمه فتركه ولم يستطع أن يصده عن دينه.

الفرار إلى الحبشة

ولما علمت قريش أن عم عثمان بن عفان لم يستطع أن يصده عن الإسلام وأن يرده إلى عبادة الأوثان ازدادوا حقدًا وكرهًا لعثمان فآذوه هو وزوجته رقية أشد الإيذاء.

فلما رأى النبي ﷺ ذلك أشار على أصحابه بالهجرة إلى بلاد الحبشة فإن فيها ملكًا لا يُظلَم عنده أحد.

فهاجر عثمان وزوجته رقية إلى الحبشة وكان النبي ﷺ حزينًا لفراق ابنته وزوجها وكانت خديجة تبكي لفراق ابنتها.

وكان عثمان وزوجته رقية أول زوجين يهاجرا بعد نبي الله لوط عليه السلام... وظل عثمان ورقية في بلاد الحبشة حتى وصلت إليهما الأخبار بأن أهل مكة قد أسلموا فعادا إلى مكة فوجدا أن أهل مكة ما زالوا على الشرك... فلما علمت قريش بعودة عثمان وزوجته رقية سلطوا عليهما أشد أنواع الإيذاء.... فما كان من عثمان إلا أن صبر هو وزوجته واحتسبا ذلك عند الله جل وعلا.

وبعد فترة قصيرة نامت أمنا خديجة على فراش الموت وفاضت روحها إلى بارئها جل وعلا وحزنت رقية حزنًا شديدًا على موت أمها وحزن عثمان لوفاتها حزنًا شديدًا.

* ولكن سرعان ما عوضهما الله خيرًا فقد أنجبت له رقية طفلاً جميلاً سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله.

الهجرة إلى المدينة

ولما استمرت قريش في تعذيبها وإيذائها للنبي ﷺ وأصحابه أذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة فهاجر عثمان وزوجته رقية وبعد فترة يسيرة هاجر النبي ﷺ خلفهما وعاشوا جميعًا أسعد أيام العمر في صحبة النبي ﷺ وفي ظل الأمن والأمان في المدينة المنورة.

غزوة بدر

وبعد فترة يسيرة من الهجرة إلى المدينة مرضت رقية بنت رسول الله ﷺ مرضًا شديدًا... وتمر الأيام وتأتي غزوة بدر ونادى منادي الجهاد يا

خيل الله اركبي يا خيل الله اثبتي. . . وتجهَّز عثمان للخروج إلى الجهاد في سبيل الله جل وعلا ولكن رقية كانت قد ازدادت مرضاً وبخاصة بعد وفاة ابنها عبد الله. . . فما كان من النبي ﷺ إلا أن ترك عثمان بجوار زوجته رقية ليقوم على رعايتها في فترة مرضها. . . وخرج النبي ﷺ وأصحابه لغزوة بدر وكتب الله النصر للمسلمين. . . ولما قام النبي ﷺ بتوزيع الغنائم أعطى عثمان نصيبه من الغنائم وعدَّه النبي ﷺ من أهل بدر الذين حضروا هذه الغزوة.

وعاد المسلمون من بدر وهم في قمة الفرح لهذا النصر الكبير ولكن ما إن وصل المسلمون إلى المدينة حتى علم النبي ﷺ بوفاة ابنته رقية رضي الله عنها وهكذا اختلطت الفرحة بالدموع والأحزان.

عثمان يتزوج أم كلثوم بنت النبي ﷺ

وظل عثمان فترة بلا زوجة. . . ولما تأيمت حفصة بنت عمر بن الخطاب - أي مات زوجها - ذهب عمر بعد مرور عدتها ليعرضها على عثمان لكي يتزوجها فرفض عثمان بأسلوبٍ رقيق فحزن عمر وذهب إلى النبي ﷺ يشتكي إليه رفض عثمان لابنته فتبسم النبي ﷺ وقال لعمر: يتزوج حفصة من هو خيرٌ من عثمان ويتزوج عثمان من هي خيرٌ من حفصة.

فتزوج النبي ﷺ من حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.

وتزوج عثمان من أم كلثوم بنت النبي ﷺ فقد ظلت بلا زوج منذ أن طلقها ابن أبي لهب وكان لم يدخل بها فكأنما ادخرها الله لعثمان لكي تكون زوجة له.

* ولما تزوجها عثمان أصبح يُلقَّب بذي النورين لأنه تزوج بابنتي رسول الله ﷺ ولم يتزوج أحدٌ بابنتي نبي إلا عثمان بن عفان.

وعاش عثمان أسعد حياة مع أم كلثوم بنت النبي ﷺ حتى تجددت الأحزان مرة أخرى وتوفيت أم كلثوم في العام التاسع للهجرة فحزن عثمان حزنًا شديدًا لأنه يعلم أن النبي ﷺ ليس عنده بنت أخرى ليتزوجها... وأحسَّ النبي ﷺ بآلام عثمان فقال: «لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان»[1].

جهاده في سبيل الله (جل وعلا)

ولقد شهد عثمان بن عفان المشاهد والغزوات كلها مع رسول الله ﷺ فيما عدا غزوة بدر كما ذكرنا.

ولم يتأخر عثمان لحظة واحدة عن البذل والعطاء لخدمة هذا الدين العظيم.

صور مشرقة من بذله وإنفاقه

ولقد كان عثمان بن عفان فارسًا في ميدان البذل والجود والإنفاق فقد جعل ماله كله لخدمة الإسلام والمسلمين منذ أن أسلم وإلى أن فاضت روحه إلى بارئها جل وعلا.

* فأما عن الصورة الأولى لبذله وإنفاقه فإنه لما هاجر أصحاب الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة كانوا يشكون من قلة الماء العذب في المدينة وكانت أعذب بئر يملكها رجل يهودي وكان يبيع الماء للمسلمين بثمنٍ باهظ وكانت البئر اسمها بئر رومة فقال النبي ﷺ: «من يشتري لنا بئر رومة وله الجنة»[2]. فما كان من عثمان إلا أن ذهب إلى ذلك الرجل اليهودي وطلب منه أن يبيع له بئر رومة فأبى ذلك الرجل اليهودي إلا أن يبيع نصف البئر لعثمان باثني عشر ألف درهم وهو مبلغ كبير جدًا فما كان من عثمان إلا أن ذهب وأحضر المال وأعطاه لذلك الرجل اليهودي ليشتري نصف البئر على

---

(١) رواه ابن حنبل في فضائل الصحابة ج١/ ص٤٨٢ ح٧٨٢.

(٢) صحيح: رواه البخاري معلقًا في كتاب المساقاة، والترمذي موصولاً (٣٦٩٩) كتاب المناقب.

أن يكون البئر يومًا للمسلمين ويومًا لذلك الرجل اليهودى.

وفى يوم المسلمين كان المسلمون يشربون ويدخرون الماء لليوم التالى فأصبح اليهودي لا يجد من يبيع له الماء فى اليوم التالى فاضطر لبيع النصف الثانى لعثمان بن عفان بثمانية آلاف درهم فأصبحت البئر خالصة للمسلمين يشربون من مائها العذب كيفما شاءوا.

* وأما عن الصورة الثانية لبذله وإنفاقه فكانت عندما طلب النبى ﷺ من المسلمين أن ينفقوا من أجل توسيع المسجد فقال ﷺ: «من يوسع لنا مسجدنا هذا وله بيت فى الجنة»[1] فما كان من عثمان إلا أن قام بشراء الأرض المجاورة للمسجد بعشرين ألف درهم وأضافها إلى المسجد.

* وأما عن الصورة الثالثة فكانت يوم أن دعا النبى ﷺ أصحابه لتجهيز جيش العُسرة الذى سيخرج لغزوة تبوك ليحارب الروم الذين كانوا فى ذلك الوقت أكبر دولة.

فجاء عمر بنصف ماله وجاء أبو بكر بماله كله فلما سأله النبى ﷺ يا أبا بكر ماذا تركت لأهلك وأولادك؟

قال له: تركت لهم الله ورسوله.

وقام النبى ﷺ يخطب فى الناس ليحضهم على الصدقة.

فجاء عثمان وقال له: يا رسول الله علىَّ مائة بعير بجهازها.

ثم قام النبى ﷺ يخطب فى الناس فجاء عثمان وقال: يا رسول الله علىَّ مائة أخرى وفى المرة الثالثة جاء عثمان وقال: يا رسول الله علىَّ مائة ثالثة ثم جاءه للمرة الرابعة ووضع فى حجره ألف دينار فقال ﷺ: «ما ضرَّ عثمان ما

---

(١) أخرجه أحمد (١/٥٩)، والنسائى (٣٦٠٩)، والدارقطنى (٤/١٩٨)، وابن أبى عاصم (٢/٥٩٥)، والضياء (١/٥٢٨).

عمل بعد هذا أبدًا»[1] ثم قال: «اللهم إني أمسيت راضيًا عن عثمان فارضَ عنه».

* وأما الصورة الرابعة... فبعد حجة الوداع أمر رسول الله ﷺ بتجهيز جيش لإنفاذه إلى القبائل المجاورة لأرض الروم فجاء عثمان بمائة وتسعة وأربعين بعيرًا بأحمالها ثم جاء بستين فرسًا ولكن الرسول ﷺ مرض واشتد عليه المرض فانتظر الجيش ولم يخرج إلا بعد وفاة الرسول ﷺ.

* وأما عن الصورة الخامسة لبذله وإنفاقه... فإنه بعد وفاة النبي ﷺ حدث قحطٌ شديد في زمن أبي بكر فقال لهم أبو بكر: إن شاء الله لا تُمسون غدًا حتى يأتيكم الفرج من عند الله.

فلما كان صباح الغد قَدِمت قافلة كبيرة لعثمان وكانت مُحمَّلة بكل أصناف الطعام فجاء التجار إلى عثمان وقالوا له: ندفع لك ضعف الثمن.

فقال: لا.

قالوا: ندفع لك ضعفي الثمن.

فقال: لا.

فقالوا: ندفع لك خمسة أضعاف الثمن ولا نعلم تاجرًا في أرض الجزيرة يعطي أكثر من هذا.

قال: بل لقد وجدت من يعطيني عشرة أضعاف الثمن وبعتها له.

قالوا: بعتها لمن؟

قال: بعتها لله الذي يجزي على الحسنة بعشرة أضعافها وتصدقت بتلك القافلة على فقراء أهل المدينة بلا ثمن ولا حساب.

كان رضي الله عنه يعتق كل جمعة عبدًا ويحرر رقبة

وما كان البذل الذي يبذله رضي الله عنه ليقف أبدًا عند تجهيز جيش العُسرة أو

(١) صحيح: رواه الترمذي (١ - ٣٧) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣٢٧).

حفر بئر رومة، بل لقد كان دومًا وأبدًا مواسيًا لكل مسلم في كُربته ومُعينًا له في محنته ومُعينًا له في فقره وحاجته.

يمضي رضي الله عنه مع نفسه موثقًا لا يُخلفه طوال حياته: هو أن يعتق كل جمعة عبدًا ويحرر رقبة... يشترى العبد من سيده بأى ثمن، ثم يهبه حريته مبتغيًا وجه ربه الأعلى[1].

حياء عثمان رضي الله عنه

لقد كان عثمان قمة في الحياء حتى قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «أحيا أمتي عثمان بن عفان».

* وها هي أمنا عائشة تروى لنا هذا المشهد العجيب وتقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوّى ثيابه فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تُباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تُباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك! فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[2].

* ولذا كان الحسن البصري رحمه الله يخبر عن عثمان ويقول: كان عثمان في بيته ليس معه أحد، والباب عليه مُغلق، ولم يكن يضع ثوبه ليفيض عليه الماء، فكان الحياء يمنعه من ذلك.

الحبيب صلى الله عليه وسلم يبشره بالشهادة وبالجنة

وها هي البشرى بالشهادة وبالجنة يزفُّها إليه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم.

---

(١) خلفاء الرسول/ أ. خالد محمد خالد (صـ ٢٤٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠١) كتاب فضائل الصحابة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[١].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «أن النبي ﷺ دخل حائطًا - بستانًا - وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجلٌ يستأذنُ فقال: ائذن له وبشِّره بالجنة فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال له: ائذن له وبشِّره بالجنة فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذنُ فسكت هنيهة ثم قال: ائذن له وبشرهُ بالجنة على بلوى ستصيبه فإذا عثمان بن عفان»[٢].

عبادته رضي الله عنه

ولقد كان عثمان رضي الله عنه قمة في العبادة فكان يُكثر من الصلاة والصيام والذكر وقراءة القرآن فقد كان يحفظ القرآن كله، بل وستعجب عندما تعلم أن عثمان كان يصلي كل يوم بالقرآن كله في ركعة الوتر.

ولهذا قال ابن عمر رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٣].

قال: هو عثمان بن عفان.

خوفه وخشيته رضي الله عنه

كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر يبكي حتى يبلَّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر فتبكي؟ فقال: إني سمعت رسول

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٩٥) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٠٣).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٩).

الله ﷺ يقول: «القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه، فما بعده أيسر، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد».

قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه»[1].

وعن عبد الله بن رومي، قال: «بلغني أن عثمان ﷺ قال: «لو أني بين الجنة والنار، ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير».

موقفه عند وفاة أبي بكر

وتمر الأيام ويموت الحبيب المصطفى ﷺ ويحزن عليه عثمان بن عفان حزنًا شديداً لكن عزاء عثمان أن النبي ﷺ قد مات وهو راضٍ عنه، ثم أصبح أبو بكر خليفة على المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ وكان يحب عثمان كثيراً ويعرف قدره ومكانته وكان يُقربه ويستشيره في كثيرٍ من الأمور التي تخص شئون المسلمين.

ولما دنا أجل الصديق ﷺ وقد أكرمه الله عز وجل بالقضاء على فتنة المرتدين وكثرت الفتوحات الإسلامية في عهده وساق الله على يديه الخير الكثير للإسلام والمسلمين فأحسَّ أنه من الأفضل أن يستخلف رجلاً من بعده يكمل مسيرة الإصلاح ونشر الدعوة ويأخذ بأيدي الناس إلى جنة الرحمن جل وعلا.

ولا شك أن اختيار هذا الرجل قبل وفاة الصديق سيُجنب المسلمين محنة الاختلاف على الخليفة القادم.

وهنا جاء القرار الحاسم من الصديق ﷺ فدعا عثمان بن عفان ﷺ وقال اكتب:

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٨-٢٣) وابن ماجه (٤٢٦٧) كتاب الزهد وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٦١).

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب... إني استخلفت عليكم....

ثم غُشي عليه.

فكتب عثمان: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب.

فلما أفاق أبو بكر قال: اقرأ عليّ، فقرأ عليه، فكبَّر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفس في غشيتي.

قال: نعم.

قال: جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله.

وأقرها أبو بكر ﷺ وأمره أن يخرج على الناس بالكتاب فبايعوه لمن فيه قد علموا أنه عمر.

مقتل أمير المؤمنين عمر ومبايعة عثمان بالخلافة

* ولما تولى عمر الخلافة كان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب من أقرب الناس إليه... وكان يستشيرهم في أدق الأمور.

* وتمر الأيام ويُقتل عمر بن الخطاب ﷺ فلما طُعن عمر بن الخطاب أوصى أن يكون الأمر من بعده شورى في الستة الذين مات النبي ﷺ وهو راضٍ عنهم وهم: عثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة ابن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وفوَّض أهل الشورى عبد الرحمن بن عوف بعد أن خلع نفسه من بين المرشحين للخلافة في اختيار أحدهم بعد مشاورة المسلمين... أخذ عبد الرحمن يوازن بين

هؤلاء الخمسة وانتهى إلى انتخاب فاز فيه عثمان برأى طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص ثم أخذ عبد الرحمن يستشير الأمة من ذوى الرأى من المهاجرين والأنصار وعامة الناس حتى أخذ رأى النساء والولدان والركبان من الأعراب الواردين إلى المدينة؛ فرأى الناس يختارون عثمان لما له من مكانة فى قلوب الأمة الإسلامية ومحبة الناس له وميلهم إليه، ورغبتهم فى ولايته، ورضائهم بحكمه وخلافته عليهم.

فلما رأى عبد الرحمن ذلك بايع عثمان ثم تبعه عليّ وباقى الخمسة أصحاب الشورى ثم بايعه الناس بيعة عامة فى المسجد[1].

خلافته الراشدة

ولما تولى عثمان الخلافة بعد مقتل عمر كان حريصًا على أن يسير على نهج أبي بكر وعمر فى العدل والرحمة.

فكان رحيمًا بالمسلمين يتفقد أحوالهم ويسأل عنهم ويعرف مشكلاتهم ويسعى لراحة الناس من حوله فإن غاب أحد اطمأن عليه وكان متواضعًا مع الفقراء والمساكين وكان يسير فى الأسواق ليسأل الناس عن أخبارهم وأسعار طعامهم وكان يزور المرضى وينام فى المسجد أحيانًا فيقوم وقد أثَّر الحصير فى جنبه كما حدث للنبى ﷺ.

وفى خلافته كثر الناس بالمدينة واتسعت وكثر المال واغتنى الناس فى عهده حتى كان المنادى يأتى إليهم ويناديهم: أيها الناس هَلُمُّوا إلى عطاياكم أيها الناس أقبلوا على أرزاقكم هيا إلى السمن والعسل فيذهبون ويأخذون السمن والعسل والقماش والمسك والزبيب حتى امتلأت بيوت المسلمين بالخيرات ولم يكن فى ذلك الوقت مؤمن يخاف مؤمنًا وإنما كان المؤمن يألف

---

(١) الخلفاء الراشدون (ص ٥٠).

أخاه المسلم ويوالاه وينصره ويحبه لله.

* وعلى الرغم من أن عثمان كان من أكثر الناس بعيراً وشياهًا قبل الخلافة إلا أنه كان بعد الخلافة ينفق كل أمواله على الناس حتى لم يبق له غير بعيرين حَجَّ عليهما إلى بيت الله الحرام.

* ولقد ازدادت مساحة البلاد الإسلامية في عهده وفتح الله على المسلمين بلاداً كثيرة.

صفحة مشرقة من عدله ورحمته

وها هي صفحة ناصعة البياض من عدله رضي الله عنه:

إنه عثمان الرحيم الذي تشعُّ الرحمة في حياته وتكون نبراسًا لكل تصرفاته يغضب على خادم له يومًا فيفرك أذنه حتى يوجعه، ثم سرعان ما يدعو خادمه ويأمره أن يقتص منه فيفرك أذنه ويأبى الخادم ويأمره في حزم قطيع: «اشدد يا غلام، فإن قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة».

إقامة عثمان رضي الله عنه الحدود على القريب والبعيد

من عظام الأعمال وكبارها في خلافته ظهور حدود الله تعالى.

فهذا الوليد بن عقبة من أقرب الناس إليه، إنه أخوه لأمه، ومع ذلك لم تأخذه شفقة عليه ولا رحمة.

* وكان عثمان يصلي طوال الليل ويتهجد وكان لا يوقظ خدمه أبداً على الرغم من أنه شيخ كبير في السن يحتاج لمن يساعده فإذا قيل له: لماذا لا توقظ خادمك ليعينك على وضوئك يقول: نستخدمهم بالنهار وندعهم بالليل ليستريحوا فيه.

الفتوحات الإسلامية فى عهده

واستمرت حركة الفتوحات الإسلامية فى عهد عثمان ففُتحت (همذان) واختار عثمان قادة أكفاء شجعانًا، وتوالت الانتصارات وانتشر الإسلام على أيديهم ففتح أبو موسى الأشعرى مدينة الرى، وفتح الوليد بن عقبة بلاد أذربيجان وأرمينية، وفتح عبد الله بن أبى السرح مدينة إفريقية وفتح سعيد ابن العاص مدينة طبرستان وغزا شمال فارس وفتح عبد الله بن عامر مدينة خُراسان، وأطراف بلاد فارس ومدينتى سجستان وكرمان وفُتحت مدن سابور وأرجان وأصبهان والحبشة وفتحت جزيرة قبرص ومالطة.

كما أمَّن عثمان حدود الدولة الإسلامية من غارات الروم وألحقت جيوشه بهم الهزائم المتعددة التى جعلتهم يتوقفون عن الإغارة على المدن الإسلامية المجاورة لهم ولأول مرة فى تاريخ الأمة الإسلامية أُنشئت البحرية الإسلامية فقد أذن عثمان لواليه على الشام معاوية بن أبى سفيان بالغزو البحرى، كما سمح لواليه على مصر أيضًا عبد الله بن أبى السرح بالغزو البحرى وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد رفض ذلك خوفًا على المسلمين الذين لم يكن لهم وقتها خبرة بالبحر واشترط عثمان على قادة جيوشه إلا يُرغم أحدًا على الغزو فى البحر فمن اختار الغزو طائعًا حُمِل وأُعين.

وقد حقق الأسطول البحرى الإسلامى انتصارات كبيرة كمعركة ذات الصوارى وهزم الأسطول البيزنطى أكبر الأساطيل البحرية فى العالم آنذاك، كما فتح بعض جزر البحر الأبيض المتوسط فدخلها الإسلام[1].

جمع القرآن فى عهده

ولعل من أعظم الأعمال التى قام بها عثمان بن عفان هى جمع القرآن فى مصحف واحد.

(١) الخلفاء الراشدون (ص ٥٣- ٥٤).

فقد كان عدد المسلمين يزداد يومًا بعد يوم وكان القرآن قد أُنزل على النبي ﷺ على سبع قراءات وكان غير العرب ينطقون القرآن بطريقة مختلفة تمامًا عن نطق العرب فخشي عثمان من أن تختلف الأمة على القرآن وبخاصة بعدما قدم عليه الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان من سفرٍ فقد كان يجاهد في أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فرأى اختلاف الناس في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القُرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصُّحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفقٍ بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق[1].

توسيع المسجد النبوي الشريف والمسجد الحرام

ولما رأى عثمان ازدحام الناس في المسجد النبوي والمسجد الحرام أصدر قرارًا بتوسيع المسجدين حتى يتسع لأكبر عددٍ من المصلين وذلك من باب التيسير على الناس.

* * *

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٨٧) كتاب فضائل القرآن عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

اتساع الدولة الإسلامية فى عهده

وقد أصبحت الدولة الإسلامية على عهد عثمان أعظم دولة فى العالم، وبلغ الإسلام فى خلافته مشرق الأرض ومغربها وامتدت دولة الإسلام من السند فى الشرق إلى إفريقية فى الغرب، ومن القوقاز فى الشمال إلى الحبشة فى الجنوب غير جزر البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر الذى أصبح بحيرة إسلامية.

بداية الفتنة ومقتل عثمان

وعاش المسلمون ينعمون بالأمن والاستقرار حتى أصبح فى زمانه لكل نفس مسلمة راتب من بيت مال المسلمين إلى أن ظهرت مجموعة من المنافقين والحاقدين على دولة الإسلام فتآمرت على هدمه وتشويه مبادئه وإثارة الخلافات، وبدأت الفتنة بقيادة رجل يهودى تظاهر بالإسلام يُسمَّى عبد الله بن سبأ الذى بدأ هو وأتباعه الكيد للإسلام وأهله، فأخذوا يعيبون على خليفة المسلمين عثمان أنه استعان بأقربائه من بنى أمية مع أن أقرباءه الذين استعان بهم كان قد استعملهم النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وقد أظهروا كفاءة فى الحكم مثل: معاوية والى الشام وهو من كُتَّاب الوحى للنبى ﷺ، وعبد الله بن أبى سرح والى مصر، وعبد الله بن عامر والى البصرة ثم قام هؤلاء المتآمرون بنشر دعوى كاذبة وهى أن عثمان اغتصب الخلافة من الصحابى الجليل على بن أبى طالب مع أن عليًا كان من أول من بايع عثمان بالخلافة.

أخذ عبد الله بن سبأ يتنقل فى الجزيرة العربية لنشر سمومه وأكاذيبه فلم يجد أذنًا مُصغية؛ فانتقل إلى الشام فطُرِد منها، فانتقل إلى الكوفة، وهى معروفة بعصيان أهلها وكثرة شكواهم من ولاتهم، فوجد له فيها أتباعًا، وانطلقت منها شرارة الفتنة وتحققت نبوءة النبى ﷺ حينما أشار إلى شرق

المدينة وقال: «ألا إن الفتنة ها هنا».

ثم استقر ابن سبأ فى مصر وأخذ ينظم مؤامراته ضد عثمان ويذيع ما زعمه من المظالم فى البلدان المختلفة، ويحث الناس على التوجه إلى المدينة المنورة لخلع عثمان رضي الله عنه وطلبوا منه أن يعتزل الخلافة؛ فأبى عثمان رضي الله عنه فقد عَهِد النبى إليه أن لا يخلع نفسه عن الخلافة؛ إذ قال له ﷺ يومًا: «يا عثمان عسى الله أن يُقَمِّصك قميصًا من بعدي (يقصد الخلافة)؛ فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه»[1] قال ذلك ثلاثًا.

واستمر حصار دار عثمان أكثر من أربعين يومًا، وكان عثمان خلالها شجاعًا هادئًا صابرًا، وعندما جاءه الصحابة ليحاربوا لرفع الحصار عن داره؛ أمرهم بعدم الحرب وطلب منهم لزوم بيوتهم، واشتد الحصار عليه ومنع عنه المتآمرون الزيارة وحرموه وأهل بيته من الطعام والشراب وكان على رضي الله عنه يزاحمهم حتى تقع عمامته ليوصل الماء إليه وإلى أهله ثم جاءه زيد بن ثابت قائلاً: هذه الأنصار كلها بالباب إن شئت نكون أنصار الله مرتين فقال رضي الله عنه: أما قتال فلا.

وأرسل علىٌّ إليه: إن معى خمسمائة دارع (فارس) فأذن لى فأمنعك من القوم، فإنك لم تفعل شيئًا يُستحَلُّ به دمك. فأجابه عثمان: جُزيت خيرًا ما أحب أن يهراق دم فى سبيلى.

وألحَّ عليه الصحابة بعد أن تجمع المهاجرون والأنصار وأبناؤهم أن يأذن لهم فى جهاد المتآمرين، فقال رضي الله عنه: أعزم (أقسم) على من كانت لى عليه طاعة ألا يقاتل.

وضرب عثمان رضي الله عنه المثل فى تضحيته بنفسه فداءً للأمة الإسلامية ومن أجل حقن دماء المسلمين وكبار الصحابة، ولحفظ كيان الأمة وعدم تفرقها.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٠٥) كتاب المناقب، وابن ماجه (١١٢) فى المقدمة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة (١١٧٢).

ويطل عثمان يومًا من داره على المحاصرين يخطبهم ويُذكرهم بمواقفه ويقول: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على جبل أُحد ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فقال ﷺ: «اثبت أُحد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان» قالوا: اللهم نعم، قال: الله أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد».

ثم قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله نظر في وجوه القوم فقال: «من يجهز هؤلاء غفر الله له» يعني جيش العسرة، فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالاً ولا خطامًا؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد».

ثم قال: «أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من حفر رومة (البئر) فله الجنة فحفرتُها؟ ألستُم تعلمون أنه قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزته؟ قال: فصدَّقوه بما قال[2].

ويخبر عثمان من حوله أنه رأى النبي ﷺ في النوم ورأى أبا بكر وعمر وأنهم قالوا له: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، وكان عثمان رضي الله عنه صائمًا فترة حصاره ثم دعا رضي الله عنه بمصحف ففتحه وأخذ يقرأ فيه.

ويتسلق المتآمرون سور الدار، ويتكاثرون على عثمان وتحاول زوجه الدفاع عنه فتُقطع أصابعها، ويضربونه بسيوفهم وهو يقول: «بسم الله توكلت على الله سبحان الله».

وتتساقط قطرات دمه الشريف على هذه الآية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٧٥) كتاب المناقب.

(٢) الخلفاء الراشدون (ص ٥٧ - ٦٠) بتصرف.

وفي اليوم الثالث لاستشهاده رضي الله عنه حمله المسلمون بعد صلاة المغرب لِيُدفن بالبقيع وقد ناهز الثمانين عامًا من عمره(١).

إن الله يدافع عن الذين آمنوا

إن الله عز وجل تكفَّل لأوليائه المؤمنين بالدفاع عنهم في حياتهم، بل وبعد موتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾(٢).

وقال تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب...»(٣).

وها هي صورة مشرقة من دفاع الله عن عثمان رضي الله عنه بعد موته.

هذا غير العذاب الذي سيلاقيه قاتلوه يوم القيامة عند ربهم.

عن أبي قلابة قال: «كنت في رفقة بالشام، وسمعت صوت رجل يقول: «يا ويلاه النار» قال: فقمت إليه وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين، أعمى العينين، منكبًا لوجهه فسألته عن حاله فقال: إني كنتُ ممن دخل على عثمان الدار، فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها، فقال أي عثمان: «مالك، قطع الله يديك، ورجليك، وأعمى عينيك، وأدخلك النار». قال: فأخذتني رعدة عظيمة، وخرجت هاربًا، فأصابني ما ترى، ولم يبقَ من دعائه إلا النار قلت له: بُعدًا لك وسحقًا»(٤).

* بل لقد أخبر يزيد بن حبيب أن أكثر الذين ساروا إلى قتل عثمان بن

---

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٦٠/ ٦١).

(٢) سورة الحج: الآية: (٣٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(٤) الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري (٥٠٧).

عفان رضي الله عنه أُصيبوا بالجنون.

ورحل الشهيد عن دنيا الناس بعد حياة طويلة مليئة بالبذل والتضحية والجهاد والعدل والسماحة والتواضع.

رحل بعد أن سالت دماؤه التي لطالما امتزجت بحب الله وحُب رسوله صلى الله عليه وسلم... سالت دماؤه الشريفة التي انصهرت مع كل آية من آيات القرآن الكريم.

رحل بعد أن قدَّم للإسلام الكثير والكثير.

وها نحن بعد هذا الزمن الطويل نذكره ونذكر أعماله الجليلة، ولن ننساه أبدًا ما دامت أرواحنا في أجسادنا.

* رضي الله عن عثمان بن عفان وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *



علی بن أبی طالب رضی الله عنه



على بن ابى طالب رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع أسد الله الغالب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

إنه أول من آمن من الصبيان في الكون كله.

إنه الرجل الذي تربَّى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

إنه الرجل الذي نام مكان النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الهجرة.

إنه زوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إنه أبو الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

إنه أحد العشرة المبشرين بالجنة.

إنه البطل المجاهد الزاهد الورع العابد الخاشع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

من هنا نبدأ

لما نشأ النبي صلى الله عليه وسلم يتيمًا بعد أن مات أبوه وهو ما زال حملاً في بطن أمه ثم ماتت أمه وهو في السادسة من عمره فكلفه جده عبد المطلب وكان يحبه حبًا جمًا لكن سرعان ما توفي جده.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ من العمر ثمان سنوات،... وكان عبد المطلب قد أوصى ابنه أبا طالب في اللحظات الأخيرة أن يكفل محمدًا صلى الله عليه وسلم

ويرعاه فلما مات عبد المطلب كفل أبو طالب النبي ﷺ وأخذه إلى بيته ليعيش مع أولاده.

وعرفت البركة طريقها إلى هذا البيت

كان أبو طالب فقيرًا وكانت زوجته تشعر بأن أولادها لا يشبعون من الطعام أبدًا فلما عاش الحبيب ﷺ بينهم دخلت البركة لأول مرة فى هذا البيت الكريم وبخاصة في طعام الأولاد إذا أكل معهم الحبيب ﷺ.

فكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعًا أو فُرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يُغديهم أو يُعشيهم يقول: كما أنتم حتى يأتى ابنى، فيأتى رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم.

وإن كان لبنًا شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم تناول القعب - القدح - فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعبًا وحده، فيقول أبو طالب، إنك لمبارك.

* ولما كبر النبي ﷺ أراد أن يرد جميل عمه أبي طالب وأن يخفف عنه شيئًا من الحمل الثقيل الذى يتحمله فاجتمع النبى ﷺ مع أهله وأقاربه واتفقوا على أن يساعدوا أبا طالب فأخذ حمزة بن عبد المطلب جعفر بن أبى طالب ليرعاه وأخذ النبي ﷺ على بن أبي طالب ليربيه ويرعاه فى بيته.

ومن هنا تربّى على بن أبى طالب فى بيت النبى ﷺ وقضى طفولته الجميلة فى بيت النبى ﷺ وزوجته الفاضلة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ومن هنا نشأ (علىٌّ) على حُسن الخلق والشجاعة والزهد والورع.

وكان علىٌّ قد تعلّم القراءة والكتابة وهو صغير وكان مشهورًا بالفصاحة والأدب.

ولقد تأثر عليٌّ بأخلاق النبي ﷺ فلم يشرب خمراً قط ولم يسجد لصنمٍ في الجاهلية ولم يكن يحب اللهو كغيره من الصبيان وإنما نشأ على الأخلاق الكريمة والصفات الجليلة.

وأشرقت شمس الإسلام

وفي وسط هذا الظلام الدامس من تلك الجاهلية التي ملأت أرض الجزيرة أشرقت شمس الإسلام لتُضيء للناس طريقهم إلى الله جل وعلا.

فلقد بُعث النبي محمد ﷺ برسالة الإسلام ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور ونزل عليه جبريل عليه السلام في غار حراء برسالة الإسلام ليُصبح محمد ﷺ نبي آخر الزمان.

وفي التو واللحظة يعود النبي ﷺ إلى خديجة ويعرض عليها الإسلام فتُسلم ثم يعرض الإسلام على (علي بن أبي طالب) فيُسلم وهو ما زال صبياً صغيراً لم يتجاوز الثامنة من عمره.

وكان النبي ﷺ إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيًا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ: يابن أخي! ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: «أي عم. هذا دين الله، ودينُ ملائكته ودين رُسله، ودين أبينا إبراهيم بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عمِّ، أحقُّ من بذلتُ له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه» فقال أبو طالب: أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يصل إليك شيء تكرهه ما بقيت.

وذكروا أنه قال لعلي: أي بُني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبتِ، آمنتُ بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله، واتبعتهُ فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يَدْعُك إلا إلى خير، فالزمه[١].

ولما كانت حياته في بيت النبي ﷺ فإنه عرف جميع أموره الداخلية ودرس أحواله وأخلاقه عن قرب، وشرب من مشربه، وتربى على أخلاقه ﷺ وعاداته، وتصرفاته، فلبس ثياب الطهر في صغره، وبَعُد عن الأصنام وناصبها العداء من بداية أمره، وشُغل بأمر النبي ﷺ طيلة حياته؛ لأنه كان دائم القرب منه، والصلة به، والعمل على راحته وخدمته والاستضاءة بنوره، والشرب من منهله أكثر من غيره، وكان مع ذلك قد أوتي ذاكرة واعية وعقلاً متفتحًا وذكاءً نادرًا، وشجاعة فذَّة، وقوة لا مثيل لها عند غيره.

وكان قد اعتاد أن يحيا حياة النبي ﷺ في زهده وتقشفه وورعه وخوفه من الله، وصلابته في الحق، وثباته عليه، والدعوة إليه[٢].

ما فعله عليٌّ بأصنام المشركين

وبعدما ذاق عليٌّ حلاوة الإيمان والتوحيد كان يتمنى أن يذوق الناس جميعًا حلاوة الإيمان والتوحيد وأن تتخلص البشرية من تلك الأصنام التي تُعبد من دون الله جل وعلا ولذلك كان ينتهز أي فرصة تُتاح له لهدم تلك الأصنام.

قال علي رضي الله عنه: «انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ: «اجلس»، وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به،

---

(١) السيرة لابن هشام (١/ ٢٠٩-٢١٠).

(٢) الخلفاء الراشدون / الشيخ حسن أيوب (ص ٢٥١).

فرأى مني ضعفًا، فنزل وجلس لي رسول الله ﷺ فقال: «اصعد على منكبي»، قال: فنهض بي، قال: فإنه يُخيَّل إليَّ أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال أصفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى استمكنت منه، فقال لي رسول الله ﷺ: «اقذف به»، فقذفت به، فتكسر كما تنكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق، حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس».

صبره على الإيذاء

ولقد عانى عليٌّ من إيذاء المشركين وبطشهم على الرغم من صغر سنه ولكن كل هذا كان لا يساوي مثقال ذرة من حزنه على إيذاء المشركين للنبي ﷺ فقد كان عليٌّ يحب النبي ﷺ حبًا جمًا حتى أنه كان يتمنى أن يفدي النبي ﷺ بنفسه.

فكان عليٌّ يقف دائمًا بجوار النبي ﷺ يناصره ويؤازره.

ولما اشتد إيذاء المشركين بالنبي ﷺ وأصحابه أذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة فهاجروا سرًا حتى لا يعلم المشركون بذلك.

وبدأت وفود المؤمنين تهاجر سرًا من مكة إلى المدينة.

ويالها من خطوة تحتاج إلى صدق وإخلاص وعزيمة فقد تركوا الديار والأموال والأهل والأصحاب وفارقوا الأوطان حتى يفوزوا برضوان الله وجنته.

وبعد هجرة أصحاب الرسول ﷺ أصبحت مكة خاوية من المؤمنين ولم يبق إلا عددٌ قليل ممن حبستهم قريش... وبقي أبو بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب ورسوله الله ﷺ فقد كان ينتظر الإذن من الله جل وعلا بالهجرة.

علي ﷺ ينام مكان النبي ﷺ في ليلة الهجرة

وفي ليلة الهجرة اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يراقبونه حتى إذا نام انقضُّوا عليه وقتلوه جميعًا.

فلما رأى النبي ﷺ مكانهم أمر علي بن أبي طالب أن ينام مكانه وأخبره بأنه لن يحدث له مكروه ولن يصيبه أذى.

ثم أمر عليًّا بأن يرد كل الودائع والأمانات التي عنده لأصحابها.

* ويا له من أمرٍ عجيب فقد كانت قريش تحارب النبي ﷺ، وتحارب دعوته، وتريد أن تقتله... لكن الواحد منهم إذا كان عنده شيء ثمين يريد أن يحفظه فإنه كان يتركه وديعة عند رسول الله ﷺ.

* وهنا ألقى الله النوم على هؤلاء المتآمرين فناموا.. ثم خرج النبي ﷺ أمامهم بعد أن أخذ حفنه من التراب ووضعها فوق رُءوسهم، وهو يَتْلُو قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾[1].

ثم ذَهَبَ رسول الله ﷺ إلى دار أبي بكر الذي جَهَّزَ نَفْسَه للهجرة مع رسول الله ﷺ.

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدًا.

قال: خيَّبكم الله، قد والله، خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟

قال: فوضع كل رجل منهم يدًا على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون عليًّا على الفراش.

فظنوا أن النبي ﷺ ما زال نائمًا مكانه... فدخلوا وكشفوا الغطاء

---

(١) سورة يس: الآية: (٩).

فوجدوا علي بن أبي طالب فسألوه عن مكان النبي ﷺ فقال: لا أدري قد تركني هنا لأرد إليكم أماناتكم.

فقالوا: لقد صدقنا هذا الرجل الذي أخبرنا بخروج محمد ﷺ.

وبعد أيام خرج علي رضي الله عنه يملؤه الشوق في اللحاق بالنبي ﷺ فكان يُسرع الخُطى في الليل ويتخفى في النهار، حتى قَدِم المدينة وقد تورمت قدماه، ونزف الدم منهما؛ فلما رآه النبي ﷺ رقّ له وقام فعانقه ودعا له.

وفي المدينة تزوج علي رضي الله عنه من فاطمة الزهراء شبيهة رسول الله ﷺ وأحب بناته إليه، وأنجبت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب فازداد بهذا الزواج قُرب عليّ من قلب رسول الله ﷺ وأهل بيته.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

ولما وصل النبي ﷺ المدينة كان أول ما فعله بعد بناء المسجد أنه آخى بين المهاجرين والأنصار وذلك لتقوية الجبهة الداخلية وزيادة ترابطها، وحتى يواسي الأنصار إخوانهم المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم لنصرة دين الله وإعزاز شرعه.

ولم يبقَ إلا عليّ فإن النبي ﷺ لم يُؤاخِ بينه وبين أحد وذلك لأن النبي ﷺ كان يعتبر علي بن أبي طالب أخًا له في الدنيا والآخرة.

ويالها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها فقد كان النبي ﷺ يحب عليًا من أعماق قلبه.

قال رسول الله ﷺ: «عليّ مني وأنا من عليّ ولا يؤدي عني إلا أنا أو عليّ»[1].

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٧١٩) كتاب المناقب، وأحمد (٤/ ١٦٥)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (١٠٩١).

وعن سعد بن أبي وقاص قال: «كنت جالسًا في المسجد أنا ورجلين معي فنلنا من عليّ فأقبل رسول الله ﷺ غضبان يُعرف في وجه الغضب فتعوذت بالله من غضبه، فقال: «ما لكم وما لعلي؟ من آذى عليًا فقد آذاني»[(١)].

صفحات مشرقة من جهاده في سبيل الله

وها هو ﷺ يُسطِّر على جبين التاريخ بسطور من النور صفحات مشرقة من جهاده في سبيل الله تعالى فهو يبحث عن الشهادة ويشتاق إليها اشتياق من يبحث عن الماء البارد في صحراء موحشة.

جهاده في يوم بدر

وفي غزوة بدر خرج الفارس المغوار مجاهدًا في سبيل الله.

عن عبد الله بن مسعود قال: كنا يوم بدر ثلاثة على بعير... كان أبو لُبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ قال: وكانت عقبة رسول الله ﷺ - دوره في المشي - قال: فقالا: نحن نمشي عنك فقال: «ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»[(٢)].

* وفي أرض الشرف والجهاد كان لبطلنا هذا الموقف العظيم فلقد كانت الحروب قديمًا تبدأ بالمبارزة بالسيوف. فخرج عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد ابن عتبة وقالوا: هل من مبارز؟ فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة، وهم عوف، ومُعوذ أبناء الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟.

---

(١) رواه أبو يعلى (٢/ ١٠٩) وأحمد في فضائل الصحابة (١٠٧٨) وهو حسن.

(٢) رواه أحمد (١/ ٤١١) والطيالسي (٣٥٤) وإسناده حسن.

فقالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: ما لنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا[1] من قومنا.

فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا علي» فلما قاموا ودنوا منهم.

فبارز عبيدة - وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز عليّ الوليد بن شيبة.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما عليّ فلم يُمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرَّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة فقتلاه، وحملا عبيدة بن الحارث فإذا به يموت شهيداً بعد ذلك من آثار هذه الضربة[2].

* بل لقد أيَّد الله عز وجل هذا الصحابي الجليل علي بن أبي طالب بالملائكة.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «قال لي النبي ﷺ، ولأبي بكر يوم بدر: «مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، أو يكون في الصف».

* * *

---

(١) أكفاءنا: نظراءنا أو من يساووننا في المكان.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٦٥) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود.

جهاده في يوم الخندق

وفي غزوة الخندق كان له هذا الموقف العظيم مع فارس قريش عمرو بن عبد وُدّ. . . فقد كان عمرو قد قاتل في يوم بدر حتى جُرح جراحات شديدة فلم يشهد غزوة أحد فلما كان يوم الخندق جاء وهو يريد أن يقتل النبي ﷺ ولهذا كان أول الفرسان الذين اقتحموا بخيلهم الخندق نحو المسلمين ومعه فوارس من قريش فخرج له علي بن أبي طالب في نفرٍ من المسلمين حتى منعوهم من الوصول إلى المسلمين.

* وكان عدد المشركين الذين كانوا يحاصرون المدينة في يوم الخندق عشرة آلاف. وكان من عادة العرب أن تبدأ حروبهم بالمبارزات الفردية؛ لذا طلب بعض فرسان المشركين المبارزة مع أمثالهم وأكفائهم من المسلمين فتقدم عمرو نحو المسلمين يملأ الغرور قلبه، ويعمي الكبر عينيه وراح ينادي في عنادٍ: مَن يبارز؟!!

وتعلقت عيون فرسان المسلمين بالنبي ﷺ ترقُّب أمره، وكلٌّ منهم يتوق إلى مبارزة ذلك المشرك المغرور فتمهل النبي ﷺ فهو يعلم من هو عمرو بن عبد وُدّ. . . إنه فارس الجزيرة العربية الملقب بالألف فارس، الذي لم يصارع أحدًا إلا قتله. . . وبالغ عمرو في تحدّيه للمسلمين فنادى مرة ثانية في غرور: أين جنتكم أيها المسلمون؟!

وهنا تحركت الأسود الرابضة التي يملؤها الإيمان والشوق إلى الجنة ليختار النبي ﷺ أحدها لتأديب هذا المشرك المتكبر.

ومن بين الصفوف وقف الفارس المغوار، وقد اشتعل صدره حماسة وثقة في نصر الله وقال: أنا له يا رسول الله.

ولكنه ﷺ اشفق على فارسه الشاب أن يدخل هذه المعركة ولذا لم

يُجيبه، فألحَّ الفارس في الرجاء قائلاً: أنا له يا رسول الله فأذن القائد لفارسه؛ فتقدم في خُطى ثابتة وعلى وجهه نور الإيمان والثقة بنصر الله.

وتعجب عمرو من هذا الذي جرؤ عليه فقال له: إن من أهلك من هو أكبر منك، وإني أكره أن أقتلك.

فردَّ عليه الفارس بصوت يملؤه القوة: ولكني لا أكره أن أقتلك، وأدعوك يا عمرو إلى الإسلام، فإن أبيت فالقتال.

وغضب عمرو وهوى بسيفه على البطل الشاب الذي استقبل الضربة الرهيبة بدرعه فقطعت الدرع، وأُصيب البطل في رأسه.

وتعلقت قلوب المسلمين بالسماء تطلب النصرة لفارس الإسلام الذي يصارع الألف فارس، وتلاقت السيوف يتطاير منها الشرر والغضب وفي لحظة خاطفة هوى البطل المسلم بسيفه على رقبة عمرو فخرَّ صريعًا؛ فكبَّر وكبَّر المسلمون وكبر النبي ﷺ.

إنه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ [(١)].

صاحب الراية
الذي يفتح الله على يديه حصون خيبر

وفي غزوة خيبر كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تخلف عن النبي ﷺ لأنه كان به رمد في عينيه... فقال في نفسه: أنا أتخلف عن رسول ﷺ.

هذا لا يكون أبدًا.. فخرج حتى لحق بالنبي ﷺ.

فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ:

(١) الخلفاء الراشدون/ أ. سامي عبد الرؤوف، أ. عبد الحسيب الختاني (ص: ٦٤- ٦٦). ط. مكتبة سفير.

«لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».

قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين على بن أبى طالب؟».

فقيل: هو يا رسول الله يشتكى عينيه.

فقال: «فأرسلوا إليه» فأُتى به.

فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال على: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟.

فقال له رسول الله ﷺ: «يا على إذا وصلت إلى هناك فادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله؛ لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعم»[1][2].

(على) يقتل (مرحب اليهودى)

وأول حصن هاجمه المسلمون من هذه الحصون الثمانية هو حصن ناعم، وكان خط الدفاع الأول لليهود لمكانه الاستراتيجى، وكان هذا الحصن هو حصن مرحب البطل اليهودى الذى كان يُعدُّ بألف رجل.

خرج على بن أبى طالب رضي الله عنه بالمسلمين إلى هذا الحصن، ودعا اليهود إلى الإسلام، فرفضوا هذه الدعوة، وبرزوا إلى المسلمين ومعهم ملكهم مرحب، فلما خرج إلى ميدان القتال دعا إلى المبارزة.

فتقدم عامر بن الأكوع ليبارزه... فقُتل عامر رضي الله عنه.

وهنا تقدم على بن أبى طالب رضي الله عنه وبارزه مبارزة شديدة حتى ضربه على

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٢١٠) كتاب المغازى، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) حُمر النعم: أى خيرٌ لك من الإبل الحمراء التى كانت تساوى عند العرب ثروة كبيرة.

رأسه فقتله ثم فتح الله على يديه حصون خيبر حصنًا بعد حصن... حتى فُتحت كل الحصون وبذلك تم فتح خيبر. وأرسل ابن أبي الحُقَيق إلى رسول الله ﷺ فصالح رسول الله ﷺ وطلب منه ألا يقتل من في الحصون وأن يترك الذرية على أن يخرج اليهود من خيبر ويتركوا للمسلمين الأرض والمال وكل شيء فاشترط عليهم النبي ﷺ ألا يكتموا شيئًا ولا يُخبئوا شيئًا.

منقبة عظيمة في غزوة تبوك

وبعد فتح مكة جاءت الأنباء إلى النبي ﷺ بأن الروم تستعد للقيام بغزوة كبيرة ضد المسلمين فقرر النبي ﷺ أن يخرج لقتالهم وخلَّف عليًا رضي الله عنه على أهله ليقوم على شئونهم ويقضي حاجاتهم.

فقال المنافقون: والله ما تركه النبي إلا استثقالاً وتخففًا منه فأخذ عليٌّ سلاحه وخرج إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله ﷺ أتُخلفني في النساء والصبيان؟

فقال ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»[1].

فرح عليٌّ بقول النبي ﷺ وظل في المدينة كما أمره النبي ﷺ.

فيا لها من صفحات مشرقة لا ننساها أبدًا ما دامت أرواحنا في أبداننا.

موقفه بعد وفاة الرسول ﷺ

وعاش رضي الله عنه ملازمًا للحبيب ﷺ يقتبس من علمه وزهده وأخلاقه الرفيعة إلى أن توفي الحبيب ﷺ وحزن عليه حزنًا كاد أن يمزق قلبه.. فلقد فَقَدَ حبيبه ورسوله الذي لطالما احتضنه وأغدق عليه الكثير والكثير من

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤١٦) كتاب المغازي - ومسلم (٤-٢٤) كتاب فضائل الصحابة.

رحمته وعطفه وعلمه، بل وأعطاه قُرة عينه وثمرة فؤاده (فاطمة) رضي الله عنها.

* وكما كان عليٌّ فارسًا من فرسان المسلمين في كل المعارك فقد أصبح سفيرًا للإسلام في الدعوة إلى الله جل وعلا.

فقد أرسله النبي ﷺ لينشر الدعوة في بلاد اليمن بالحكمة والموعظة الحسنة وليكون أميرًا عليها... فأسلمت على يديه قبيلة همدان كلها وكثير من أهل اليمن.

وظل علي رضي الله عنه يذود عن الإسلام ويجاهد لإعلاء كلمة الحق ملازمًا النبي ﷺ حتى تُوفي وهو عنه راضٍ.

واجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة وبايعوا أبا بكر الصديق خليفة لرسول الله فكان عليٌّ جنديًا مخلصًا من جنود الإسلام، يعاون خليفة رسول الله، وينصح له ويشد من أزره وينصره في محاربة الذين ارتدوا عن الإسلام والذين منعوا الزكاة، إلى أن عادت الجزيرة العربية مرة أخرى إلى روضة الإسلام.

وقد عرف أبو بكر والصحابة لعلي رضي الله عنه مكانته وعلمه وفقهه ورجاحة عقله فكان من أكابرهم... ولما بايع المسلمون عمر بن الخطاب بالخلافة بعد وفاة أبي بكر كان علي رضي الله عنه من أكثر الصحابة قربًا منه وأشدهم تأييدًا لسيرته في الرعية وكان عمر يشاوره في أمور الدولة كلها، ويستفتيه في أمور الناس وبلغ عنده منزلة عالية حتى قال عمر يومًا للمسلمين: لولا عليٌّ لهلك عمر. وكان يقول لعلي: أعوذ بالله أن أعيش في قومٍ لست فيهم يا أبا الحسن، وكان عمر إذا ترك المدينة جعل عليًا أميرًا عليها.

ولما طُعن أمير المؤمنين عمر، وقبل أن يفارق الدنيا جعل أمر الخلافة شورى في الستة الذين مات النبي ﷺ وهو عنهم راضٍ وهم: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص

وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين.

واجتمع أهل الشورى واختاروا عثمان بن عفان رضي الله عنه فكان علي رضي الله عنه من أول من بايعه وظل بجواره يعاونه في مهام الخلافة وشئون المسلمين ويخلص له النصيحة.

وارتفعت رايات العدل لتحقق الأمن والعدالة للضعفاء والمظلومين وشعرت قوى الظلم والشرك بالخطر الذي يتهددها فتحركت لمواجهة ذلك الخطر العظيم، والتصدي لهذا الدين الجديد، وانتشر هؤلاء محاولين إشاعة الفتنة بين المسلمين وبث الفُرقة بينهم ودفع المسلمين إلى التمرد على الخليفة مستخدمين في ذلك الأكاذيب والمؤامرات الحاقدة على الإسلام والمسلمين، حتى استطاعوا أن يدفعوا بعض ضعاف النفوس وأصحاب الأهواء إلى محاصرة بيت أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان بحجة عزله عن الخلافة بعد أن رموه بالاتهامات الكاذبة، فقام الصحابة للذود عن خليفة المسلمين، وكان عليٌّ في مقدمة المدافعين المتصدين لتلك المؤامرة الدنيئة.

وحاول علي رضي الله عنه مراراً أن يصرف المتآمرين عن ضلالهم وظلمهم ولكنهم أبوا؛ فاستأذن عليٌّ أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه أن يقاتلهم فرفض عثمان خوفاً على الصحابة فأمر عليٌّ أولاده أن يحرسوا دار عثمان رضي الله عنه.

ونفذ المتآمرون جريمتهم وقتلوا عثمان بن عفان الشهيد المظلوم مستغلين خروج معظم الصحابة إلى الحج وحماية الثغور وبقي المسلمون ثلاثة أيام من دون خليفة، بعد أن سيطر القتلة على المدينة المنورة وأشاعوا الرعب فيها، وفكر المسلمون فيمن يقود الأمة الإسلامية في محنتها الكبرى وأصعب ظروفها؛ فلم يجدوا خيراً من علي رضي الله عنه فتوجهوا إليه عارضين عليه الخلافة فرفض ورشح لهم غيره من أهل الشورى وقال: لأن أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً ولكنهم ألحُّوا عليه، فاضطر إلى الاختباء بأحد البساتين حتى

يبايع الناس غيره، ولكن الصحابة دخلوا عليه وتقدم إليه أصحاب الشورى فبايعوه ثم تبعهم كبار المهاجرين والأنصار.

وفي مسجد رسول الله ﷺ بايع بقية المسلمين عليًا رضي الله عنه.

وسار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بركب الخلافة على نهج كتاب الله وسنة رسوله وسيرة مَن سبقه من الخلفاء الراشدين الثلاثة، برغم العواصف العاتية والفتن الهوجاء التي أحاطت بالأمة... وبدأ رضي الله عنه باختيار عُماله وولاته من خيرة المسلمين أصحاب الكفاءة والصلاح والعلم بإدارة البلاد كعبد الله بن عباس وأبي موسى الأشعري وغيرهما[1].

هكذا كان حال الخليفة الراشد

لقد ضرب عليٌّ المثل للحاكم العادل الذي ملأ الدنيا بعدله ورحمته.

لقد كان يرى أن مال الرعية أمانة عظيمة في عنقه فلم يكن ينفق درهماً إلا فيما يعود بالنفع على المسلمين.

وكان يرفض أن يعطي لأهله وأقاربه شيئًا يميزهم به عن بقية الرعية.

وكان يأمر ولاته بالعدل في الرعية قائلاً لهم: أيها الولاة إن لرعيتكم حقوقًا: الحكم بالعدل والقسمة بالسوية وما من حسنة أحب إلى الله من حُكم إمامٍ عادلٍ.

وكان يأمر الولاة بألا يكون بينهم وبين رعيتهم حُجُب أو أبواب حتى يكونوا على علم بأحوال الناس واحتياجاتهم.

وكان رضي الله عنه يمشي في أسواق الكوفة وهو خليفة المسلمين، فيُرشد الضال ويعين الضعيف ويلتقي بالشيخ المُسنّ الكهل، فيحمل عنه حاجته، ولا يسكن قصر الإمارة ويقول: قصر الخبال هذا، لا أسكنه أبدًا.

---

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٧٠-٧٤) بتصرف.

ولم يكن علي رضي الله عنه يميز نفسه عن رعيته ولا يستأثر دونهم بشيء من المال أو المتاع. . . . يروى أن خادمه (قُنبر) شعر يومًا بحاجة أمير المؤمنين إلى المال فقال له: يا أمير المؤمنين: قد خبأت لك بعض الهدايا التي أرسلها الأمراء والتجار إليك، وكان علي رضي الله عنه لا يقبلها ويردها، أو ينفقها على المسلمين فانطلقا فدخلا حجرة قد مُلئت بالهدايا فلما رآها علي رضي الله عنه غضب غضبًا شديدًا وقال لخادمه: أردت أن تُدخل بيتي نارًا عظيمة، ثم جعل يزن الهدايا ويعطي فقراء المسلمين ويقول: لا تغريني أيتها الدنيا، وغُرِّي غيري.

وقام رضي الله عنه يومًا يخطب في المسلمين فرأى ولديه الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما ثياب جديدة فنظر إليهما في دهشة وما إن انتهى من خطبته حتى سألهما: ما هذان الثوبان؟!!

فأجاباه: إنهما هدية من أحد تجار فارس. فرأى علي رضي الله عنه أن ولديه آثرا نفسيهما على المسلمين، وأنهما لا حقَّ لهما في الثوبين، فأخذهما وردَّهما إلى بيت المال.

وفي أحد الأيام أراد علي رضي الله عنه أن يشتري ثوبًا فخرج إلى السوق ولكن التجار عرفوه، وأبوا أن يأخذوا ثمن الثوب؛ فرفض عليٌّ وظل يبحث عن بائع لا يعرفه حتى أتى غلامًا فاشترى منه الثوب، وعاد إلى بيته، فأخبر التجار والد الغلام، فأخذ الرجل الدراهم وذهب إلى عليٍّ خجلاً معتذرًا ولكن عليًا شكره ورفض أن يأخذ الدراهم. وعلى الرغم من كثرة الأموال في بيت المال، فإن عليًّا اشتهر بالزهد، فكان لا يأكل إلا من كسب يده، ولا ينظر إلى مال غيره، . . . احتاج مرة إلى مال يشتري به ثوبًا له فذهب إلى السوق ليبيع سيفه فقال: من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته[1].

---

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٧٥- ٧٩) بتصرف.

صفحة مشرقة من عدله رضي الله عنه

يُحكى أن على بن أبى طالب رضي الله عنه ضاعت منه درع فوجدها عند رجل نصرانى فأقبل به إلى القاضى شُريح يخاصمه، وقال علىٌّ: هذه الدرع درعى ولم أبع ولم أهَبْ. فقال شُريح للنصرانى: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصرانى: ما الدرع إلا درعى وما أمير المؤمنين عندى بكاذب! فالتفت شُريح إلى على وقال: يا أمير المؤمنين؛ الك بيِّنة؟ فابتسم علىٌّ وقال: أصاب شُريح، ما لى بينة، فقضى بالدرع للنصرانى، فأخذها ومشى خطوات ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقتضى فيقضى عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.... الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين سقطت منك وأنت منطلق إلى صِفِّين، قال: أما إذ أسلمت فهى لك.

هكذا كان الضمير المؤمن هو الذى يحكم الخليفة والقاضى، فلم يحاول الخليفة المؤمن أن يتخذ القوة لأخذ حقه أو يؤثِّر على القاضى ليحكم فى صالحه ولم يحاول القاضى المؤمن أن يطوع النصوص إرضاءً لأميره رغم ما يعتقده من صدقه... فالشرع سيدٌ على الجميع.

وحان وقت الرحيل

وبعد فترة قصيرة من خلافة علىٍّ حدثت فتنة كبيرة قضت على الأخضر واليابس وسُفكت بسببها الدماء الطاهرة.

فلقد اختلف أمير المؤمنين على رضي الله عنه مع بعض الصحابة كالزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبى سفيان، فى أمر قَتَلَة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فقد كانوا يرون ضرورة تنفيذ القصاص فى القتلة، فى حين كان علىٌّ

وكثير من الصحابة يرون أن يؤجَّل تنفيذ القصاص في القتلة حتى تهدأ الأمور ويستقر أمر الخلافة.

وقد أدى هذا الخلاف إلى اقتتال الطرفين، ولكن سرعان ما أدرك المسلمون خطر الفتنة والفرقة والتنازع فاجتمعت كلمتهم على الصلح وتم لهم ذلك.

ولكن أعداء الإسلام من المنافقين والمتآمرين لم يهدأ بالهم وهم يرون الأمة قد عمَّها الأمن والسلام من جديد وبدأت الاستعداد لمواصلة رسالتها في نشر الإسلام، فاجتمع ثلاثة من الخوارج قد ملأ الحقد قلوبهم، بعد أن شتت أمير المؤمنين شملهم وقضى على فتنتهم وتعاهدوا على قتل أمير المؤمنين عليّ ومعاوية بن أبي سفيان والي الشام، وعمرو بن العاص والي مصر، حتى تصبح الأمة الإسلامية بلا خليفة أو قادة كبار يقودون مسيرتها فيدب الشقاق والقتال فيها مرة أخرى.

وفي يوم الجمعة السابع عشر من رمضان عام أربعين من الهجرة نفذ المتآمرون جريمتهم، وذلك عندما خرج علي رضي الله عنه ينادي الناس لصلاة الفجر فضربه ابن ملجم بالسيف، فظل عليٌّ يردد لا إله إلا الله فُزت ورب الكعبة[1].

ولقى الإمام ربه أخيرًا مصابًا بضربة سيف مسموم كما لقيه من قبل عمر الفاروق مصابًا بضربة خنجر محموم!

وتأبى عظمة البطل إلا أن يكون آخر مشهد في حياته جديرًا بها أكثر ما تكون الجدارة ودالاً على حقيقته أصدق ما تكون الدلالة!

فإنه لم يكد يتلقى ضربة القدر في رأسه، حتى حُمِل إلى داره..

وإذ هو في لحظات الكارثة هذه، يأمر حامليه والحافين حوله أن يذهبوا

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٨٠- ٨١).

إلى المسجد، ليدركوا صلاة الفجر قبل أن تؤذن بفوات هذه الصلاة التي كان يتهيأ لها حين حال الاغتيال الأثيم بينه وبين بلوغها أو إتمامها وحين يفرغون من صلاتهم ويعودون إليه كما يعود في نفس الوقت، بعض الرجال ممسكين بالقاتل عبد الرحمن بن ملجم يفتح الإمام عينيه، فتقعان عليه فيهز رأسه في أسى حين يعرفه ويقول:

اهو أنت...؟ لطالما أحسنتُ إليك..!!

ويُلقي البطل العظيم على وجوه بنيه وأصحابه نظرة، فيراها تتفجر غيظًا، وتضطرم نقمة، ويحس برد الموت يسري في أوصاله، ويكاد يرى المصير الذي سيحيق بـ «ابن ملجم»... يكاد يرى الانتقام المروع الذي سيثأر به أولاده، وأصحابه فيتقدم هو في إصرار ليحمي قاتله من أية مجاوزة أو تخطٍّ لحدود القصاص المشروع.

وهكذا ناداهم إليه، وخرجت الكلمات من فمه مبحوحة فقال لبنيه، ولأهله: أحسنوا نُزله وأكرموا مثواه... فإن أعش فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا.. وإن أَمُتْ فألحقوه بي، أخاصمه عند رب العالمين.. ولا تقتلوا بي سواه إن الله لا يحب المعتدين[1].

* وهكذا رحل الشهيد البطل الذي بشّره النبي ﷺ بالجنة.

* هكذا رحل أبو الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

* رضي الله عن علي بن أبي طالب وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *

---

(١) خلفاء الرسول / أ. خالد محمد خالد (٥٩٨- ٥٩٩) بتصرف.

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

وها نحن على موعد مع صحابى جليل عرف النورُ طريقة إلى قلبه فقام ليسلك طريق الهدى وليبذل الغالى والنفيس من أجل نُصرة هذا الدين العظيم.

إنه الصحابى الذى بشَّره النبى ﷺ بأنه من أهل الجنة - ويا لها من بشرى لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زائل.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرته العطرة.

من هنا نبدأ

تبدأ قصة طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه منذ أن كان أبوه من أشراف مكة وأصحاب الجاه والمكانة وكانت أمه (الصعبة بنت عبد الله) التى كان جدها وهب بن عبد الله صاحب العطاء والكرم.

وبين أبيه وأمه نمت طفولته، وترعرع شبابه، وتعلَّم على أيديهما الكثير من شئون الحياة والتخلق بالأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال تزوج حمنة بنت جحش، أخت زينب زوج النبى ﷺ.

نشأ طلحة رضي الله عنه فى مكة، فعرف سهولها ووديانها، وتنقَّل بين جبالها وقممها، وتعلَّم الرماية بالسهم، والإصابة بالرمح... ولما شبَّ عن الطوق ضاقت به جنباتُ مكة، فاختار طريق التجارة، ومن هنا عرفته أسواق بُصرى والشام، عرفته تاجرًا صدوقًا، وخبرته بائعًا سمحًا.

البشرى الجميلة

وفى إحدى رحلاته التجارية إلى بُصرى كان الناس قد انشغلوا بالبيع والشراء فى سوق بُصرى... وفجأة سمع الناس رجلاً ينادى ويقول: يا معشر التجار هل فيكم رجل من أهل الحرم.

فنظر الناس خلفهم فوجدوا راهبًا من رهبان الشام الذين كانت صوامعهم منتشرة على الطريق.

فقام طلحة وقال: نعم أنا من أهل الحرم.

فقال له الراهب: هل بُعث فيكم نبى آخر الزمان؟

فقال طلحة: ومن هو نبى آخر الزمان؟

الراهب: إنه أحمد إنه خاتم الأنبياء والمرسلين يخرج فى أرض الحرم ثم يهاجر إلى أرض فيها نخل وماء فإن استطعت ألا يسبقك إليه أحدٌ فافعل.

* وهنا انصرف الراهب وترك طلحة حائرًا يفكر فى هذا الكلام وبعد أن باع طلحة تجارته عاد مسرعًا إلى مكة ليتحرى صحة هذا الكلام الذى سمعه من الراهب.

موعدٌ مع السعادة

وكان طلحة كغيره من أهل الجزيرة يتمنى أن يُبعث نبى آخر الزمان ليُخلصهم من تلك الجاهلية التى أثقلتهم بالهموم وجعلت الحياة كأنها غابة مليئة بالوحوش.

وسرعان ما تحققت تلك الأمنية الغالية، فلقد بزغ نور الإسلام فأضاء الكون كله فى لحظة واحدة... يوم أن نزل جبريل عليه السلام على الحبيب ﷺ ومعه النور الذى أضاء الله به القلوب المظلمة وهدى به النفوس التائهة فى دروب الحياة المتشابكة إلى أنوار التوحيد والإيمان.

لقد بُعث محمد ﷺ وآمن برسالته أبو بكر رضي الله عنه .

فلما سمع طلحة رضي الله عنه هذا الخبر لم يتلكأ ولم يتلعثم بل إنه بمجرد أن دعاه أبو بكر استجاب لنداء الحق فهو يعلم يقينًا أن محمدًا هو الصادق الأمين بلا منازع وأن أبا بكر هو التاجر الصدوق الذى لا يمكن أن يجتمع مع الحبيب ﷺ على ضلالة أبدًا .

وذهب طلحة وقلبه ينبض بكل قوة وشوق وحنين للقاء الحبيب ﷺ ليعلنها قوية فى وجه الكون كله : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ .

وعلى الرغم من مكانته بين قومه وثرائه، إلا أنه أُوذى فى سبيل الله، ولكن سرعان ما كشف الله عنه هذا العذاب والابتلاء .

ولما هاجر الحبيب ﷺ إلى المدينة هاجر طلحة رضي الله عنه مع المهاجرين لينعم بصُحبة النبى ﷺ بعيدًا عن أعين كفار قريش وسطوتهم .

النبى ﷺ يبشره بالشهادة فى سبيل الله

وظل طلحة رضي الله عنه ملازمًا للحبيب ﷺ يتعلم منه الخير كله ويقتدى بأخلاقه العذبة المباركة .

وفى يوم من الأيام كان طلحة على موعد مع سعادة الدنيا والآخرة فلقد بشَّره النبى ﷺ بأنه سيموت شهيدًا فى سبيل الله .

فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء . فتحرك فقال رسول الله ﷺ : «اسكُن حراءُ! فما عليك إلا نبىٌّ أو صديق أو شهيد» ، وكان عليه النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص رضي الله عنهم [1] .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٠) كتاب فضائل الصحابة .

فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيداً.. وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب ﷺ ظل يبحث عن الشهادة في مظانها... فشهد المشاهد والغزوات كلها مع النبي ﷺ عدا غزوة بدر.

موقفه في يوم بدر

كان النبي ﷺ قد خرج هو وبعض أصحابه للحصول على عير لقريش ذاهبة من مكة إلى الشام فأفلتت منه فلما اقترب موعد رجوعها من الشام إلى مكة أرسل النبي ﷺ طلحة بن عُبيد الله وسعيد بن زيد إلى الشمال ليقوما باكتشاف خبرها فوصلا إلى مكان يُسمى بالروحاء وظلا هناك حتى مرّ أبو سفيان بالعير وبلغ رسول الله ﷺ الخبر قبل رجوع طلحة وسعيد... ولذلك لم يحضرا غزوة بدر لأنهما لم يعلما بوقوعها إلا بعد عودتهما إلى المدينة.

فلما عادا إلى المدينة وعلما بخبر انتصار المسلمين على المشركين فرحا فرحًا شديداً وأعطاهما النبي ﷺ من الغنائم التي غنمها المسلمون في غزوة بدر.

دفاعه عن النبي ﷺ في غزوة أحد

ولم ينسَ المشركون ما حدث لهم في غزوة بدر فأخذوا يُعدون العُدة سنة كاملة حتى كان اللقاء الدامي في يوم أُحد. التقى المسلمون مع المشركين في غزوة أُحد وكان النبي ﷺ قد وضع خمسين من الرُماة على جبل الرماة وكان على رأسهم عبد الله بن جُبير... وأمرهم النبي ﷺ ألا يتركوا الجبل أبدًا سواء كانت النُصرة للمسلمين أو للمشركين.

وبدأت المعركة وقام أصحاب الرسول ﷺ يقاتلون بكل بسالة وضراوة

وإخلاص فكانت النصرة لهم في بداية المعركة وفرّ المشركون من أمام المسلمين فظن الرُّماة الذين كانوا على الجبل أن الغزوة قد انتهت فنزل أربعون منهم لجمع الغنائم فقال لهم عبد الله بن جبير: لا تبرحوا الجبل فقد أمركم النبي ﷺ بذلك.

فقالوا له: إن القتال قد انتهى وسوف ننزل لجمع الغنائم،... ونزل أربعون من الرُّماة وبقي عشرة منهم على الجبل.

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة الذهبية، - وكان في ذلك الوقت مشركًا- فاستدار بسرعة خاطفة، حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، فلم يلبث أن أباد عبد الله بن جبير وأصحابه، ثم انقضّ على المسلمين من خلفهم، وصاح فرسانه صيحة عرف منها المشركون المنهزمون بالتطور الجديد، فانقلبوا على المسلمين وأسرعت امرأة منهم وهي عَمرة بنت علقمة الحارثية فرفعت لواء المشركين المطروح على التراب، فالتفّ حوله المشركون، ولاثوا به، وتنادَى بعضهم بعضًا، حتى اجتمعوا على المسلمين، وثبتوا للقتال، وأُحيط المسلمون من الأمام والخلف.

وهنا أراد المشركون قتل رسول الله ﷺ فنادى النبي ﷺ على المسلمين: «هلُمّ إليّ، أنا رسول الله» فسمع المشركون صوته فانطلقوا نحوه ليقتلوه وإذا بتسعة من أصحاب النبي ﷺ ينطلقون ليدافعوا عن النبي ﷺ وهم سبعة من الأنصار واثنان من المهاجرين ألا وهما سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وتقدم السبعة من الأنصار ليدافعوا عن رسول الله ﷺ حتى قُتلوا.

وأما سعد بن أبي وقاص فقد نثل له رسول الله ﷺ كنانته، وقال: «ارم فداك أبي وأمي»[1].

---

[1] متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٥٥) كتاب المغازي، ومسلم (٢٤١٢) كتاب فضائل الصحابة.

* وأما طلحة بن عُبيد الله فقد قام يقاتل ويدافع عن النبى ﷺ وحده فلما اقترب المشركون من النبى ﷺ هجم عليهم طلحة فضربوا أصابعه بالسيف فقطعوها فقال: حَسِّ... فقال له رسول الله ﷺ: «لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة إلى السماء والناس ينظرون إليك» وفى رواية أنه قال له: «لو قلت بسم الله لرأيت يُبنى لك بها بيت فى الجنة وأنت حيٌّ فى الدنيا»[1].

وظل طلحة يدافع عن النبى ﷺ ثم يرجع فيحمل النبى ﷺ ويرجع به إلى الوراء حتى وصل إلى صخرة عالية فصعد عليها النبى ﷺ وقال كلمته الشهيرة: «أوجب طلحة... اللهم أوجب لطلحة الجنة» فكان من العشرة المبشرين بالجنة.

وجُرح فى تلك الغزوة تسعًا وثلاثين أو خمسًا وثلاثين وشُلَّت أصبعه أى السبَّابة والتى تليها[2].

وقال النبى ﷺ فيه يومئذ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عُبيد الله»[3].

* وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا ذُكر أمامه غزوة أُحد بكى وقال: كان هذا اليوم كله لطلحة.

حُسن ظنه بإخوانه

وفى يوم من الأيام يأتيه رجل ويقول له: إننا نسمع أشياء من أبى هريرة رضي الله عنه لا نسمعها منكم.

وكأن الرجل كان يشك فى أبى هريرة من كثرة ما يسمعه وهو يروى

---

(١) رواه أحمد (١٢٩٤) بإسناد صحيح.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٧٢٤) كتاب المناقب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٣٩) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٩٦٢).

حديث النبي ﷺ.

وإذا بطلحة رضي الله عنه يقول له: أما أنْ قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، فلا أشك وسأخبرك: إنَّا كنَّا أهل بيوت، وكنا إنما نأتي رسول الله غُدوةً وعشيةً وكان أبو هريرة مسكينًا لا مال له إنما هو على باب رسول الله، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحدًا فيه خيرٌ يقول على رسول الله ﷺ ما لم يَقُلْ؟[1].

فيا ليتنا نعي هذا الدرس جيدًا ونُحسن الظن بكل الناس من حولنا.

إنه طلحة الجود ... طلحة الخير

وها هي صفحة مشرقة من إنفاقه في سبيل الله تعالى فقد كان ينفق على إخوانه بغير حساب ولا يخشى الفقر أبدًا وكيف يخشى الفقر وهو الذي تربَّى بين يدي سيد الزاهدين وإمام المتقين محمد بن عبد الله ﷺ.

عن موسى عن أبيه (طلحة) أنه أتاه مالٌ من حضرموت سبعُ مئة ألف، فبات ليلته يتململ. فقالت له زوجته: مالك؟ قال: تفكرت منذ الليلة، فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك وإخوانك فإذا أصبحت، فادعُ بجفانٍ وقصاعٍ فقسِّمه، فقال لها: رحمك الله، إنك موفقة بنت موفقٍ وهي أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح، دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى عليٍّ منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد! أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي. قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[2].

---

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات أخرجه الترمذي، وحسنه هو والحافظ في الفتح.

(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (١/ ٣٠- ٣١).

وعن الحسن البصرى أن طلحة بن عُبيد الله باع أرضًا له بسبع مئة ألف. فبات أرقًا من مخافة ذلك المال، حتى أصبح ففرَّقه[1].

إنه طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود.

وحان وقت الرحيل

وبعد وفاة النبى ﷺ وصاحبيه أبى بكر وعمر رضي الله عنهما كثرت الفتن وقُتل عثمان بن عفان الشهيد المظلوم رضي الله عنه.

ولما قُتل عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج طلحة بن عبيد الله مع الزبير بن العوام وأمنا عائشة رضي الله عنها جميعًا للطلب بدم عثمان.

وكان طلحة يشعر بحزن شديد بسبب تلك الفُرقة وهذه الحرب التى ستدور بين أهل التوحيد والإيمان.

فلما وصلوا إلى ميدان المعركة ورأوا عمار بن ياسر رضي الله عنه يقاتل فى صف على بن أبى طالب رضي الله عنه وإذا بطلحة والزبير رضي الله عنهما يتذكرا قول الحبيب ﷺ لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[2]، فاعتزلا تلك الحرب فلم يقاتلا.

وكان طلحة والزبير رضي الله عنهما فى جيش معاوية رضي الله عنه الذى يقاتل عمارًا رضي الله عنه فخشيا من الخوض فى هذا القتال... ومما زاد حماسهما لاعتزال تلك الحرب قول على بن أبى طالب للزبير: يا زبير أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقاتله وأنت له ظالم؟ قال الزبير: أذكر، ثم مضى الزبير منصرفًا»[3].

فانسحب طلحة والزبير وقُتلا أثناء اعتزالهما لتلك الحرب، فأما الزبير فقد تعقَّبه رجل اسمه «عمرو بن جرموز» فقتله غدرًا، وأما طلحة فيقال: إنه

---

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (١/ ٣٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩١٥) كتاب الفتن.

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

جاءه سهم غرب - أي لا يُدرى من الذي رماه -.

وقيل: إن الذي رماه هو مروان بن الحكم.

ولما علم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمقتل طلحة ذهب إليه ونزل من على دابته وأجلسه ومسح الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحم عليه ويقول: ليتني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

وفي يوم من الأيام يدخل عمران بن طلحة على علي بن أبي طالب فيرحب به ويُقربه ويقول له: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك ممن قال فيهم: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[1].

الله يحفظ جسده بعد موته

وفي يوم من الأيام ترى عائشة بنت طلحة في المنام أن أباها يطلب منها أن تنقله من قبره إلى قبرٍ آخر لأن قبره قد امتلأ بالرطوبة والماء.

فأخبرت عائشة قومها فخرج معها محارمها وحفروا قبر أبيها طلحة بن عبيد الله وأخرجوه فوجدوه كما هو يوم أن دفنوه لم يتغير منه شيء إلا شُعيرات في لحيته... وكان ذلك بعد دفنه بأكثر من ثلاثين سنة... ودفنوه في قبرٍ آخر... وهكذا حفظ الله جسده بعد موته.

* رضي الله عن طلحة وأرضاه وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *

(١) سورة الحجر: الآية: (٤٧).

الزبير بن العوام رضي الله عنه

الزبير بن العوام رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابي الجليل الذي شهد له النبي ﷺ بأنه من العشرة المبشرين بالجنة.

إنه أول من سَلَّ سيفه في سبيل الله دفاعًا عن رسول الله ﷺ.

إنه الفـارس المغـوار الذي لم يتخـلف عن أي غزوة غـزاها رسـول الله ﷺ.

إنه البطل الذي كان سببًا في فتح مصر ودخول أهلها الإسلام.

إنه حواريُّ رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب.

إنه الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

إسلامه رضي الله عنه

لما بُعث النبي ﷺ كـان أول من دعاهم إلى الإســلام والتوحيـد أهله وأقاربه فأسلم أكـثرهم وأعلن التوحيد للـه جل وعلا، وكان من بين هؤلاء الذين أسلموا: صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وأسلم معها ابنها الزبير بن العـوام وكان صغيرًا في السن.. وكان الزبيـر رغم صغر سنه إلا أنه كان يحب النبي ﷺ حبًا جمًا ويخشى عليه حتى من نسيم الهواء.

دفاعه عن النبي ﷺ

وفي يوم من الأيام سرت إشـاعة بين الناس أن الرسول ﷺ قُتل فـما كان من الزبير إلا أن أخذ سيفه وخرج على الناس كالإعصار المدمِّر يريد أن

يتثبت من الخبر فلقيه الحبيب ﷺ فقال: «مالك يا زُبير؟» قال: أُخبرت أنك قُتلت. فقال النبي ﷺ: «فكنت صانعًا ماذا؟» قال: كنتُ أضربُ به من أخذك. فدعا له ولسيفه[١].

صبره على الإيذاء في سبيل الله

وعلى الرغم من شرفه ونسبه في قومه إلا أنه أخذ حظه من الظلم والتعذيب والاضطهاد.

ولكن العجيب في هذا الأمر أن الذي كان يتولى تعذيبه هو عمه فلقد علم عمه بخبر إسلامه فكان يُعلقه ويُدخِّن عليه ويُشعل النار من تحته حتى يتصاعد الدخان ويكاد الزبير أن يختنق من كثرة الدخان ومع ذلك كان يصبر ويتحمل ويقول: لن أرجع إلى الكفر أبدًا.

وظل الزبير ثابتًا أمام هذا التعذيب والإيذاء حتى أشار النبي ﷺ على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فهاجر الزبير معهم الهجرة الأولى والهجرة الثانية لكنه لم يتحمل البُعد عن رسول الله ﷺ فآثر أن يعود ويقع تحت وطأة التعذيب في مقابل ألا يُحرم من رؤية الحبيب ﷺ.

من مواقفه الجليلة في الحبشة

وقبل أن نستكمل مشوار الزبير مع البذل والتضحية لهذا الدين العظيم كان لابد أن أذكر موقفًا واحدًا من مواقفه الجليلة في بلاد الحبشة.

* فلقد عاش المسلمون في بلاد الحبشة في أمنٍ وأمان في ظل ذلكم الملك العادل (النجاشي).

وظلوا على تلك الحالة من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٦٠- ٣٦١) وانظر الاستيعاب (٣/ ٣١١).

النجاشي في المُلك فحزن المسلمون لذلك حزنًا شديدًا وخافوا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم.

وهنا أراد الصحابة رضي الله عنهم أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل - على الجانب الآخر من النيل -.

قالت أم سلمة رضي الله عنها:

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن رجلٌ يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا، قالوا: فأنت، وكان من أحدث القوم سنًا. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم سبَحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.. قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قالت: فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه، ومكَّن له في بلاده [(١)].

في صحبة الحبيب صلى الله عليه وسلم

ولكن الزبير رغم الراحة والأمان في بلاد الحبشة آثر أن يرجع لينعم بصحبة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فعاد الزبير وتحمل العذاب في سبيل الله إلى أن أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة ثم هاجر خلفهم صلى الله عليه وسلم فكان الزبير ممن هاجر إلى المدينة وعاش زمانًا في صحبة الحبيب وتعلَّم بين يديه الكثير والكثير... ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه حبًا جمًا حتى أنه كان يقول: «لكل نبيٍّ حواريّ وحواريَّ الزبير» [(٢)(٣)].

---

(١) السيرة لابن هشام (١/ ٢٧٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧١٩) كتاب فضائل الصحابة، ومسلم (٢٤١٥) كتاب الفضائل.

(٣) الحواري: هو الصاحب القريب إلى القلب المؤمن الصادق في محبته وصُحبته.

جهاده في سبيل الله (جل وعلا)

لقد بذل الزبير الكثير والكثير في سبيل الله فلقد جعل نفسه وماله وقفًا لله عز وجل فأكرمه الله ورفعه في الدنيا والآخرة.

ولقد كان الزبير يقاتل قتالاً شديداً فكان لا يستطيع أن يقف أمامه أحد وكان من شدة قتاله قد أُصيب في جسده بجروحٍ خطيرة وعميقة.

ومن تأمل وصف الصحابة ﷺ لجسد الزبير لعَلِمَ كيف كان يقاتل الزبير رضي الله عنه.

عن عروة قال: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف: إحداهن في عاتقه إن كنت لأُدخل أصابعي فيها ضُرِب ثنتين يوم بدر وواحدة يوم اليرموك[1].

وعن علي بن زيد قال: أخبرني من رأى الزبير وإن في صدره مثل العيون، من الطعن والرمي[2].

جهاده في غزوة بدر

ففي يوم بدر كان الزبير يقاتل قتال الأسود الضارية وكانت عليه عمامة صفراً فنزل جبريل عليه السلام على نفس هيئة الزبير بن العوام.

وفي يوم أحد

ورأى النبي يوم أحد رجلاً يقتل المسلمين قتلاً عنيفًا، فقال: «قم إليه يا زبير» فرقي إليه الزبير، حتى إذا علا فوقه اقتحم عليه، فاعتنقه، فأقبلا ينحدران حتى وقعا إلى الأرض، فوقع الزبير على صدره وقتله»[3].

---

(١) السير للإمام الذهبي (١/ ٥٢) وأخرجه البخاري (٧/ ١٠٠) فضائل الصحابة.

(٢) صفة الصفوة (١/ ١٤١).

(٣) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٣٥٨).

كان من الذين استجابوا لله وللرسول ﷺ

فإنه لما انصرف المشركون من أحد، وأصاب النبي ﷺ وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا فقال: من ينتدب لهؤلاء في آثارهم، حتى يعلموا أن بنا قوةً، فانتُدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم، فانصرفوا، . . . قال تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[1]. لم يلقوا عدواً[2].

* ولذلك قالت أمنا عائشة لابن أختها عروة بن الزبير: يا ابن أختي! كان أبواك - يعني الزبير وأبا بكر - من ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾[3].

وفي يوم الخندق

وفي غزوة الخندق كان المسلمون في بلاءٍ شديد فلقد اجتمع عشرة آلاف مشرك حول المدينة يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين وفي نفس الوقت خان يهود بني قريظة العهد مع رسول الله ﷺ وأرادوا أن يفتحوا الأبواب للمشركين ليقضوا على المسلمين في المدينة.

فقام النبي ﷺ وقال: «من يأتينا بخبر بني قريظة».

فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم، ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ: «لكل نبيٍ حواريّ، وحواريَّ الزبير»[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٧٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٧٧-٤) كتاب المغازي، وأخرج مسلم الجزء الأول (٢٤١٨) كتاب الفضائل.

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٧٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧١٩) كتاب فضائل الصحابة - ومسلم (٢٤١٥) كتاب الفضائل.

قال علي بن أبي طالب: أشجع الناس الزبير... ولا يعرف قدر الرجال إلا الرجال.

* ولما خرج الزبير بن العوام لقتال يهود بني قريظة الذين خانوا العهد مع رسول الله ﷺ، وجد أمه صفية بنت عبد المطلب قد قتلت يهوديًا كان قد صعد إلى الحصن ليتجسس على نساء المسلمين.

وفاة الرسول ﷺ

وتمر الأيام وتأتي أصعب لحظة في حياة الصحابة ﷺ يوم أن مات الرسول ﷺ فحزن الزبير حزنًا شديدًا لكن عزاءه أن النبي ﷺ قد مات راضيًا عنه.

* وبعد وفاة الرسول ﷺ تولى الخلافة أبو بكر الصديق ثم تولاها من بعده عمر بن الخطاب ﷺ وعن أبي بكر.

وكان الزبير بن العوام هو فارس الإسلام الذي لا يتأخر أبدًا عن أداء الواجب في كل الفتوحات الإسلامية.

فقد كان دائمًا في مقدمة الجيوش الإسلامية التي خرجت لتدعو الكون كله للدخول في الإسلام ولتحقيق التوحيد لله عز وجل.

جهاده في يوم اليرموك

وقد كان فيمن شهد اليرموك: الزبير بن العوام، وهو أفضل مَن هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون فقالوا: بلى، فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق

صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجُرح يومئذ جرحين بين كتفيه[١].

وفي فتح مصر (شجاعة نادرة)

ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كانت معه قوات تبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل، فكتب إلى عمر بن الخطاب يطلب المدد من الرجال فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعُبادة بن الصامت، ومسلمة بن مُخلد، وكتب إليه: «إني أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف» وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال[٢].

وحين قَدِم الزبير على (عمرو) وجده محاصراً حصن (بابليون) فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر فقيل للزبير: «إن بها الطاعون»، فقال: «إنما جئنا للطعن والطاعون»[٣].

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص فقال الزبير: إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سُلمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو؛ خوفًا من أن ينكسر، فلما

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١١).

(٢) فتوح مصر والمغرب (ص ٦١) ومعجم البلدان (٦/ ٣٧٦). وقادة فتح الشام ومصر (ص ٢٠٨، ٢٢٦).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٧) والبلاذري (ص ٢١٥).

رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس(١).

* فكان هذا الفتح سببًا فى دخول الإسلام أرض مصر وبذلك يكون الزبير له جميل فى عنق كل مسلم على أرض مصر إلى يوم القيامة.

كان يسمى أولاده بأسماء الشهداء

لقد كان يحب الشهادة فى سبيل الله، ويبحث عنها فى مظانها حتى إنه من حبه للشهادة كان يسمى أولاده بأسماء الشهداء.

قال الزبير بن العوام: إن طلحة بن عبيد الله التيمى يسمى بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبى بعد محمد ﷺ، وإنى أسمِّى بَنِىَّ بأسماء الشهداء لعلهم أن يُستشهدوا... فسمَّى (عبد الله) بعبد الله بن جحش، (والمنذر) بالمنذر بن عمرو، (وعروة) بعروة بن مسعود، (وحمزة) بحمزة بن عبد المطلب، (وجعفرًا) بجعفر بن أبى طالب، (ومصعبًا) بمصعب بن عمير، (وعُبيدة) بعبيدة بن الحارث، (وخالدًا) بخالد بن سعيد، (وعمرًا) بعمرو بن سعيد بن العاص(٢).

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالزهد والورع والبذل والتضحية والفداء كان موعد الرحيل فى معركة الجمل... وذلك عندما قُتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فخرج الزبير مع طلحة بن عُبيد الله وأمنا عائشة للمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان ولم يكن قصدهم قتال على بن أبى طالب رضي الله عنه ولكنهم بعد أن

(١) قادة فتح الشام ومصر (ص ٢٠٩، ٢٢٧).

(٢) الطبقات لابن سعد (٣/ ٧٤).

اتفقوا على الصلح أثار أعوان (عبد الله بن سبأ) الفتنة في معسكر (علي) من ناحية وفي معسكر طلحة والزبير وعائشة من ناحية أخرى وحدث بسببها معركة الجمل.

ولكن طلحة والزبير رضي الله عنهما اعتزلا تلك الحرب فلم يقاتلا، وذلك عندما رأيا (عمارًا) يقاتل في صف (علي) فتذكرا قول النبي ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[1].

وكان طلحة والزبير رضي الله عنهما في جيش معاوية رضي الله عنه الذي يقاتل عمارًا رضي الله عنه فخشيا من الخوض في هذا القتال، ومما زاد حماسهما لاعتزال تلك الحرب قول علي بن أبي طالب للزبير: يا زبير أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقاتله وأنت له ظالم؟ قال الزبير: أذكر، ثم مضى الزبير منصرفًا[2].

فانسحب طلحة والزبير وقُتلا أثناء اعتزالهما لتلك الحرب، فأما الزبير فقد تعقَّبه رجل اسمه عمرو بن جرموز فقتله غدرًا.

وأما طلحة فيقال: إنه جاءه سهم غرب - أي لا يُدرى من الذي رماه -.

وقيل: إن الذي رماه هو مروان بن الحكم.

قاتل الزبير في النار

لقد أخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ أن قاتل الزبير من أهل النار.

وأخبر الحبيب أن الزبير سيموت شهيدًا.

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك،

---

(1) صحيح: رواه مسلم (٢٩١٥) كتاب الفتن، وأحمد (٣/ ٥).

(2) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

فقال رسول الله ﷺ: «اسكنْ حراءُ! فما عليك إلا نبيٌّ أو صدِّيق أو شهيد» وكان عليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهم[1].

وها هو قاتل الزبير (ابن جرموز) - عليه من الله ما يستحقه - يستأذن على (عليٍّ) فقال: مَن هذا؟ فقال: ابن جرموز يستأذن: فقال: ائذنوا له. ليدخل قاتل الزبير النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبي حواري وإن حواريّ الزبير»[2].

وهكذا رحل الشهيد المبارك عن دنيانا ليلحق بالحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في جنة الرحمن إخوانًا على سُرر متقابلين.

* رضي الله عن الزبير وأرضاه وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٣٦٧) وصححه ووافقه الذهبي.

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابي الجليل.

إنه الرجل الذي شهد له النبي ﷺ بأنه من العشرة المبشرين بالجنة.

إنه الرجل الذي صلَّى خلفه النبي ﷺ في غزوة تبوك.

إنه الرجل الذي شهد له النبي ﷺ بأنه هو الصادق البارُّ.

إنه الرجل الذي أنفق أمواله لخدمة الإسلام والمسلمين.

إنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم.

إنه الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

إسلامه رضي الله عنه

لقد بُعث النبي ﷺ بنعمة الإسلام والتوحيد لينقل الناس من الظلمات إلى النور.

وقام النبي ﷺ يدعو عشيرته الأقربين فأسلم أهله وبعض أصحابه وكان على رأسهم أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه الذي لما أسلم قام يحمل أمانة هذا الدين ويدعو كل من حوله للدخول في هذا الدين العظيم.

وكان أبو بكر في بداية دعوته يبحث عن أصحاب الأخلاق والمروءات حتى يعرض عليهم الإسلام.

وكان من بين هؤلاء الأفاضل رجل اسمه عبد عمرو بن عوف من بني زُهرة (أخوال النبي ﷺ).

فعرض عليه أبو بكر الإسلام فأسلم في التو واللحظة ولم يتردد أبدًا في أن يُعلن إسلامه، وكان عبد عمرو قد أسلم بعد أبي بكرٍ بيومين اثنين فقط.

ولم يصبر عبد عمـرو حتى طلب من أبي بكر أن يأخذه معه إلى رسول الله ﷺ فأخـذه أبو بكر وذهب به إلى النبي ﷺ فلمـا رآه عبد عمـرو بكى من شدة الفرح لرؤية رسول الله ﷺ.

وهنا سأله رسول الله ﷺ عن اسمه.

فقال له: اسمي عبد عمرو بن عوف.

فقال له النبي ﷺ: «بل اسمك عبد الرحمن بن عوف».

ففرح عبد عمرو باسمه الجديد «عبد الرحمن بن عوف».

وجعل اسمه القديم في طي النسيان.

* وهكذا كان عـبد الرحـمن بن عوف من السابقـين إلى الإسلام فـهو الرجل الثامن من الذين أسلموا في هذه الأمة.

* وبدأ النبي ﷺ يوسع دائـرة دعوته حـتى أسلم عـدد آخـر من أهل مكة.... وأراد النبي ﷺ أن يجتمع بهم في مكان لا يراه أحد من قريش حتى يُعلمهم أمور دينهم فلم يجد أفضل من دار الأرقم بن أبي الأرقم.

فكان يذهب إلى تلك الدار سـرًا ويتـسلل إليـه أصحـابه دون أن تدري قريش بذلك حتى يُعلمهم تعاليم الإسلام.

وكان عبد الرحمن بن عـوف أحد الذين كانوا يذهبون إلى النبي ﷺ في دار الأرقم حتى يسمع النبي ﷺ ويتعلم منه الخير كله.

صبره على الإيذاء

ولما علم المشركون بإسلام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه آذوه إيذاءً شديدًا وأذاقوه من العـذاب ألوانًا فهاجـر الهجرة الأولى والثـانية إلى الحبشـة فرارًا

بدينه من الإيذاء والتعذيب.

لكنه لم يستطع أن يصبر على فراق النبى ﷺ أكثر من ذلك فقد كان يحب النبى ﷺ أكثر من نفسه، فما كان منه إلا أن عاد مرة أخرى إلى مكة ليذوق العذاب مرة أخرى.

لكن كل ذلك يهون فى سبيل أن يكون فى صُحبة النبى ﷺ.

ولما اشتد الإيذاء والتعذيب أذن النبى ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى يثرب (المدينة المنورة) فكان عبد الرحمن بن عوف ممن هاجروا إلى المدينة المنورة وبعد ذلك بفترة يسيرة هاجر خلفهم النبى ﷺ فسعد به عبد الرحمن سعادة غامرة وعاش فى صُحبته أجمل أيام حياته.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وهناك فى المدينة المنورة آخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار وكان سعد بن الربيع من نصيب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فلقد آخى النبى ﷺ بينهما.

وكان سعد بن الربيع من الأثرياء فما كان منه إلا أن أخذ عبد الرحمن ابن عوف إلى بيته وأخرج له مالاً كثيراً وقال له: يا عبد الرحمن إنى لمن أكثر الأنصار مالاً فخذ هذا المال واقسمه بينى وبينك نصفين وعندى زوجتان فانظر إليهما واختر واحدة منهما أُطلقها لك فإذا مرَّت عدتها تزوجتها أنت.

فلما رأى عبد الرحمن كل هذا الجود والكرم والإيثار قال له: يا سعد بن الربيع بارك الله لك فى أهلك ومالك لا أريد شيئًا ولكن دُلّنى على السوق فدلّه على السوق.

فخرج عبد الرحمن يتاجر ويبيع ويشترى ويجتهد فى كسب اللقمة

الحلال وإذا بالنبى ﷺ يسمع أن عبد الرحمن بن عوف قد أصبح عنده مال وأنه قد تزوج.

فذهب النبى ﷺ ليهنئ عبد الرحمن ثم قال له: «تزوجت يا ابن عوف».

قال: بلى يا رسول الله.

فقال النبى ﷺ: «فكم دفعت مهراً لزوجتك».

فقال عبد الرحمن: دفعت لها وزن نواة من الذهب يا رسول الله.

فقال النبى ﷺ: «اذبح ولو شاة واحدة لإخوانك المسلمين بارك الله لك فى مالك».

وبالفعل قام ابن عوف وذبح شاة وطبخها وجمع إخوانه المسلمين على تلك الوليمة فأكلوا ودعوا له ولزوجه بكل خير.

واستجاب الله دعاء النبى ﷺ لعبد الرحمن بن عوف فأصبح بعد ذلك من أكثر أهل المدينة مالاً.

جهاده فى سبيل الله (جل وعلا)

ولقد شهد عبد الرحمن بن عوف كل المشاهد والغزوات مع رسول الله ﷺ ولم يتأخر أبدًا عن أى غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

ففى يوم بدر خرج عبد الرحمن بن عوف مجاهداً يبحث عن النصر أو الشهادة فقاتل قتالاً شديداً حتى آخر لحظة فى تلك الغزوة وعاد مع المسلمين وهو فى قمة السعادة لانتصار المسلمين على هؤلاء المشركين.

وفى يوم أُحد كان عبد الرحمن بن عوف من الأبطال الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ وأخذ يدافع عن النبى ﷺ حتى أُصيب بجراحات كثيرة فى جسده ولا عجب فى ذلك فهو الذى يتمنى أن يفدى النبى ﷺ بنفسه.

* وما من غزوة غزاها رسول الله ﷺ بعد ذلك إلا كان عبد الرحمن

في طليعة هؤلاء المجاهدين الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم لله جل وعلا.

* بل وفي غزوة تبوك حدثت منقبة عظيمة لعبد الرحمن بن عوف فقد مضى الجيش إلى تبوك وأُقيمت الصلاة وكان النبي ﷺ قد ذهب ليتطهر فلما جاء إلى الجيش وجدهم قد قدَّموا عبد الرحمن بن عوف ليصلي بهم فجاء النبي ﷺ فصلى خلف عبد الرحمن بن عوف فلما سلَّم عبد الرحمن قام رسول الله ﷺ يُتم صلاته فافزع ذلك المسلمين فأكثروا التسبيح فلما قضى النبي ﷺ صلاته أقبل عليهم ثم قال: «أحسنتم»[1] وذلك لأنهم صلوا الصلاة لوقتها... وبذلك كانت أعظم منقبة في حياة ابن عوف بأن صلى خلفه رسول الله ﷺ.

إنفاقه في سبيل الله (جل وعلا)

لقد عاش الصحابة رضي الله عنهم مع كل آية من آيات القرآن الكريم، بل وتعايشوا معها.

فها هو عبد الرحمن بن عوف يستمع إلى قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[2].

وإلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3].

فيُسرع الخُطا لينفق ماله لله جل وعلا رغبة فيما عند الله وزهداً في تلك الدنيا الفانية التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

* وستعجبون يا أحبابي إذا علمتم أن عبد الرحمن كان ينفق على أكثر أهل

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤) كتاب الصلاة.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١١١).

المدينة فلقد كان ينفق على ثُلث أهل المدينة وكان يقضي ديون الثلث الثاني ويُقرض ماله للثلث الآخر من أهل المدينة فكان أكثر ماله يُنفق على أهل المدينة.

وكان قد أوصى بعطاء خاص للبدريين الذين شهدوا غزوة بدر.

* بل لقد تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله، ثم تصدق بعد ذلك بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة، وكان أكثر ماله من التجارة وقيل: إنه أعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً[١].

* بل وفي يوم من الأيام قال النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهلي من بعدي»[٢] فما كان من عبد الرحمن بن عوف إلا أن باع حديقة بأربع مائة ألف وقسَّمها في أزواج النبي ﷺ.

عن أم سلمة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: «إن الذي يحنو عليكن بعدي لهو الصادق البار. اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة»[٣][٤].

* بل وفي يوم من الأيام طلب النبي ﷺ من أصحابه أن يتصدقوا لتجهيز جيش العُسرة الذي كان سيخرج إلى غزوة تبوك.

فجاء أبو بكر بكل ماله... وجاء عمر بنصف ماله... وجاء عثمان بن عفان بمالٍ وفير حتى قال عنه النبي: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم»... وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية من الذهب ووضعها في حجر

---

(١) الإصابة/ للحافظ ابن حجر (٤/ ٩١).

(٢) حسن: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٥٢) وقال: صحيح على شرط مسلم، والخطيب (٧/ ٢٧٦)، وابن أبي عاصم (٢/ ٦١٦)، وأبو يعلى (١٠/ ٣٣)، قال الهيثمي (٩/ ١٧٤): رجاله ثقات، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٨٤٥).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣١١- ٣١٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات - مجمع الزوائد (١٤٨٩٨).

رسول الله ﷺ حتى كان الناس ينظرون إليه ويتعجبون من كثرة جوده وكرمه.

* ولما توفي الرسول ﷺ كان راضيًا عن عبد الرحمن بن عوف وكان يدعو له بالبركة في ماله... فما زال ماله يزيد وينمو ببركة دعاء النبي ﷺ.

وفي يوم من الأيام جاءت بعض القوافل التجارية لعبد الرحمن بن عوف من اليمن والشام وكانت عبارة عن تسعمائة ناقة مُحمَّلة بالبضائع فلما مرت أمام غرفة أمنا عائشة اهتزت الغرفة فظنت عائشة أنه زلزال ولكن النساء أخبرنها بأنها أصوات قافلة عبد الرحمن بن عوف.

فقالت أمنا عائشة: أجل والله فهذا الذي يدخل الجنة بماله.

فلما وصلت تلك المقالة لعبد الرحمن بن عوف ذهب إلى أمنا عائشة وقال لها: يا أُماه أنت التي قلتِ كذا وكذا.

قالت: أجل.

قال: أُشهدك أني قد جعلتها كلها لله جل وعلا.

زهده في الدنيا رضي الله عنه

ومع كل هذه الأموال والثروات فقد كان زاهدًا في هذه الدنيا الزائلة فقد كان المال في يده وليس في قلبه.

وفي يوم من الأيام كان عبد الرحمن صائمًا فأحضروا له الطعام عند الإفطار فنظر إلى الطعام فبكى وقال: قُتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خيرٌ مني كُفِّن في بُردة إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّي رجلاه بدا رأسه - أي ظهر رأسه - وقُتل حمزة رضي الله عنه وهو خير مني، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط، أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عُجِّلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[1].

(١) صحيح: رواه البخاري (١٢٧٥) كتاب الجنائز.

* ولم يكن زاهدًا في المال فحسب بل كان زاهدًا في الإمارة والخلافة.

فها هو عثمان بن عفان لما مرض دعا رجلاً اسمه (حُمران) وقال له: اكتب لعبد الرحمن العهد من بعدى ليكون خليفة على المسلمين.

فكتب له... وانطلق حُمران إلى عبد الرحمن وقال له: جئتك بالبشرى.

قال عبد الرحمن: وما هي البشرى.

حُمران: لقد كتب أمير المؤمنين العهد لك من بعده لتكون أميراً للمؤمنين.

فقام عبد الرحمن بين القبر والمنبر ودعا وقال: اللهم إنك تعلم أنى لا أريد شيئًا من ذلك فإن كان عثمان يريد منى أن أكون خليفة على المسلمين فأمتنى قبله فلم يمكث عبد الرحمن بن عوف بعد ذلك إلا ستة أشهر حتى مات.

وأراحه الله من أن يشهد الفتن التي حدثت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالزهد والورع والحلم والتواضع والبذل والجود والإيثار نام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على فراش الموت وفاضت روحه إلى بارئها جل وعلا.

لقد رحل عن هذه الحياة بكل هدوء ليلحق بالنبى ﷺ وأصحابه في جنات النعيم التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* ولقد حدث مشهد عجيب قبل موته بشهر يرويه لنا ابنه إبراهيم فيقول: غُشى على عبد الرحمن بن عوف في وجعه حتى ظنوا أنه قد

فاضت نفسه حتى قاموا من عنده، وجللوه، فأفاق يُكبِّر، فكبَّر أهل البيت، ثم قال لهم: غُشي عليَّ آنفًا؟ قالوا: نعم، قال: صدقتم! انطلق بي في غشيتي رجلان أجد فيهما شدة وفظاظة فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فانطلقا بي حتى لقيا رجلاً، قال: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين فقال: ارجعا، فإنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، وإنه سيُمتَّع به بنوه إلى ما شاء الله. فعاش بعد ذلك شهرًا[1].

* لقد مات عبد الرحمن بن عوف ولكن لم ولن تموت سيرته العطرة رضي الله عن عبد الرحمن بن عوف وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *

(١) أخرجه الحاكم (٣/٣٠٧) وقال البوصيري: إسناده صحيح.



سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

سعد بن أبي وقاص

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابي الجليل.
إنه الصحابي الذي أسلم مبكرًا حتى أنه مرَّ عليه سبعة أيام وهو ثُلث الإسلام.
إنه أول من رمى بسهمٍ في سبيل الله جل وعلا.
إنه أحد العشرة المبشرين بالجنة.
إنه خال رسول الله ﷺ الذي قال له النبي ﷺ: «فداك أبي وأمي»[1].
إنه بطل القادسية وفاتح المدائن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

من هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه؟

ولعلك يا بُني تسأل: من هو سعد بن أبي وقاص؟
فأقول لك: إنه سعد بن أبي وقاص بن وهيب. وكان وهيب جد سعد هو عم آمنة بنت وهب (أم النبي ﷺ) ولذلك كان الناس يعرفون سعدًا بأنه خال رسول الله ﷺ.
وكان سعد يعيش في قبيلة بني زُهرة وهم أخوال رسول الله ﷺ.

إسلامه رضي الله عنه

لقد كان سعد رضي الله عنه من أكرم فتيان مكة وأشرفهم نسبًا وكان يرى فساد أهل الجاهلية فيحترق قلبه حزنًا على حال الناس من حوله فقد كان العرب قبل بعثة النبي ﷺ على أسوأ حال عرفته البشرية على مدى العصور والأزمان.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٢٩) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤١١) كتاب فضائل الصحابة.

فكان سعد يتمنى أن يحدث أى شيء في هذا الكون ليكون سبباً لإنقاذ البشرية من الظُّلمات إلى النور.

وأراد الله جل وعلا الخير بهذه الأمة فأشرق نور الوحى في أرجاء مكة ليُضيئ للكون كله طريقه إلى الله.

نعم.... لقد بُعث النبى محمد ﷺ وجاء ليُخرج الناس من الظُّلمات إلى النور وعلى الرغم من أن سعدًا كان يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا إلا أنه كان عاقلاً لبيبًا.. فلم يكن من الشباب الذين يقتلون أوقاتهم في اللهو واللعب وإنما كان يقضى وقته في إعداد السهام والتدرُّب على الرماية وممارسة الرياضة.

فلما سمع بخبر بعثة النبى ﷺ لم يتأخر لحظة واحدة بل ذهب فى التو واللحظة ووضع يده في يد النبى ﷺ وأعلن إسلامه لله جل وعلا فهو الذى يعرف النبى ﷺ قبل البعثة ويعرف أنه الصادق الأمين.

فأسلم سعدٌ مبكرًا حتى أنه كان يقول: ما أسلم أحدٌ فى اليوم الذى أسلمت فيه ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثُلث الإسلام.

ثباته على الحق

ولكن إسلام سعد بن أبى وقاص لم يكن سهلاً هينًا بل تعرض هذا الصحابى الجليل لابتلاءٍ شديد لم يكن يخطر على باله.... لدرجة أنه من شدة ابتلائه أنزل الله فى شأنه قرآنًا.

فلقد كان سعد من أبرِّ الناس بأمه فلما أسلم قالت له أمه: يا سعد كيف تترك دين الآباء والأجداد وتعتنق دينًا جديدًا لا نعرفه؟! إما أن تترك هذا الدين أو أمتنع عن الطعام والشراب حتى أموت فتُعيرك العرب بأنك أنت الذى قتلت أمك.

وأصرت الأم على موقفها لأنها تعلم أن ابنها يحبها حبًّا جمًا فكانت

تظن أنه سيرقّ قلبه لها وسيترك دينه من أجلها.

فقال لها سعد: والله يا أُماه إني مع شدة حبي لك لأشد حبًا لله فلو كانت لك مائة نفسٍ فخرجت نفسًا بعد نفسٍ ما تركت هذا الدين أبدًا فإن شئتِ فكُلي أو لا تأكلي.

فلما أيقنت هذه الأم أن ابنها لن يترك هذا الدين أكلت وأنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾(١).

في رحاب الحبيب المصطفى ﷺ

ولقد عاش سعد رضي الله عنه في رحاب الحبيب المصطفى ﷺ وتعلّم بين يديه الخير كله.

وكان سعد يحب النبي ﷺ حبًا جمًا حتى أنه كان يتمنى أن يفدي النبي ﷺ بنفسه وولده وماله والدنيا كلها.

وها هي أمنا عائشة رضي الله عنها تخبر أنه في يوم من الأيام أصيب النبي ﷺ بأرقٍ فقال: «ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة»، قالت: فسمعنا صوت السلاح، فقال رسول الله: «مَنْ هذا؟» قال سعد بن أبي وقاص: أنا يا رسول الله جئت أحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعتُ غطيطه(٢).

* ولقد كان النبي ﷺ يبادله هذا الحب.

ففي يوم من الأيام كان النبي ﷺ جالسًا مع أصحابه فجاء سعد بن أبي وقاص فقال النبي ﷺ: «هذا خالي فليُرني امرؤٌ خاله»(٣).

(١) سورة لقمان: الآية: (١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٨٥) كتاب الجهاد، ومسلم (٢٤١٠) كتاب الفضائل.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٥٢) كتاب المناقب، والحاكم (٣/ ٤٩٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه ووافقه الذهبي وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٩٩٤).

* بل وفي يوم من الأيام كان النبي ﷺ مع بعض أصحابه فوق جبل حراء فاهتز الجبل فقال له النبي ﷺ: «اثبت حراء فإنما عليك نبيٌّ أو صدِّيق أو شهيد» وكان عليه النبي ﷺ وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد.

* بل لما سمع النبي ﷺ بمرض سعد بن أبي وقاص ذهب إليه ليزوره ووضع يده على جبهة سعد ومسح على وجهه وبطنه وقال: «اللهم اشفِ سعدًا وأتمم له هجرته»[1].

* وكان سعد رضي الله عنه هو أول من رمى بسهم في سبيل الله فقد بعث النبي ﷺ سرية فيها سعد بن أبي وقاص إلى مكان في الحجاز يُدعى (رابغ) فأقبل المشركون على المسلمين فحماهم سعد يومئذ بسهامه فكان هذا أول قتال في الإسلام وكان سعدٌ أول من رمى بسهمٍ في سبيل الله.

صبره على الإيذاء

ولقد تعرض سعد بن أبي وقاص لإيذاءٍ شديد من المشركين ومع ذلك كان صابرًا محتسبًا.

ولما دخل النبي ﷺ شعب أبي طالب في تلك المقاطعة الظالمة التي فعلها المشركون مع المسلمين.... دخل سعد مع النبي ﷺ وظل معه في الشِّعب ثلاث سنوات حتى أكل ورق الشجر.... وظل مع النبي ﷺ حتى كشف الله هذه الغُمة وهاجر بعدها سعدٌ إلى المدينة المنورة وعاش هناك في رحاب الحبيب ﷺ.



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٥٩) كتاب المرضى، ومسلم (١٦٢٨) كتاب الوصية.

جهاده في سبيل الله (جل وعلا)

ولقد شهد سعد بن أبي وقاص كل المشاهد والغزوات مع رسول الله ﷺ ولم يتأخر عنه أبداً.

* ففي يوم بدر كان سعدٌ يقاتل قتالاً شديداً... وكان معه في تلك الغزوة أخوه الصغير (عُمير بن أبي وقاص) الذي لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره فلما أراد النبي ﷺ أن يردَّه عن الجهاد لصغر سنه بكى عُمير فقال سعد للنبي ﷺ: دعه يا رسول الله لعل الله أن يرزقه الشهادة في سبيله.

فدخل عُمير يقاتل حتى قُتل شهيداً... وانتصر المسلمون في غزوة بدرٍ انتصاراً ساحقًا.

وعاد سعد من تلك الغزوة بجراحه وأفراحه.

فقد كان سعيداً بانتصار المسلمين لكنه كان حزينًا لقتل أخيه الصغير عُمير ابن أبي وقاص.

* وفي غزوة أُحد كان النصر في بداية الأمر للمسلمين.... فلما عصى الرُّماة أمر رسول الله ﷺ ونزلوا من على الجبل انقضَّ المشركون على المسلمين وقتلوا سبعين من الصحابة الأبرار وأرادوا بعد ذلك أن يقتلوا النبي ﷺ فنادى النبي ﷺ على أصحابه فاجتمع حوله سبعة من الأنصار واثنان من المهاجرين هما: سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عُبيد الله رضي الله عنهم أجمعين.

فكان سعدٌ يرمي بالسهام دفاعًا عن رسول الله ﷺ حتى أن النبي ﷺ كان يناوله السهام ويقول له: «يا سعد ارم فداك أبي وأمي»[1].

وكان هناك رجلٌ من المشركين قد أصاب عدداً كبيراً من المسلمين فقال النبي ﷺ لسعد: «ارم فداك أبي وأمي».

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٥٩) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤١١) كتاب فضائل الصحابة.

قال سعد: «فنزعت بسهم ليس فيه نصل، فأصبتُ جبهته، فوقع وانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه»[١].

*بل إنه رضي الله عنه رأى الملائكة يوم «أُحد».

عن سعد رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم أُحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثيابٌ بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد»[٢].

*وعاد سعدٌ من غزوة أُحد بجراحه وأفراحه... فقد كان حزينًا لقتل هؤلاء الصحابة الأبرار... وفى نفس الوقت كان سعيدًا لفوزه بدعاء النبى ﷺ عندما قال: «اللهم سدِّد رميته وأجب دعوته». فكان سعد يرمى بالسهم لا يخطئ أبدًا بل يصيب عدوه... وكان مستجاب الدعاء فكان لا يدعو دعوة إلا استجاب الله دعوته.

وظل سعد رضي الله عنه يشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ثابتًا حتى توفى رسول الله وبقى سعد على عهده الذى كان عليه يشهد المشاهد مع أبى بكر وعمر رضي الله عنهما جميعًا حتى كانت الفتوحات الإسلامية فى عهد عمر رضي الله عنه وهنا قام سعد رضي الله عنه كالأسد الضارى يشق صفوف الأعداء ليحقق للإسلام أعظم الانتصارات.

بطل القادسية

وتمر الأيام وقام الفُرس يتجهزون لقتال المسلمين فجمعوا لهم أعدادًا كبيرة من المقاتلين.

فأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يخرج بنفسه للجهاد ولقيادة جيش المسلمين ولكن بعض الصحابة أشاروا عليه أن يبقى بالمدينة وأن يولى رجلاً

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٢) كتاب الفضائل باب مناقب سعد.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٥٤) كتاب المغازى، ومسلم (٢٣٠٦) كتاب الفضائل.

آخر لقيادة الجيش.

وبينما هو يشاور أصحابه في هذا الأمر إذ وصل إليه خطاب من سعد بن أبي وقاص- وكان سعد قد أرسله عمر ليجمع الصدقات من قبيلة هوازن-.

فلما رأى عمر الخطاب قال للناس: لقد وجدت من يقود الجيش.

قالوا: من هو يا أمير المؤمنين؟

قال: إنه الأسد المغوار سعد بن أبي وقاص.

واستدعى (عمر) سعد بن أبي وقاص وكلَّفه بقيادة الجيش وأوصاه بمن معه خيرًا ثم قال له: يا سعد لا يغرنَّك أن قيل لك: «إنك خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله ﷺ فإنه ليس بيننا وبين الله نسب إلا بالتقوى».

وخرج البطل سعد بن أبي وقاص بالجيش وهم يقولون: حسبُنا الله ونعم الوكيل... وأخذ سعد ينظم الجيش ويحضهم على طاعة الله.

ووصل الجيش إلى القادسية فأرسل سعد بعض أصحابه ليعلموا له خبر جيش أهل فارس... ثم أرسل وفودًا إلى كسرى ملك الفرس وإلى رستم قائد جيوش الفرس ليفاوضوهم ويعرضوا عليهما مطالب المسلمين: الإسلام أو الجزية أو القتال فكان لهذه الوفود تأثير معنوي كبير على كسرى وقائده رستم.

* وتهيأ المسلمون للقتال... وكان سعد يعاني من آلام شديدة لكنه تحامل على نفسه وقاد الجيش أمام الفرس ولكنه لم يستطع أن يقاتل بل جلس على صخرة عالية يُشرف على الناس ويرسم لهم خطط الحرب ضد الفرس.

واستمر الجهاد أمام الفرس ثلاثة أيام وكتب الله النصر الكبير للمسلمين في معركة القادسية وغنموا غنائم كثيرة.

وكتب سعد إلى عمر بن الخطاب ليخبره ويبشره بالنصر على الفرس ففرح عمر فرحًا شديدًا وسجد شكرًا لله جل وعلا.

العبور على النهر بالخيول

ثم كتب عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص يأمره بأن يتحرك بالجيش لفتح (المدائن) عاصمة (كسرى).

فتحرك الجيش المنتصر باتجاه المدائن... وسار المسلمون من نصر إلى نصر حتى أصبحوا على شاطئ نهر دجلة في الجهة المقابلة للمدائن فأراد سعد أن يحمل المسلمين عل السفن للعبور إلى المدائن ولكن الفرس ضمُّوا السفن ليحرموا المسلمين من العبور على السفن.

ولما أقبل الليل نام المسلمون فرأى سعدٌ في منامه أن خيول المسلمين تعبر نهر دجلة... فلما أصبح جمع الجيش وقال لهم: إني قد عزمت على أمرٍ.

قالوا: على أي شيء عزمت.. عزم الله لنا ولك على الرشد.

فقال: إني عزمت على أن نعبر نهر دجلة بالخيول.

فقالوا: ونحن معك إن شاء الله.

* وعبر المسلمون نهر دجلة بالخيول وكانوا يتحدثون في النهر كما كانوا يتحدثون في البر فلما رآهم ملك الفرس هرب من قصره وهو يقول للفرس: والله ما تقاتلون الإنس وإنما تقاتلون الجن.

وعبر المسلمون النهر وفتحوا المدائن ودخلوا قصر ملك الفرس ودخلوا إيوان كسرى وجمعوا غنائم كثيرة لا يُحصى عددها... وهكذا كتب الله النصر للمسلمين على يد هذا القائد العظيم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

الله يستجيب دعاءه

وكان النبي ﷺ قد دعا لسعدٍ وقال: «اللهم استجب لسعدٍ إذا دعاك»[1].

فكان سعد مستجاب الدعاء.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٥١) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٣٧٥١).

وكان عمر بن الخطاب قد جعل سعداً واليًا على الكوفة فشكا أهل الكوفة سعداً فعزله عمر واستعمل عليهم عمار بن ياسر رضي الله عنه.

ولكن عمر أراد أن يستوثق من شكوى أهل الكوفة فأرسل سعد بن أبي وقاص وأرسل معه رجالاً إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفًا حتى دخل مسجداً لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية... قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياءً وسمعة فأطِل عمره وأطل فقره وعرِّضه للفتن.

فطال عمر هذا الرجل حتى سقط حاجباه على عينيه من كبر سنه وعاش فقيرًا طوال عمره وكان يقف في الطرقات يتعرض للبنات... فلما سُئل عن ذلك قال: شيخٌ مفتون أصابتني دعوة سعد.

* بل ها هو موقف آخر يوضح لنا كيف أن الله كان يستجيب لسعدٍ إذا دعاه.

عن قيس بن أبي حازم قال: كنت بالمدينة فبينما أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت فرأيت قومًا مجتمعين على فارس قد ركب دابة وهو يشتم علي بن أبي طالب والناس وقوف حواليه إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فوقف عليهم فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم علي بن أبي طالب فتقدم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليه فقال: يا هذا علام تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ ألم يكن زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ في غزواته؟ ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم إن هذا يشتم وليًا من أوليائك فلا

تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك... قال قيس: فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات.

فأعتق سعدٌ نسمة وحلف أن لا يدعو على أحدٍ بعد ذلك.

اعتزاله للفتنة

لما قُتل عمر وسأله الناس وهو في لحظات حياته الأخيرة من الذى تستخلفه من بعدك؟.

فأشار عليهم أن يختاروا الخليفة من بين ستة من الصحابة كان على رأسهم سعد ابن أبى وقاص... حتى قال لهم عمر: إن أصابت سعداً وإلا فليستعن به الخليفة من بعدى فإنى لم أعزل سعداً عن الكوفة بسبب ضعف أو خيانة.

فلما استُخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه أمَّر سعداً على الكوفة مرة أخرى.

* ولما قُتل عثمان وحدثت الفتنة بين الصحابة ما كان من سعدٍ إلا أن اعتزل الفتنة وقال: لا أقاتل حتى تأتونى بسيفٍ له عينان ولسان فيقول: هذا مؤمن وهذا كافر.

أى أنه رفض أن يقاتل مسلمًا ولم يشترك فى هذه الفتنة التى وقع فيها الصحابة دون قصدٍ منهم وإنما كانت بمكرٍ وخديعة من أعداء الإسلام الذين قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

زهده فى الإمارة

وكان سعد رضي الله عنه لا يطمع فى أى شىء من حطام الدنيا فهو يعلم أن كل نعيم دون الجنة فهو سراب، وأن كل عذاب دون النار فهو عافية... فكان لا تطمح نفسه إلا فى جنة الرحمن جل وعلا.

عن عامر بن سعد أنَّ أباه سعداً، كان في غنمٍ له فجاء ابنه عمر فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما انتهى إليه، قال: يا أبتِ أرضيت أن تكون أعرابيًا في غنمك، والناسُ يتنازعون في المُلك بالمدينة، فضرب صدر عمر، وقال: اسكت، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يحب العبد التقى الغنى الخفى»[1].

صبره على البلاء

لما قَدِم سعد بن أبي وقاص مكة، وقد كان كُفَّ بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له... فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة.

فقال له شاب اسمه عبد الله بن السائب: يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فردَّ الله عليك بصرك؟! فتبسم وقال: يا بُني قضاءُ الله سبحانه عندي أحسن من بصري[2].

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالبذل والتضحية والجهاد في سبيل الله نام سعد رضي الله عنه على فراش الموت ليُسلم روحه إلى بارئها جل وعلا وليلحق بالحبيب ﷺ في جنة الرحمن... فهو من العشرة المبشرين بالجنة.

عن مصعب بن سعد أنه قال: كان رأس أبي في حجري، وهو يقضي. فبكيت، فرفع رأسه إليَّ، فقال: أي بُني ما يُبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبكِ فإن الله لا يعذبني أبدًا. وإني من أهل الجنة[3].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٥) كتاب الزهد.

(٢) الإحياء (٤/ ٣٦٨).

(٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ١/ ٤٠١) نقلاً من السير للذهبي (١/ ١٢٢).

* ولما كان اليوم الذي توفي فيه سعد قال لأولاده: إن لي جُبة من صوف كنت قد لقيت المشركين فيها يوم بدر فكفنوني فيها فإني أحب أن ألقى الله بها فقد خبأتُها لهذا اليوم.

ومات سعد في قصره بالعقيق على بُعد عشرة أميال من المدينة فحُمل على رقاب الرجال إلى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذ والي المدينة، ثم صلى عليه أزواج النبي ﷺ في حُجرهن، ودُفن بالبقيع[1].

رضي الله عن سعد بن أبي وقاص وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *

---

(١) صفة الصفوة (١/ ١٤٧).

سعيد بن زيد رضي الله عنه





سعيد بن زيد رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع صحابي جليل كان من السابقين الأولين ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

بشَّره النبي ﷺ بأنه من العشرة المبشرين بالجنة.

إنه الرجل الذي شهد مع النبي ﷺ كل الغزوات ما عدا غزوة بدر فقد كان في مهمة كلَّفه بها رسول الله ﷺ... وشهد حصار دمشق وفتحها فولاه عليها أبو عُبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه

لقد كان زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد فريدًا في عصره وزمانه فقد كان الناس يعبدون الأصنام وهو يعبد الواحد الديان فخرج من صُلبه هذا الابن المبارك (سعيد بن زيد) ليكون واحدًا من العشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة.

وكان زيد بن عمرو يُحيي الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها فإذا ترعرعت، قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤنتها[1].

وكان يعيب على قريش، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من

(١) أخرجه البخاري معلقًا (٣٨٢٨) في المناقب - والحاكم ووصله وصححه (٣/ ٤٠٤) ووافقه الذهبي.

السماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟».

وحتى نسعد بتلك السيرة العطرة فتعالوا بنا لنرى كيف كان حال زيد بن عمرو وما هي قصته لنعرف كيف خرجت تلك الثمرة من أغصان هذه الشجرة المباركة.

رحلة التوحيد

ففي يوم من الأيام اجتمعت قريش في عيدٍ لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يُعظمونه ويذبحون له ويعكفون عنده.... وكان ذلك عيداً لهم كل سنة.

فاجتمع أربعة منهم بعيداً عن هؤلاء القوم: وهم زيد بن عمرو بن نُفيل وورقة بن نوفل وعُبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث.

فقال بعضهم لبعض: إنكم تعلمون أن قومكم ليسوا على الحق فقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم... فكيف نطوف بحجر لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يُبصر... فهيا نطوف في البلدان بحثًا عن الدين الحق.

فأما ورقة بن نوفل فقد اعتنق النصرانية.

وأما عُبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمًا، فلما قَدِمها تنصرَّ، وفارق الإسلام حتى هلك هنالك نصرانيًا.

وأما عثمان بن الحويرث فقَدِم على قيصر ملك الروم فتنصرَّ، وحَسُنت منزلته عنده.

وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تُذبح على

الأوثان، ونهى عن قتل الموءودة وقال: أعبدُ ربَّ إبراهيم.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفيل شيخًا كبيرًا مُسندًا ظهرهُ إلى الكعبة وهو يقول: يا معشر قريش، والذى نفسُ زيد بن عمرو بيده، ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيرى، ثم يقول: اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه، ثم يسجد على راحته.

* وكان زيد بن عمرو بن نُفيل هو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يعيش قبل بعثة النبى ﷺ وكان على الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام وكان الخطَّاب والد عمر يؤذيه كثيرًا ويعذبه لأنه لا يعبد الأصنام التى يعبدونها من دون الله جل وعلا وكان يعاتبه على فراق دين قومه.

وفى يوم من الأيام وكَّل به شبابًا من شباب قريش وسُفهائهم.

وقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة.... فكان لا يدخل مكة إلا سرًا.

* وفى يوم من الأيام خرج زيد بن عمرو بحثًا عن الدين الحق.

وظل يطوف البلدان حتى وصل إلى بلاد الشام وهناك التقى براهب من أعلم الناس بالنصرانية فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم؛ فقال: إنك لتطلبُ دينًا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظل زمانٌ نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فالحق بها، فإنه مبعوثٌ الآن، هذا زمانه.

* وبينما هو فى الطريق إلى مكة كان النبى ﷺ قد بُعث ولم يكن زيد يعلم بذلك لكنه كان يريد أن يسأل عن النبى ﷺ فإذا علم أنه بُعث فإنه كان ينوى أن يُسلم معه لله رب العالمين.

ولكنه كان على موعدٍ مع القدر فقد قتله بعض الأعراب وهو فى طريقه إلى مكة.

وفى آخر رمق من حياته رفع بصره إلى السماء، وقال: اللهم إن كنت حرمتنى من هذا الخير فلا تحرم منه ابنى سعيداً.

واستجاب الله دعوته المباركة فكان ابنه سعيد من السابقين إلى الدخول فى الإسلام فقد أسلم قبل دخول النبى ﷺ دار الأرقم.

* وأسلمت مع سعيد زوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب وكان سعيد يُخفى إسلامه هو وزوجته خوفًا من بطش قريش وخوفًا من بطش عمر بن الخطاب الذى لما علم بخبر إسلامهما ذهب إليهما فى البيت وآذى أخته وزوجها إيذاءً شديداً ثم ندم بعد ذلك على كل ما فعله... وكان ذلك من أسباب إسلامه وإن كان السبب الأساسى فى إسلام عمر رضي الله عنه هو دعوة النبى ﷺ عندما قال: «اللهم أعِزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبى جهل أو بعمر بن الخطاب» وكان أحبهما إليه عمر[(١)].

* وفى يوم من الأيام يذهب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقالا له: أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: «نعم فإنه يُبعث أمة وحده»[(٢)].

* وتمر الأيام ويهاجر سعيد بن زيد مع زوجته فاطمة إلى المدينة المنورة ويسعدا برحاب النبى ﷺ الذى تعلَّما على يديه الخير كله.

منقبة عظيمة

وفى يوم من الأيام يصعد سعيد بن زيد مع النبى ﷺ وبعض الصحابة على جبل حراء فاهتز الجبل فقال له النبى ﷺ: «اسكن حراءُ فما عليك إلا نبى أو صدِّيق أو شهيد»، وعليه النبى، وأبو بكر، وعمر، وعثمان،

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨١) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٦٠٣٦).

(٢) رواه أحمد (١٦٤٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وعلى، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن، وسعيد بن زيد» [(١)].

جهاده في سبيل الله

لقد شهد سعيد بن زيد رضي الله عنه المشاهد كلها ما خلا بدرًا، وذلك لأن النبي ﷺ كان قد أرسله في مهمة، فلما عاد وجد النبي ﷺ عائدًا من الغزوة فضرب له النبي ﷺ بسهمه، فكان كمن شهدها.

وما زال يشهد المشاهد بعد وفاة الرسول ﷺ يبحث عن الشهادة في سبيل الله ولا يرضى عنها بديلاً.

* وظل سعيد يجاهد بعد موت النبي ﷺ ... فذهب للجهاد في بلاد فارس حتى تمكَّن المسلمون من النصر على الفرس وأُطفئت نار المجوس بفضل الله جل وعلا.

فلما انتهت الفتوحات في بلاد فارس وإذا بسعيد بن زيد يحمل سلاحه ويذهب إلى بلاد الشام ليقاتل الروم.

بطولاته في يوم أجنادين

لقد كان سعيد بن زيد قائد الفرسان يوم أجنادين وكان من أشد الناس وهو الذي أشار على خالد بن الوليد ببدء القتال يوم أجنادين لما رمى الروم المسلمين بالسهام... فصاح سعيد بن زيد بخالد بن الوليد قائلاً له: لماذا نجعل أنفسنا هدفًا للروم فنادى خالد على الجيش وقال لهم: احملوا باسم الله... فقاموا بهجوم في غاية القوة والشراسة وصبروا على نبال الروم وسهامهم ففزع الروم وانهزموا هزيمة شديدة وقتلهم المسلمون كيف شاءوا واستولوا على معسكرهم وما كان يحويه.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٤٨) كتاب السنة، وأحمد (١/ ١٨٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٨٧٥).

أسدٌ فى معركة اليرموك

ولعل أروع البطولات التى سجلها سعيد بن زيد هى بطولته فى معركة اليرموك فقد كان انتصار المسلمين على الروم فى تلك المعركة يعنى سقوط بلاد الشام كاملة فى أيدى المسلمين.

لكن النصر كان قريبًا من الروم لكثرة عددهم وعُدتهم... فقد كان عدد المسلمين أربعًا وعشرين ألفًا وعدد الروم مائة وعشرين ألفًا فأقبلوا على المسلمين كأنهم جبال تتحرك.. وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقساوسة يحملون الصُلبان ويجهرون بصلاتهم فيرددها الجيش من ورائهم فكانت أصواتهم كالرعد.

فلما رآهم المسلمون على تلك الحالة أحسُّوا بشيء من الخوف والرعب.

عند ذلك قام أبو عبيدة بن الجراح يحض المسلمين على القتال، فقال: عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، عباد الله، اصبروا، فإن الصبر منجاةٌ من الكفر ومرضاةٌ للرب، والزموا الصمت إلا من ذكر الله عز وجل فى أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله... قال سعيد: عند ذلك خرج رجلٌ من صفوف المسلمين وقال لأبى عبيدة: إنى عزمت على أن أموت شهيدًا فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ؟ فقال أبو عبيدة: نعم، تُقرئه منى ومن المسلمين السلام، وتقول له: يا رسول الله، إنَّا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا. قال سعيد: فما إن سمعتُ كلامه ورأيته يأخذ سيفه ويمضى إلى لقاء أعداء الله حتى رميت بنفسى بشدة على الأرض وجثوت على رُكبتى وأمسكت برُمحى فلما أقبل الروم علينا واقتربوا قفزت فى وجوههم وأخذت أطعن برمحى كل من يقابلنى من الروم حتى قتلت منهم عددًا كبيرًا وقد انتزع الله كل ما فى قلبى من الخوف... وما زلنا نقاتل

الروم حتى كتب الله النصر للمؤمنين.

* وفرح أبو عُبيدة بن الجراح بهذا النصر فرحًا شديدًا وازداد فرحه بما فعله سعيد بن زيد فأسند إليه فتح دمشق ثم جعله واليًا عليها فظل عليها حتى عهد بني أمية.

الله يستجيب دعاءه

وفي عهد الدولة الأموية عاش سعيد بن زيد حزينًا لفراق كثير من أصحاب النبي ﷺ الذين ماتوا قبله وازداد حزنه لكثرة الفتن التي انتشرت في بلاد المسلمين فما كان منه إلا أن آثر العودة إلى المدينة ليقيم فيها وكان والي المدينة في ذلك الوقت مروان بن الحكم.

وفي يوم من الأيام قامت امرأة تُسمى (أروى بنت أويس) تدّعي أن سعيد بن زيد قد سرق شيئًا من أرضها وضمّها إلى أرضه.

فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيد: أنا كنت آخذُ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ؟ قال مروان: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طُوِّقه إلى سبع أرضين» فقال له مروان: لا أسألك بيِّنة بعد هذا.

فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فعمِّ - فأعمِ - بصرها واقتلها في أرضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها ثم بينا - بينما - هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حُفرة فماتت»[1].

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦١٠) كتاب المساقاة.

وحان وقت الرحيل

وبعد تاريخ حافل بالعطاء والتضحية والجهاد في سبيل الله رحل سعيد ابن زيد رضي الله عنه عن دنيا الناس إلى جنة الرحمن، فهو من العشرة المبشرين بالجنة.

وتوفي بالعقيق فحُمل إلى المدينة ودُفن بها وغسَّله سعد بن أبي وقاص ونزل في قبره سعد وابن عمر، وذلك في سنة خمسين أو إحدى وخمسين وكان يوم أن مات ابن بضع وسبعين سنة.

* رضي الله عن سعيد بن زيد وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

أبو عُبيدة بن الجراح رضي الله عنه

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابى الجليل.

إنه أول من لُقِّب بأمير الأمراء.

إنه من السابقين إلى الاسلام فقد أسلم بعد أبى بكر بيوم واحد.

إنه الرجل الذى يجتمع نسبه مع نسب النبى ﷺ فى جده (فهر).

إنه أمين هذه الأمة الميمونة المباركة.

إنه أحد العشرة المبشرين بالجنة.

إنه قائد الفتوحات الإسلامية فى بلاد الشام.

إنه الصحابى الجليل عامر بن عبد الله بن الجراح... وكُنيته: أبو عُبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

إسلامه رضي الله عنه

لما بُعث النبى ﷺ وعرض الإسلام على أبى بكر الصديق فأسلم لساعتها ولم يتردد لحظة واحدة.

ثم خرج أبو بكر داعية إلى الله جل وعلا فأسلم على يديه عدد كبيرٌ وكان على رأسهم أبو عُبيدة بن الجراح الذى أسلم بعد أبى بكر بيومٍ واحد.

وذهب أبو عُبيدة ليرى النبى ﷺ ويسعد بصحبته الغالية.

❋ ❋ ❋

صبره على الإيذاء

وكغيره من أصحاب الرسول ﷺ فقد تعرض أبو عبيدة للإيذاء والتعذيب ولكنه ظل صابرا ثابتًا على دينه فما كان يزيده العذاب إلا ثباتًا على الحق ويقينًا في أن النصر قادم إن شاء الله .

ثم إنه يعلم أن الجنة تحتاج إلى الصبر والبذل والتضحية .

وفوق ذلك كله فهو لا يريد إلا الفوز برضوان الله ورحمته ومغفرته وهو يعلم أنه لن يفوز برضوان الله إلا بالثبات على دينه والبذل لنُصرة هذا الدين العظيم .

الهجرة إلى الحبشة

* ولما رأى النبي ﷺ أصحابه في هذا البلاء والعذاب الشديد أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة فهاجر بعض الصحابة ولم يهاجر معهم أبو عُبيدة فلما عاد المسلمون من الهجرة الأولى للحبشة بعد ما شاع خبر إسلام قريش وعلموا أن هذا الخبر كان كاذبًا فعزموا على الهجرة الثانية إلى الحبشة فهاجر معهم أبو عُبيدة فرارًا بدينه من بطش قريش وتعذيبهم .

وعلى الرغم من الحفاوة البالغة التي قابلهم بها النجاشي (ملك الحبشة) إلا أن أبا عبيدة، كان لا يتحمل أبدًا أن يبتعد عن حبيبه ﷺ فإن رؤية النبي ﷺ والجلوس معه والتعلم على يديه والاقتباس من هديه وأخلاقه لا يعدله أي نعيم ولا أي متاع في الدنيا بأسرها .

* ولكن قريشًا كانت تزداد يومًا بعد يومٍ في تعذيبها لأصحاب النبي ﷺ . . . فكان أبو عبيدة يتحمل كل هذا في سبيل البقاء في صحبة النبي ﷺ .

ولم يَدُمْ بقاء (أبي عبيدة) بمكة طويلاً حتى أذن النبي ﷺ له

ولأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة (يثرب) لتكون هذه المدينة هي القاعدة المباركة التي تقوم على أرضها للإسلام دولة تُخرج للكون كله نماذج من الرجال والأبطال الذين تربُّوا بين يدى الحبيب ﷺ الذى ربَّاه الله جل وعلا ليربى به الأمم والأجيال عبر العصور والأزمان.

درس عظيم فى الولاء والبراء

لقد كان سيف أبي عبيدة معروفًا فى أرض الجزيرة ولذلك كان الناس يخافون منه... ولا يكاد أحدٌ يجرؤ على الاقتراب منه إلا إذا كان يريد أن يفقد حياته.

وكان عبد الله بن الجراح (والد أبى عبيدة) رجلاً كافرًا وكان يؤذى المسلمين كثيرًا.

فلما كان يوم غزوة بدر وقف أبو عبيدة فى صفوف المسلمين... ووقف أبوه فى صفوف المشركين.

وبدأ القتال فى يوم بدر فأقبل أبو عبيدة يقاتل بكل ضراوة وشجاعة فكان المشركون يبتعدون عن البقعة التى يقاتل فيها ولكن كان هناك فارس قد أصاب بعض الصحابة وأخذ يقترب من أبي عُبيدة... وأبو عبيدة يبتعد عنه.

فلما أكثر هذا الفارس من التصدِّى لأبى عبيدة هجم عليه أبو عُبيدة كالأسد الضارى وقتله شر قتلة.

أتدرون من هو المقتول؟

إنه والد أبى عبيدة. وأنزل الله فى شأنه وشأن أبيه قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

فيا له من موقف عظيم لأبي عبيدة يلقن فيه الدنيا كلها درسًا عظيمًا ليعلموا أن الولاء إنما يكون لله ولرسول الله ﷺ وللمؤمنين، وأن البراء لابد أن يكون من أعداء الله جل وعلا.

فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾(٢).

دفاعه عن النبي ﷺ يوم أحد

وفي يوم أحد لما عصى الرُّماة أمر رسول الله ﷺ فانكشف المسلمون وأجهز عليهم المشركون، فأصابوا منهم من أصابوا، وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه مَن أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ وأرادوا قتله والتمثيل بجثته.

وكانت أحرج ساعة بالنسبة إلى حياة رسول الله ﷺ وفرصة ذهبية بالنسبة إلى المشركين، ولم يتوانَ المشركون في انتهاز تلك الفرصة، فقد ركزوا حملتهم على النبي ﷺ وطمعوا في القضاء عليه.

* وجاء رجل من المشركين اسمه (ابن قمئة) وضرب النبي ﷺ ضربة بالسيف اشتكى النبي ﷺ منها أكثر من شهر.. ثم ضربه على وجنته ضربة أخرى أعنف من الأولى حتى دخلت حلقتان من درع النبي ﷺ في وجنته وقال له: خُذها وأنا ابن قمئة.

فجاء أبو بكر يريد أن ينتزع الحلقتين من وجه النبي ﷺ فقال له أبو عُبيدة: أقسمت عليك بالله أن تتركني أنا حتى أنزع الحلقتين من وجه النبي ﷺ.

(١) سورة المجادلة: الآية: (٢٢).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٥٥).

وقام أبو عبيدة ينتزع الحلقتين من وجه النبي ﷺ بأسنانه حتى وقعت ثنيتاه وأصابه الهتم فأصبح منظره أجمل من الأول حتى قيل: ما رؤى هَتْمٌ قطُّ أحسن من هَتْمِ أبي عبيدة.

فانظر كيف بلغ الأدب بأبي عبيدة لا ينزع حلقتي المِغفر بيده لئلا يؤذي رسول الله ﷺ بل ينزعهما بفمه حتى سقطت ثنيتاه.

وظل أبو عبيدة رضي الله عنه يشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ويثبت ثبات الجبال، وهو يحمل إيمانًا لا تعصف به الرياح ولا تزعزعه الأعاصير.

وكان النبي ﷺ يحبه حبًا جمًّا، ويفتخر به كل الفخر.

عن عبد الله قال: سألتُ عائشة: أي أصحاب رسول الله ﷺ كان أحب إليه؟ قالت: أبو بكر، ثم عمر، ثم أبو عبيدة بن الجراح[1].

بل قال ﷺ: «نِعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح»[2].

سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر

وفي يوم من الأيام أرسله النبي ﷺ أميرًا على سرية فيها ثلاثمائة رجل وأمره النبي ﷺ أن يسير إلى مكان اسمه (سيف البحر) ليعترض قافلة لقريش.. فخرج أبو عبيدة مع هؤلاء الرجال وأخذوا معهم جرابًا من التمر فكان يُطعمهم من التمر فلما نقص التمر كان أبو عبيدة يعطي الرجل منهم في اليوم تمرة واحدة لتكون طعامًا له. وبعد فترة أصابهم جوعٌ شديد

(١) رواه الترمذي (٣٦٥٧) والحاكم (٣/ ٧٣) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وأخرجه البخاري (٣٦٦٢) في فضائل الصحابة: باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، و(٤٣٥٨) في المغازي: باب غزوة ذات السلاسل، من حديث عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل؛ قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب» فعدَّ رجالاً.

(٢) صحيح: سنن الترمذي (٣٧٩٥)، كتاب المناقب، الصحيحة (٢/ ٩٦٢).

فأخذ أبو عُبيدة يدعو ويسأل الله أن يفرج همهم. . . فاستجاب الله دعاءه وأخرج لهم دابة من البحر اسمها العنبر وهي نوع من أنواع الحيتان فأخذوا يأكلون منها عشرين ليلة حتى سمنت أجسادهم.

فلما عادوا إلى الرسول ﷺ وأخبروه بما حدث قال لهم ﷺ: «هذا رزقٌ ساقه الله إليكم».

هذا أمين هذه الأمة

ولما جاء وفد نجران إلى الحبيب ﷺ كانت هناك منقبة عظيمة لأبي عبيدة رضي الله عنه فإنه لما نزل الوفد بالمدينة، ولقي النبي ﷺ سألهم وسألوه، ثم دعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا ثم اجتمع رأيهم على تحكيم رسول الله ﷺ في أمرهم، فجاءوا وقالوا: إنَّا نعطيك ما سألتنا فقبل رسول الله ﷺ منهم الجزية، وصالحهم على ألفي حُلة، ألف في رجب، وألف في صَفَر، ومع كل حلة أوقية، وأعطاهم ذمة الله وذمة رسوله، وترك لهم الحرية الكاملة في دينهم، وكتب لهم بذلك كتابًا، وطلبوا منه أن يبعث عليهم رجلاً أمينًا فقال: «لأبعثن معكم رجلاً أمينًا حق أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «قُم يا أبا عبيدة بن الجراح» فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة»[1].

❊ ❊ ❊

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٨٠) كتاب المغازي، ومسلم (٢٤٢٠) كتاب فضائل الصحابة.

صور مشرقة من جهاده في سبيل الله تعالى

وظل أبو عبيدة ملازمًا للعبادة والطاعة والدعوة إلى الله تعالى بل وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ حتى توفى رسول الله ﷺ وهو عنه راض.

وكما عاش أبو عبيدة مع الرسول ﷺ أمينًا، عاش بعد وفاة الرسول ﷺ أمينًا.

* ولو لم يكن له إلا موقفه في سقيفة بني ساعدة لكفاه... وذلك عندما اختلف المهاجرون والأنصار فيمن يتولى الخلافة بعد موت رسول الله ﷺ فما كان من أبي عُبيدة إلا أن كان سببًا في جمع شمل المسلمين على أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه.

* ولقد سار أبو عبيدة تحت راية الإسلام... فكان يخدم دينه وهو جندي كما كان يخدمه وهو أمير على الجيش.

* ولقد ولاَّه أبو بكر القيادة العامة في أرض الشام فطلب منه أبو عُبيدة أن يعفيه من ذلك ولكن أبا بكر أصرَّ على رأيه، فلما تحرج موقف المسلمين في أرض الشام واجتمعوا باليرموك، ولَّى أبو بكر خالدًا منصب القيادة العامة في الشام بدلاً من أبي عبيدة الذي بقي على جند (حِمْص) ولكن عمر بن الخطاب أعاده إلى منصب القيادة العامة بعد وفاة أبي بكر، وكان يقول عنه: «لا أمير على أبي عبيدة».

وكتم أبو عبيدة الخبر عن خالد حتى انتهت المعركة وعلم خالد بأن أمير المؤمنين عمر قد عزله فدخل (خالد) على (أبي عبيدة) وقال له: يغفر الله لك، أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تُعلمني، وأنت تصلي خلفي، والسلطان سلطانك؟ فقال أبو عبيدة: وأنت يغفر الله لك، ما كنت لأُعلمك

ذلك حتى تعلمه من عند غيري، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله، ثم قد كنت أُعلمك إن شاء الله، وما سلطان الدنيا أريد، وما للدنيا أعمل، وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوانٌ بأمر الله عز وجل.

* وهكذا أصبح أبو عُبيدة أميرًا على جيوش المسلمين في فتوحات الشام ولئن كانت شهرة خالد بن الوليد الحربية سبقته إلى أهل الردة وإلى العراق وإلى الشام فتحدث عنها العدو والصديق، فإن شهرة أبي عبيدة في الحلم والرفق، وسعة الصدر، والأمانة والصدق، وحُب السلام، قد سبقته كذلك إلى أهل الشام؛ لذلك أحبوه ويسروا له مهمته، وكان من أثر ذلك أن كَثُرَ تسليم مدن الشام له صلحًا، وبذلك حُقنت كثيرٌ من الدماء، واطمأنت كثيرٌ من النفوس.

* وهكذا استطاع أبو عُبيدة القضاء على وجود الروم في الشام واستطاع بفضل الله أن يرد بيت المقدس إلى المسلمين مرة أخرى.

* ولقد ولأه عمر بن الخطاب أميرًا على بلاد الشام فكان واليًا عليها.

عمر يختبر أبا عبيدة رضي الله عنه

وها هو أبو عبيدة رضي الله عنه لا تستطيع الدنيا أن تصل إلى قلبه بحالٍ من الأحوال... فهو إن كان يعيش على الدنيا بجسده إلا أن روحه تسرح في جنة الرحمن فهو لا يريد سواها.

يرسل إليه عمر بن الخطاب بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار، وقال لرسوله: انظر ما يصنع، فقسمها أبو عبيدة، فلما أخبر عمرَ رسولُه بما صنع أبو عبيدة بالمال، قال: الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا![1].

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٤١٣).

ولما قَدِم عمر الشام، تلقَّاه أمراء الأجناد وعظماءُ أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ فقالوا: مَن؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلَّم عليه، فقال عمر للناس: انصرفوا عنا!.

ثم قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلى منزلك يا أبا عبيدة فقال له: وما تصنع عندي يا أمير المؤمنين؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك عليَّ!.

ودخل عمر فلم يرَ في البيت شيئًا فقال: أين متاعُك؟ أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى سلة فأخذ منها كُسيرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قلتُ لك: إنك ستعصرُ عينيك عليَّ يا أمير المؤمنين! يكفيك من الزاد ما بلَّغك المحل!! فقال عمر: غيَّرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة.

إيثار يفوق الخيال

روى مالك الدار قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صُرة، فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة ثم تلهَّ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع.

قال: فذهب بها الغلام فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك قال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية: اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان... حتى أنفذها.

فرجع الغلام إلى عمر وأخبره، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل، وتلهَّ في البيت ساعة، حتى تنظر ما يصنع.

فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال: رحمه الله ووصله: تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، واذهبي إلى بيت فلان بكذا.

فاطلعت امرأة معاذ فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبقَ في الخرقة إلا ديناران فرمى بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك، فَسُرَّ بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض.

وحان وقت الرحيل

عاش أبو عُبيدة في بلاد الشام منذ أن فتحها وإلى آخر لحظة في حياته.

* وفي تلك الفترة الأخيرة نزل بالمسلمين في أرض الشام الطاعون الذي كان يُسمَّى بطاعون عمواس فحصد أرواح عددٍ كبير من المسلمين فخاف عمر بن الخطاب على المسلمين وازداد خوفه على أبي عُبيدة فأرسل إليه من أجل أن يعود إلى المدينة في أسرع وقت ففهم أبو عبيدة ما في الرسالة وقال لأصحابه: إن أمير المؤمنين يريد أن يستبقي ما ليس بباقٍ... أي: أنه يريد أن أنجو من الطاعون وأظل حيًّا وهو يعلم أننا سنموت جميعًا إما بالطاعون أو بغيره.

واعتذر أبو عبيدة عن عدم الذهاب إلى أمير المؤمنين عمر وقال له: إني في جُند من أجناد المسلمين ولا أرغب بنفسي عنهم فلما وصلت الرسالة لعمر بكى بكاءً شديدًا.

* وبعد فترة توفي أبو عبيدة وانكشف الطاعون.

وذات يوم تصل رسالة إلى أمير المؤمنين عمر تخبره بموت أبي عُبيدة فيبكي عمر ويدعو لأبي عُبيدة بالرحمة والمغفرة.

* وهكذا توفي أبو عبيدة بعد حياة طويلة مليئة بالزهد والورع والبذل والتضحية والجهاد في سبيل الله جل وعلا.

* * *

أمنية عمرية

وها هو عمر بن الخطاب ﷺ يتمنى تلك الأمنية الغالية وقد امتلأ قلبه حزنًا على فراق إخوانه وأحبابه، فقال يومًا لمن حوله: تمنَّوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا فأنفقه في سبيل الله ثم قال: تمنَّوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤًا أو زبرجدًا أو جوهرًا، فأنفقه في سبيل الله وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندرى يا أمير المؤمنين، قال عمر: أتمنى، لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبى عبيدة بن الجراح[1].

* ولما حضرت عمر الوفاة قال: لو كان أبو عبيدة حيًا لأستخلفته فإذا سألنى الله عز وجل: لِمَ استخلفته؟ قلت: استخلفت عليهم أمين هذه الأمة.

* رضى الله عن أبى عبيدة بن الجراح وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

* * *

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٦) وصححه ووافقه الذهبي.



عمار بن یاسر رضی اللہ عنہما

عمار بن ياسر رضي الله عنه

* وها نحن نتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع قصة الصبر على البلاء.

إنها قصة صحابى جليل صبر على إيذاء المشركين، وكان راضيًا بقضاء رب العالمين، فبشَّره سيد المرسلين ﷺ بأن الجنة قد اشتاقت إليه.

* فتعالوا بنا لنبدأ قصته من أولها فهى قصة تتكرر فى كل زمان ومكان إنها قصة الصراع بين الحق والباطل.

* إننا على موعدٍ مع الصحابى الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه.

موعد مع السعادة

وتبدأ قصته عندما جاء والده (ياسر) من بلاد اليمن إلى مكة المكرمة مع أخويه (الحارث ومالك) ليبحثوا عن أخٍ لهم فقدوه منذ سنوات... ومنذ هذا الوقت وهم يطوفون فى البُلدان بحثًا عنه فانتهى بهم المطاف فى أرض مكة.

وظلوا يبحثون عنه فى أنحاء مكة فلم يجدوه فعاد الحارث ومالك، وأما ياسر فلم يرجع لأنه أحسَّ براحة وسعادة عجيبة جعلته يفضل البقاء فى أرض مكة.

ولم يكن يعلم أنه على موعد مع السعادة الحقيقية، وأنه سيدخل التاريخ من أوسع وأشرف أبوابه.

وكان من عادة العرب أنه إذا دخل رجلٌ غريب إلى أى بلدة واستقر بها فلا بد أن يحالف سيدًا من سادات القوم ليمنعه من أذى الناس وليستطيع أن يعيش حياة هادئة مطمئنة فى ذلك المكان.

فحالف ياسر أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي فأحبَّه الرجل من أعماق قلبه لما رأى منه من نبيل الخصال وكريم الفعال ونفاسة معدنه، وأراد أن يتقرب منه أكثر من ذلك فزوَّجه من أمة له تُدْعَى سمية بنت خياط فأنجبت له غلامًا مباركًا ألا وهو عمار بن ياسر.

واكتملت الفرحة يوم أن أعتقه أبو حذيفة وحرره من العبودية، ثم مات أبو حذيفة.

شمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة

وبعد قرون طويلة عاشتها البشرية في ظلمات الشرك والجاهلية وإذا بشمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة لتُخرج الناس من ظُلمات الجاهلية إلى أنوار التوحيد والإيمان ولتنقلهم من البؤس والشقاء إلى سعادة الدنيا والآخرة... إلى جنة الدنيا التي تُثمر لهم بعد ذلك جنةَ الآخرة.

إنهم على موعد مع حياة جديدة بل إن صَحَّ القول - مع مولدٍ جديد - وفي تلك الساعات يسمع عمار ﷺ عن تلك الرسالة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام فانفتح قلبه لنداء الإيمان، وذهب إلى دار الأرقم وأقدامه تسابق الريح وكأنه يسابق الزمن. فما إن وصل ورأى النبي ﷺ وسمع منه حتى كاد أن يطير قلبه من شدة الفرح.

نعم إن هذا الدين هو طوق النجاة للبشرية كلها، فما كان منه إلا أن بسط يده للحبيب ﷺ وقال بقلبه ولسانه: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ.

* * *

من أعظم البر بالوالدين

ولما لامس الإيمان شغاف قلب (عمار) رضي الله عنه عاد إلى أبويه يحمل لهما النور والخير والإيمان... لقد عاد إليهما ومعه جنة الدنيا.

فما إن عرض عليهما الإسلام حتى استجابا في التو واللحظة ما تلعثم واحد منهما ولا تلكأ.

وهذا والله هو أعظم البر بالوالدين أن يكون الولد سببًا في دخولهما الجنة ونجاتهما من النار.

وانطلقت الأسرة الكريمة المباركة في رحلتها إلى جنة الرحمن... وعلى الرغم من أن الطريق صعب وشاق وطويل، لكن عاقبته محمودة وغالية ويكفي أن يضع المؤمن قدميه على أول الطريق ويستعين بالملك جل وعلا.

صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة

وما هي إلا ساعات معدودات حتى طار خبر إسلامهم إلى بني مخزوم فاستشاطوا غضبًا، وصبُّوا على آل ياسرٍ أشد العذاب.

فكانوا إذا حميت الظهيرة يأخذونهم إلى بطحاء مكة ويُلبسونهم دروع الحديد، ويمنعون عنهم الماء ويصهرونهم في الشمس المحرقة ويصبُّون عليهم من جحيم العذاب ألوانًا؛ حتى إذا بلغ منهم الجهدُ مبلغًا أعادوا معهم الكَرَّة في اليوم الذي يليه.

وكان هذا شأن كل من أظهر إسلامه بمكة، ولكن درجات العذاب كانت تتفاوت فيما بينهم.

وبينما هم على تلك الحالة من العذاب والتنكيل وإذا بالحبيب المصطفى ﷺ يمر عليهم ويقول لهم: «أبشروا آل عمار فإن موعدكم الجنة»[1].

(١) صحيح: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٨٨)، وانظر صحيح السيرة النبوية للشيخ الألباني رحمه الله (ص١٥٤).

وهنا بدأت نفوسهم تشعر بالراحة والطمأنينة... وبدلاً من المعاناة التي كانوا يجدونها من أثر التعذيب أصبحوا يستعذبون العذاب في سبيل الله ويحلمون بالجنة ليلاً ونهاراً.

أول شهيدة في الإسلام

وبدأت المحنة تتحول إلى منحة ربانية بعد أن بشرهم النبي ﷺ بالجنة، وهنا تقوم (أم عمار) سمية رضي الله عنها لتكتب بدمها سطوراً من النور على جبين التاريخ لتكون أول شهيدة في الإسلام، وذلك عندما تعرض لها الهالك أبو جهل عليه من الله ما يستحقه فطعنها في موطن عفتها فقتلها.

واستُشهد ياسر (والد عمار) رضي الله عنه تحت وطأة التعذيب.

فإن عادوا فعُد

فلما لم يبقَ سوى عمار رضي الله عنه اشتد الكفار عليه وأذاقوه من العذاب ألواناً.

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عماراً، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبي ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال: شرٌّ يا رسول الله. والله ما تُركتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير، قال: «فكيف تجدُ قلبك؟» قال: مطمئنٌ بالإيمان. قال: «فإن عادوا فعُدْ»(1).

الهجرة المباركة

وكتب الله النجاة لعمار رضي الله عنه ولأمثاله من المستضعفين عندما أذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة.

---

(1) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٥٧) وصححه ووافقه الذهبي.

وهاجر عمار رضي الله عنه فرارًا بدينه. فلما وصل إلى قباء دعاهم لبناء مسجد ليقيموا فيه الصلاة فاستجابوا له وتم بناء المسجد.

وعاش عمار رضي الله عنه مع إخوانه من الأنصار رضي الله عنهم فنسى كل العذاب الذي نزل بجسده وأحس وكأنه بين أبويه لم يفقد واحدًا منهما من كثرة ما يجد من رحمة الأنصار ورقة قلوبهم.

ولما هاجر الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تمت فرحة عمار رضي الله عنه بقدومه.. فكان ملازمًا للنبي صلى الله عليه وسلم لا يفارقه أبدًا.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه من أعماق قلبه ويقربه إليه دائمًا.

مناقبه وفضائله رضي الله عنه

وها هي جملة من مناقبه وفضائله رضي الله عنه.

عن علي قال: استأذن عمار على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «من هذا؟» قال: عمار، قال: «مَرْحبًا بالطيب المُطيَّب»[1].

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمار وسلمان»[2].

وعن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار كلام فأغلظتُ له، فشكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مَنْ عادى عمارًا عاداه الله، ومَنْ أبغضَ عمارًا أبغضهُ الله» فخرجت، فما شيء أحبَّ إليّ من رضى عمار، فلقيته فرضى[3].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٩٨) كتاب المناقب، وابن ماجه (١٤٦) في المقدمة، وأحمد (١/ ١٢٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٩٧) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٨٩)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٧٣)، وابن حبان (١٥/ ٥٥٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣٨٦).

وقال ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدى من أصحابى أبى بكر وعمر واهتدوا بهَدْى عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما خُيِّر عمار بين أمرين إلا اختار أرشدَهما»[(٢)].

وعن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عمار مُلئ إيمانًا إلى مُشاشه»[(٣)].

صفحات مشرقة من جهاده فى سبيل الله

ولقد شهد عمار رضي الله عنه مع النبى ﷺ غزوة بدر وكان المسلم الوحيد الذى خاض تلك المعركة وأبواه مؤمنان شهيدان.

وشهد مع النبى ﷺ بعد ذلك كل الغزوات ولم يتخلف عن غزوة واحدة فقد كان يتمنى أن يرزقه الله الشهادة فى سبيله.

ولما توفى رسول الله ﷺ ولحق بالرفيق الأعلى ارتدت أكثر قبائل العرب عن الإسلام فكان لعمار رضي الله عنه موقفًا عظيمًا فى يوم اليمامة.

قال ابن عمر: رأيت عمارًا يوم اليمامة على صخرة، وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر، هَلُمُّوا إلىَّ. وأنا أنظر إلى أذنه قد قُطعت فهى تذبذب وهو يقاتل أشد القتال[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٦٦٢) كتاب المناقب، وأحمد (٥/ ٣٨٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٢٣٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٩٩) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٨٣٥).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (١٤٧) في المقدمة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٨٠٧).

(٤) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٨١).

ولايته على الكوفة

وتدبروا معى هذه الصفحة الناصعة من حياته رضي الله عنه.

فلقد اختاره عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليصبح واليًا على الكوفة فكان مثالاً عاليًا فى العدل والرحمة والتواضع والإنصاف.

وكان عمر رضي الله عنه كعادته يسأل الناس عن الولاة خشية أن يحيدوا عن العدل ويجور أحدهم فى حكمه.

فسأل عمر أهل الكوفة عن عمار فأثنوا عليه، وقالوا: والله ما أنت أمَّرته علينا، ولكن الله أمَّره، فقال عمر: اتقوا الله وقولوا كما يُقال، فوالله لأنا أمَّرته عليكم، فإن كان صوابًا، فمن قِبَل الله، وإن كان خطأً إنه من قِبلى.

موقفه يوم صفين (وساعة الرحيل)

ولما وقعت الفتنة بين (على) و(معاوية) رضي الله عنهما كان عمار رضي الله عنه فى صف علىّ رضي الله عنه.

وكان قد بلغ من العمر يومئذ ثلاثًا وتسعين سنة. وكان عمار بن ياسر قليلَ الكلام، طويلَ السكوت، وكان عامةُ قوله: عائذٌ بالرحمن من فتنة، عائذ بالرحمن من فتنة، فعرضت له فتنة عظيمة[(١)].

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال - وهو يسير إلى صِفِّين إلى جنب الفرات-: اللهم لو أعلم أنه أرضَى لك عنى أن أرمى بنفسى من هذا الجبل فأتردى فأسقط لفعلت، ولو أعلم أنه أرضَى لك عنى أن أُلقى نفسى فى الماء فأُغرق نفسى فعلت، وإنى لا أقاتل إلا أريد وجهك وأنا أرجو أن لا تخيبنى وأنا أريد وجهك.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٨٣)، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٤٥).

* وعن أبي البختري قال: قال عمار رضي الله عنه يوم صفّين: ائتوني بشربة لبن، قال: فشرب، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربةُ لبنٍ» ثم تقدَّم فقُتل [(١)].

وقُتل عمّار رضي الله عنه ونزفت دماؤه الشريفة التي لطالما امتزجت بحبِّ الله وحُبِّ رسوله ﷺ، ولطالما احترقت شوقًا لنُصرة دين الله جل وعلا.

قتله رجل اسمه أبو الغادية ويقال: قتله رجل آخر فالله أعلم.

وحمله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوق صدره إلى حيث صلى عليه والمسلمون معه ثم دفنه في ثيابه.

أجل.. في ثيابه المضمخة بدمه الزكي الطهور فما في كل حرير الدنيا وديباجها ما يصلُح أن يكون كفنًا لشهيد جليل من طراز عمار.

ووقف المسلمون على قبره يعجبون!! منذ ساعات كان عمار يُغرِّد بينهم فوق أرض المعركة تملؤ نفسه غبطة الغريب يُزَفُّ إلى وطنه، وهو يصيح: (اليوم ألقى الأحبة، محمدًا وصحبه)[(٢)].

وكيف لا يلقاهم وقد: «اشتاقت الجنة إلى عمار».

فهنيئًا لك أيها الصحابي الجليل وهنيئًا لمن اكتحلت عيناه برؤيتك ورؤية أصحاب الحبيب ﷺ وهنيئًا ثم هنيئًا لمن اكتحلت عيناه وانشرح صدره برؤية الحبيب ﷺ.

فرضي الله عن عمار وعن سائر الصحابة أجمعين وجمعنا بهم في الفردوس الأعلى.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ٣٠٢)، وأحمد (٤/ ٣١٩)، وكذا ابن سعد (٣/ ٢٥٧)، وأبو يعلى (٣/ ١٨٨/ ١٦١٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٦٥٨)، والحاكم (٣/ ٣٨٩) وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة تحت حديث (٣٢١٧).

(٢) رجال حول الرسول ﷺ (ص٢٧٩).

أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه



أبو أيوب الأنصارى رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابى الجليل الذى فاز بأعظم منقبة فى هذه الدنيا يوم أن استضـاف رسول الله فى بيته سـبعة أشهر إلى أن بنى النبى ﷺ مسجده وبيوت أزواجه.

إنه الصحابى الذى شهد بيعة العـقبة الثانية وكان من أهل بدر الذين قال عنهم النبى ﷺ : «لعل الله اطَّلع إلى أهل بدر فقـال اعملوا ما شئتم فقـد غفرت لكم»(١).

إنه الصـحابى الذى شـهد الغـزوات كلها وشـهد الفـتوح الإسـلاميـة واستخلفه على ابن أبى طالب رضي الله عنه على المدينة لما خرج إلى العراق ثم لحق به بعد ذلك وشهد معه قتال الخوارج.

إنه الصحابى الذى دُفن تحت أسوار القسطنطينية.

إنه أبو أيوب الأنصارى رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

من هنا نبدأ

كان أبو أيوب الأنصـارى من أهل يثرب (المدينة المنورة) من بـنى النجار وهم أخوال النبى ﷺ.

وكان يعيش مع زوجته المخلصة أم أيوب أسعد حياة. وفى يوم من الأيام سمع أبو أيوب ببعثة النبى ﷺ. . . وتمر الأيام ويرسل النبى ﷺ مصعب بن عُمير كأول سفير للدعوة فى المدينة المنورة. . . وكان ذلك بعد بيعة العقبة الأولى.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

فكان مصعب يدعو الناس بكل رحمة وحنان فأسلم عدد كبير من أهل المدينة وكان على رأسهم أبو أيوب وأم أيوب رضي الله عنهما ولم يستطع أبو أيوب أن ينتظر حتى يهاجر النبى ﷺ إلى المدينة فذهب فى العام التالى ليرى النبى ﷺ وليبايعه بيعة العقبة الثانية... وعاد بعدها إلى المدينة وهو فى قمة السعادة لأنه رأى النبى ﷺ.

وظل أبو أيوب ينتظر قُدوم النبى ﷺ إلى المدينة حتى أثلج الله صدره وصدور أهل المدينة بقدوم النبى ﷺ إلى المدينة.

فرح أهل المدينة بمقدم رسول الله ﷺ

لما وصل النبى ﷺ المدينة وكان يركب ناقته (القصواء).

فكان كلما مرَّ على بيت من بيوت الأنصار أمسكوا بزمام ناقته وقالوا: هَلُمَّ يا رسول الله إلى العدد والعُدة والمنعة والقوة.

فيقول لهم: دعوها فإنها مأمورة... أى أنها تسير بأمر الله ولن تقف إلا فى المكان الذى أراده الله (جل وعلا).

وفى هذه اللحظة صعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم فى الطرق ينادون: يا محمد يا رسول الله.. يا محمد يا رسول الله.

وكان النبى ﷺ يبادلهم نفس المحبة.

حتى إنه جعل ينظر إلى ولائد بنى النجار من حوله وهن ينشدن ويتغنين بمقدمه قائلاً: «أتحبينني؟ والله إن قلبي ليحبكن».

* وقام الأحباش يلعبون بالحراب فرحًا لقدوم رسول الله ﷺ.

* * *

نزول النبي ﷺ في دار أبي أيوب الأنصاري

والأنصار وإن لم يكونوا أصحاب ثروات طائلة، إلا أن كل واحد منهم كان يتمنى أن ينزل الرسول ﷺ عليه، فكان لا يمر بدارٍ من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته: هَلُمَّ إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فكان يقول لهم: «خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة»، فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم فبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها وذلك في ديار بني النجار أخواله ﷺ.

وكان من توفيق الله لها، فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك، فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصاري إلى رَحله، فأدخله بيته، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «المرء مع رَحله»، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته، وكانت عنده[1].

وهكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ

ولنترك المجال لأبي أيوب ﷺ يحدثنا عن تلك الفرحة الشديدة التي ملأت عليه جوانحه وجوارحه لنزول النبي ﷺ عليه في بيته.

* يخبر أبو أيوب أن النبي ﷺ لما نزل عنده في بيته نزل في الدور السفلي فطلب منه أبو أيوب أن يكون في الدور العُلوي فرفض النبي ﷺ وأخبره أن هذا أيسر له من أجل أن يستقبل الناس ويدعوهم إلى الله دون أن يحرج بيت أبي أيوب.. فوافق أبو أيوب وهو حزين لذلك... فكان يأمر زوجته أن تنام بجوار الحائط حتى لا يكونا فوق النبي ﷺ.

---

(١) السيرة لابن هشام (٢/ ٣٤٣).

وفي يوم من الأيام كُسر إناء فيه ماء لأبي أيوب فخشي أبو أيوب أن يسقط الماء على رسول الله ﷺ فأخذ قطيفة كانت عند أم أيوب فشقَّها نصفين وأخذ هو وزوجته يمسحون الماء بالقطيفة.

ثم نزل أبو أيوب وقال لرسول الله ﷺ: لا ينبغي أن نكون فوقك أبداً يا رسول الله.. فوافق النبي ﷺ وصعد إلى الدور العلوى.

* وظل النبي ﷺ لمدة سبعة أشهر فى ضيافة أبى أيوب حتى بنى حُجَره ومسجده... وازدادت دار أبى أيوب بركة بنزول جبريل (عليه السلام) بالوحى على رسول الله ﷺ فى دار أبى أيوب.

* وكان أبو أيوب يرسل الطعام للنبى فإذا أكل النبى ﷺ أكل أبو أيوب وزوجته من إناء النبى ﷺ إلتماساً لبركة النبى ﷺ.

إكرامه ومحبته للحبيب ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: خرج أبو بكر رضي الله عنه فى شدة الحر إلى المسجد فرآهُ عمر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟!.

قال: ما أخرجنى إلا ما أجدُ من شدة الجوع.

فقال عمر: وأنا والله ما أخرجنى غيرُ ذلك.

فبينما هما كذلك؛ إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «ما أخرجكما هذه الساعة؟!».

قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجده فى بطوننا من شدة الجوع.

قال عليه السلام: «وأنا والذى نفسى بيده ما أخرجنى غير ذلك... قوما معى».

فانطلقوا فأتوا باب أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه وكان أبو أيوب يدَّخر لرسول الله ﷺ كل يوم طعاماً، فإذا أبطأ عنه ولم يأتِ إليه فى حينه أطعمه لأهله.

فلما بلغوا الباب خرجت إليهم أمُّ أيوب، وقالت: مرحبًا بنبى الله وبمن معه.

فقال لها النبى عليه الصلاة والسلام: «أين أبو أيوب؟».

فسمع أبو أيوب صوت النبى ﷺ وكان يعملُ فى نخلٍ قريب له فأقبل يسرع وهو يقول: مرحبًا برسول الله وبمن معه، ثم أتبع قائلاً: يا نبى الله ليس هذا بالوقت الذى كنت تجئُ فيه.

فقال عليه الصلاة والسلام: «صدقت»، ثم انطلق أبو أيوب إلى نخيله فقطع منه غصنًا فيه تمرٌ ورُطَبٌ.

فسأله النبى ﷺ عن سبب قطع الغصن كله وقد كان يكفيه أن يجنى التمر من الغصن ولا يقطع الغصن كله.

فقال أبو أيوب: يا رسول الله أحببت أن تأكل من تمره ورُطَبه ولأذبحن لك الآن أيضًا.

فقال له ﷺ: «إن ذبحت فإياك والحَلوب» أى: لا تذبح شاة تحلبون لبنها.

فأخذ أبو أيوب (جَـدْيًا) فذبحه ثم قال لامرأته: اعـجنى وأخبزى لنا ثم أخذ نصف الجدى فطبخه وأخذ النصف الآخر فشواه.

فلما نضج الطعام ووُضع بين يدى النبى ﷺ وصاحبيه، أخذ الرسول قطعة من الجدى ووضعها فى رغيف، وقال: «يا أبا أيوب، بادر بهذه القطعة إلى فاطمة، فإنها لم تُصب مثل هذا منذ أيام».

فلما أكلوا وشبعوا قال النبى ﷺ: «خُبزٌ، ولحمٌ، وتمرٌ، ورُطبٌ!!!».

ودمعت عيناه ثم قال: «والذى نفسى بيده إن هذا هو النعيم الذى تُسألون عنه يوم القيامة».

ثم نهض الرسول صلوات الله عليه، وقال لأبى أيوب: «ائتنا غدًا».

وكان عليه الصلاة والسلام لا يصنع له أحـدٌ معروفًا إلا أحب أن يُجازيه عليه؛ . . . لكن أبا أيوب لم يسمع ذلك.

فقال له عمر رضوان الله عليه: إن النبي ﷺ يأمرك أن تأتيه غدًا يا أبا أيوب.

فقال أبو أيوب: سمعًا وطاعة لرسول الله.

فلما كان الغدُ ذهب أبو أيوب إلى النبي ﷺ فأعطاه جارية صغيرة كانت تخدمه، وقال له: «استوصِ بها خيراً - يا أبا أيوب - فإنا لم نرَ منها إلا خيراً ما دامت عندنا».

عاد أبو أيوب إلى بيته ومعه الوليدةُ، فلما رأتها أم أيوب قالت: لِمَنْ هذه يا أبا أيوب؟!.

قال: لنا... منحنا إياها رسول الله ﷺ.

فقالت: أعظِم به من مانح، وأكرِم بها من منحة.

فقال: وقد أوصانا بها خيراً.

فقالت: وكيف تصنع بها حتى تنفذ وصية رسول الله ﷺ؟

فقال: والله لا أجد لوصية رسول الله بها خيراً من أن أعتقها.

فقالت: هُديت إلى الصواب فأنت موفَّق... ثم أعتقها[1].

في رحاب النبي ﷺ

وظل أبو أيوب ملازمًا للنبي ﷺ وكان النبي ﷺ يحبه حبًا جمًا ويعرف قدره ومكانته وكان دائمًا يوصي أصحابه بأبي أيوب خيرًا.

وكان أبو أيوب قد شهد مع النبي ﷺ كل المشاهد والغزوات وظل يقاتل مع النبي ﷺ وأصحابه من بعده حتى آخر لحظة في حياته.

❊ ❊ ❊

(١) صور من حياة الصحابة (ص: ٧٢ - ٧٣) بتصرف.

موقفه الجليل في حادثة الإفك

ولما قام رأس المنافقين عبد الله بن أُبي ابن سلول باتهام أمنا عائشة بأنها قد فعلت الفاحشة مع الصحابي الجليل صفوان بن المُعطَّل في حادثة الإفك كان لأبي أيوب موقف جليل في تلك الحادثة... فقد جلس يومًا مع زوجته أم أيوب وقال لها: يا أم أيوب لو كُنتِ مكان عائشة أكُنت تفعلين ما يقوله الناس فيها؟

قالت أم أيوب: لا والله ما كنت لأفعله.

فقال أبو أيوب: فوالله لعائشة خيرٌ منك يا أم أيوب.

ثم قالت أم أيوب: وأنت يا أبا أيوب لو كنت مكان صفوان بن المُعطَّل أكنت تفعل ما يقوله الناس فيه؟

قال أبو أيوب: لا والله ما كنت لأفعل ذلك أبدًا.

فقالت أم أيوب: فوالله. لصفوان خيرٌ منك يا أبا أيوب.

فنزل قول الله جل وعلا: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾(١).

إكرام الصحابة له

وظل أبو أيوب في صُحبة النبي ﷺ حتى آخر لحظة من عمره وتوفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنه.

وظل أصحاب النبي ﷺ يعرفون لأبي أيوب قدره ومكانته ومنزلته العالية.

وفي يوم من الأيام ذهب أبو أيوب الأنصاري إلى البصرة وكان ابن عباس رضي الله عنهما أميرًا عليها من قِبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما رآه ابن

(١) سورة النور: الآية: (١٢).

عباس أحسن استقباله وقال له: لأصنعن معك كما صنعت برسول الله ﷺ فبالغ في إكرامه وضيافته فلما أراد أن ينصرف قال له ابن عباس: كم عليك من المال؟

قال أبو أيوب: عشرون ألفًا.

فأعطاه ابن عباس أربعين ألفًا وعشرين مملوكًا ومتاع البيت.

رحلته المباركة في طلب حديث واحد

قال عطاء بن أبي رباح: «خرج أبو أيوب إلى عُقبة بن عامر وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ فلما قَدِم أتى منزل سلمة بن مخلد الأنصاري؛ وهو أمير مصر فأُخبر به فعجَّل فخرج إليه، فعانقه وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديثٌ سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحدٌ سمعه غيري وغير عقبة، فابعث مَنْ يدلني على منزله قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأُخبر عقبة به، فعجَّل، فخرج إليه، فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديثٌ سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحدٌ سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مؤمنًا في الدنيا ستره الله يوم القيامة» فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته، فركبها راجعًا إلى المدينة[(١)].

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤ / ٦٢ و ٥ / ٣٧٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٣٤١).

وحان وقت الرحيل

شهد أبو أيوب المشاهد كلها فلم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون، وكانت آخر غزواته حين جهز معاوية جيشًا بقيادة ابنه يزيد لفتح القسطنطينية وكان أبو أيوب آنذاك شيخًا طاعنًا في السن يحبو نحو الثمانين من عمره، فلم يمنعه ذلك من لقاء العدو، لكنه لم يمض غير قليل على منازلة العدو، حتى مرض أبو أيوب مرضًا أقعده، فأتاه يزيد يعوده، فقال: حاجتك؟ قال: نعم، إذا أنا مت فاركب بي، ثم ادخل بي في أرض العدو ما وجدت مساغًا فإذا لم تجد مساغًا فادفني ثم ارجع.

ولقد أنجز يزيد وصية أبي أيوب، وفي قلب القسطنطينية وهي اليوم استانبول ثوى جثمان رجل عظيم، جد عظيم!! هو أبو أيوب الأنصاري.

أراد أن يكون مثواه الأخير حيث يزحف جيش الإسلام، وتخفق الأعلام، وتصهل الخيول، هناك حيث صلصلة السيوف.

وعند ابن سعد: عن أبي ظبيان، قال: أغزى أبو أيوب فمرض، فقال: إذا مت فاحملوني، فإذا صاففتم العدو، فارموني تحت أقدامكم، أما إني سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»[1].

يا له من شوق عارم إلى الجهاد، لا يحده حدٌّ! فرضي الله عن السيد الشيخ المجاهد، المدفون تحت أسوار القسطنطينية.

رضي الله عن أبي أيوب الأنصاري وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *

(١) قال الأرنؤوط: إسناده قوي: أخرجه ابن سعد (٣/ ٤٨٤- ٤٨٥).





مصعب بن عمير رضي الله عنه



مصعب بن عمير ﷺ

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابي الجليل الذي ضحى بكل شيء من أجل أن يظفر بنعمة الإسلام.

لقد ترك المـال والراحة والرفاهيـة وعاش زاهداً متقشفاً وهو في قمة السعادة لأنه صار مسلماً وموحداً.

إنه أول سفير للدعوة إلى الله في المدينة المنورة.

إنه الداعية الشهيد الذي حزن عليه النبي ﷺ حُزناً شديداً.

إنه الصحابي الجليل مصعب بن عُمير ﷺ.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

قصة إسلامه ﷺ

لقد كان مصعب قبل الإسلام هو أنعم فتيان مكة، فلم يكن هناك مَن يلبس مثل ثيابه ولا يضع مثل عطره حتى إنه كان إذا مَرَّ من طريق وجاء بعده أناس قالوا: لقد مر مصعب بن عمير من هذا الطريق مما يجدون من عطره الجميل.

* لقد كان لا يشغله شيء سوى زخارف الدنيا وزينتها ولكن فجأة سمع مصعب بمبعث نبي آخر الزمان.

نعم إنه يعرفه ويعرف أخلاقه وإن لم يكن قد جلس معه قبل ذلك لكنه يعرف أن محمداً ﷺ هو الصادق الأمين والكل يشهد بذلك.

فما كان من مصعب إلا أن كسر كل الحواجز وطرح كل العقبات وذهب

ليسأل عن النبي ﷺ فأخبروه أنه في دار الأرقم بن أبي الأرقم فما كان منه إلا أن ذهب وأقدامه تسابق الريح حتى وصل إلى دار الأرقم. وهناك رأى النبي ﷺ وصافحه وجلس يستمع إليه وما هي إلا لحظات حتى وجد مصعب قلبه ولسانه يشهدان ان لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ليعلن للعالم كله أن الفتى المدلل مصعب قد أسدل عليه الستار.

ومنذ تلك اللحظة سيتحول هذا الفتى الريان المُنعَّم إلى أسطورة عظيمة من أساطير الدعوة والعطاء والفداء!!!.

يُبتلى الرجل على قدر دينه

وكان مصعب رضي الله عنه يكتم إسلامه في بداية الأمر خوفًا من بطش أمه، فقد كانت تتمتع بقوة عجيبة في شخصيتها تفوق الكثير من الرجال.

ولكن البلاء سنة ثابتة، فلقد رآه عثمان بن طلحة وهو يدخل إلى دار الأرقم ثم رآه مرة أخرى وهو يصلي، فذهب إلى أم مصعب تسابق أقدامه الريح وأخبرها بإسلام مصعب حتى كاد عقلها أن يطيش لهول المفاجأة التي وقعت عليها.

وهمَّت أمه بإيذائه بالضرب ولكن نور الإيمان الذي كسى وجهه جعلها تراجع عن ذلك وتكتفي بحبسه في دارها.

وكان مصعب من أنعم الناس عيشًا قبل إسلامه فلما أسلم زَهِدَ في الدنيا وترك زينتها وتفرغ للعبادة وطلب العلم.

ولقد منعته أمه من ثروتها وأبت أن ينال منها درهمًا واحدًا بعدما ترك عبادة الأصنام وسجد للواحد الديان.

يقول علي رضي الله عنه: جئت المسجد فطلع علينا مصعبُ بن عمير في بُردة له مرقوعة بفروة، وكان أنعم غلام بمكة وأرفه، فلما رآه رسول الله ﷺ ذكر ما

كان فيه من النعيم، ورأى حاله التي هو عليها، فذرفت عيناه عليه، ثم قال: «أنتم اليوم خيرٌ أم إذا غُدى على أحدكم بجفنة من خبز ولحم؟» فقلنا: نحن يومئذ خير، نُكفَى المؤنة، ونتفرغ للعبادة، فقال: بل أنتم اليوم خيرٌ منكم يومئذ [1].

* وخرج مصعب من تلك النعمة الوارفة التي كان يعيش فيها مؤثرًا الفقر والجوع مع الإيمان على أن يكون غنيًا لا يؤمن بالله.

وأصبح الفتى المدلل المُعطَّر لا يراه الناس إلا مرتديًا أخشن الثياب يأكل يومًا ويجوع أيامًا ولكن روحه المتألقة بنور الإيمان والعقيدة قد جعلت منه إنسانًا آخر يملأ القلوب روعة وجلالاً.

سيجعل الله بعد عُسر يسرًا

وظل مصعب ملازمًا للنبي ﷺ ليعيش أسعد لحظات العمر في رحاب الحبيب المصطفى... وفي تلك الفترة أعلنت قريش عداءها للنبي ﷺ وأصحابه وأذاقتهم من العذاب ألوانًا فما كان من النبي ﷺ إلا أن أشار على أصحابه بالهجرة إلى بلاد الحبشة فإن فيها ملكًا لا يُظلَم عنده أحد.

فهاجر مصعب الهجرة الأولى إلى الحبشة.

ولما سمع هو وأصحابه أن قريشًا أسلمت - وكان الخبر كاذبًا - عاد مصعب إلى مكة ليسعد بصحبة الحبيب ﷺ.

فلما علم أن الخبر كان كاذبًا وأن قريشًا قد ازدادت حقدًا وعداءً للإسلام والمسلمين عاد مصعب إلى الحبشة مرة أخرى فارًا بدينه وإيمانه.

وبعد فترة من الزمن عاد مصعب ليقوم بأعظم مهمة في الكون كله ألا وهي: أن النبي ﷺ سيرسله إلى المدينة ليكون أول سفير للدعوة إلى الله في المدينة المنورة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٧٨) كتاب صفة القيامة، وقال: حديث حسن غريب.

بيعة العقبة الأولى

قد ذكرنا أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا في موسم الحج سنة ١١ من النبوة، وواعدوا رسول الله ﷺ إبلاغ رسالته في قومهم.

وكان من جراء ذلك أن جاء في الموسم التالي موسم الحج سنة ١٢ من النبوة، يوليو سنة ٦٢١م اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق والسادس الذى لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رئاب وسبعة سواهم.

* وتمت بيعة العقبة الأولى... فقد بايعوا رسول الله ﷺ على ترك الشرك وعبادة الأصنام والبعد عن المعاصي وعلى الإيمان والطاعة... ووعدهم النبي ﷺ بالجنة إن عاشوا على الإيمان والطاعة.

* ثم ودعهم النبي ﷺ بعد أن عاهدهم وعاهدوه على اللقاء في العام التالي.

سفير الدعوة الأول إلى المدينة

وبعدما أتم وفد الأنصار بيعة العقبة الأولى وعادوا إلى المدينة رأى النبي ﷺ أن يبعث معهم رجلاً رحيمًا فقيهًا يعلمهم القرآن والسنة ويفقههم في الدين... فأرسل معهم مصعب بن عمير الذى ضحى بحياة النعيم والرفاهية ليصبح عبدًا لله (جل وعلا) وداعيةً صادقًا.

وذهب مصعب ونزل على دار (أسعد بن زُرارة) ليكون بيته قاعدة ينطلق منها للدعوة إلى الله جل وعلا.

وكان (أسعد بن زرارة) ابن خالة (سعد بن معاذ).

وكان سعد بن معاذ سيدًا في قبيلته (بني عبد الأشهل) فلما سمع بخبر مصعب بن عمير وأنه جاء ليدعو الناس إلى الإسلام غضب غضبًا شديدًا

وأرسل (أسيد بن حُضير) لينهى مصعب بن عمير عن الدعوة في المدينة وكان أُسيد بن حُضير سيداً في قومه أيضاً.

فأخذ أُسيد بن حُضير حَرَبته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصْدُق الله فيه؛ قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال: فوقف عليهما متشتمًا، فقال: ما جاء بكما إلينا تُسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة؛ فقال له مصعب: أوَ تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرنا قَبِلته وإن كرهت كلامنا كففنا عنك ما تكره.

فقال أسيد: لقد أنصفت ثم ركَّز حَرَبته وجلس يستمع إلى مصعب فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن حتى قال مصعب وأسعد: والله لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يُسلم.

فقال أُسيد بن حُضير: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهَّد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائى رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، (سعد بن معاذ) ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أُسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسًا وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببتَ، وقد علمت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك... فقام سعد مُغضبًا مبادرًا، تخوفًا للذى ذكر له من بنى حارثة فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد أن أُسيدًا إنما أراد منه أن

يسمع منهما، فوقف عليهما متشتمًا، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما طمعت في هذا أتغشانا في دارنا بما نكره؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب، جاءك والله سيد مَن وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان: فقال له مصعب: أوَ تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن قال: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهُّله؛ ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر وتُطهر ثوبيك ثم تشهّد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدًا إلى نادي قومه ومعه أُسيد ابن حضير.

قال: فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم.. فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فو الله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون.

وهكذا أسلم سعد ﷺ وحمل أمانة هذا الدين على أعناقه وذهب يدعو الناس إلى دين الملك جل وعلا وقلبه يتلهف شوقًا لرؤية الحبيب ﷺ وهكذا تكون ثمرة الدعوة الرحيمة.

وقبل حلول موسم الحج التالى أى: حج السنة الثالثة عشرة عاد مصعب ابن عمير رضي الله عنه إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز، ويقص عليه خبر قبائل يثرب، ويبشره بأن جموعًا غفيرة دخلت إلى الإسلام عن اقتناع مسَّ شغافهم، وبصرٍ أنار أفكارهم وسوف يرى من وفودهم بهذا الموسم ما تقر به العين.

صفحات مشرقة من جهاده فى سبيل الله

وشهد مصعب بن عمير بدرًا وقاتل قتالاً شديدًا وبعد أن انقضت الغزوة بانتصار المسلمين وأسَرَ المسلمون عددًا من المشركين كان لمصعب موقفًا عظيمًا فى الولاء والبراء.

* فقد كان أبو عزيز بن عمير (أخو مصعب بن عمير) هو صاحب لواء المشركين فى غزوة بدر بعد النضر بن الحارث فوقع فى الأسر. فقام النبى ﷺ يوصى الصحابة بأسرى المشركين خيرًا وذلك بعد أن فرقهم على أصحابه.

قال أبو عزيز: وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر، فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم خَصُّونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا... ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها. قال: فأستحى فأردها على أحدهم، فيردها علىَّ ما يمسها.

* فمرَّ أبو اليُسر (الذى أسر أبا عزيز بن عمير) على مصعب بن عُمير فلما رأى مصعب أخاه أبا عزيز مأسورًا فى يد أبى اليُسر قال له: شُدَّ يدك به فإن أمه غنية ذات متاع لعلها تفديه منك.

فقال له أبو عزيز: يا أخى هذه وصاتك بى؟ فقال له مصعب: إنه أخى دونك... فسألت أمه عن أغلى ما فُدى به قُرشى، فقيل لها: أربعة آلاف درهم. فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها.

استشهاده فى غزوة أحد

وفى غزوة أُحد قاتل مصعب بن عمير وأبلى بلاءً حسنًا، وكان مصعب حامل اللواء فى يوم أُحد ولما عصى الرماة أمر رسول الله ﷺ أخذ مصعب يقاتل ويدافع عن رسول الله ﷺ بكل جرأة وشجاعة، فأقبل أحد المشركين واسمه (ابن قمئة) فضرب مصعب على يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾(١). ثم أخذ مصعب اللواء بيده اليسرى فضربه ابن قمئة فقطعها فأخذ مصعب اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. فضربه ابن قمئة بالرمح فقتله.

فلما قُتل مصعب ظن ابن قمئة أنه قتل رسول الله فرجع إلى قريش فقال: قتلتُ محمدًا... فلما قُتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء لعلى بن أبى طالب، ورجالاً من المسلمين.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من أحد مرّ على مصعب بن عمير مقتولاً على طريقه فقرأ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾(٢).

ادخار الأجر لمصعب يوم القيامة

وبعد أن سالت دماء يطلنا على أرض الشرف والجهاد وقام الحبيب ﷺ يتفقد القتلى، فلما أشرف عليهم قال ﷺ: «أنا شهيدٌ على هؤلاء إنه ما من جريح يُجرح فى سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يُدْمَى جُرحه، اللون لون دم، والريح ريح مسك»، «وانظروا أكثر هؤلاء جمعًا للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر»، وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد(٣).

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٢٣).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٣١) ورجاله رجال الصحيح.

وعند جثمان مصعب سالت دموعه ﷺ .

قال خبّاب بن الأرت: هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه الله فوقع أجرنا على الله فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئًا... منهم مصعب بن عمير قُتل يوم أحد وترك نَمِرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئًا من إذخر،... ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها[1] .

وظل أصحاب الحبيب ﷺ يذكرون مصعبًا في كل وقت ولم يغب وجهه عنهم لحظة واحدة.

فهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أُتي بطعام وكان صائمًا فقال: قُتل مصعب بن عمير وهو خير مني كُفّن في بُردة إن غُطي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطي رجلاه بدا رأسه، وقُتل حمزة وهو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا ما بُسط أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[2] .

ولا أملك عند وداع هذا البطل إلا أن أقول: رضي الله عن مصعب وأرضاه وجمعنا وإياه في الفردوس الأعلى.

❋ ❋ ❋

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٩٧) كتاب المناقب، ومسلم (٩٤٠) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٢٧٥) كتاب الجنائز.

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابي الجليل الذي ملأ الدنيا زهدًا وورعًا وصدقًا ووفاءً وطاعة وجهادًا.

نحن اليوم على موعد مع صاحب سر رسول الله ﷺ ... مع أعلم الناس بالفتن إلى يوم القيامة بعد رسول الله ﷺ ... مع الرجل الذي كان سببًا في جمع الناس على مصحف واحد، ... بل إننا على موعد مع الرجل الذي أخبره الحبيب ﷺ بأنه سيكون رفيقًا له في الجنة.

إننا على موعد مع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

من هنا نبدأ

تبدأ قصة حذيفة من والده (حُسيل بن جابر) الذي كان يعيش في مكة في قبيلة تُسمى (بنى عبس) وكان يعيش حياة هادئة مطمئنة إلا أن الحياة في أرض الجزيرة أيام الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ كانت غير آمنة.... فقد تقوم الحروب لأسباب تافهة وقد يفقد الرجل حياته لأهون الأسباب.

ففي يوم من الأيام حدث خلاف بين حُسيل والد حذيفة وبين رجل من بني عبس فقتله حُسيل وهرب من مكة إلى المدينة خوفًا من أن يقتلوه.

ولكي يصبح آمنًا فلا بد أن يحالف أحدًا من أهل المدينة ليحميه فحالف قبيلة تُسمى (بنى عبد الأشهل) وعاش معهم ومن هنا سمَّاه قومه «اليمان» وذلك لحلفه لليمانية وهم الأنصار.

ميلاد حذيفة

وبعد فترة من الزمن أحسَّ حُسيل (اليمان) بأنه بحاجة إلى الزواج فتزوج امرأة تُسمى (الرباب بنت كعب الأشهلية) فولدت له حذيفة وغيره من الذكور والإناث.

وكان (اليمان) يشعر بأن ابنه حذيفة يمتلك ذكاءً يندر وجوده فأحبه حبًا جمًا وكان يلازمه في كل مكان أكثر من إخوته.

قصة إسلامه

وكان اليمان يشتاق بين الحين والحين أن يذهب إلى مكة ليطوف بالكعبة وفي يوم من الأيام سمع اليمان بمبعث نبي آخر الزمان فسأل عنه فإذا هو الصادق الأمين الذي كان يعرفه الناس جميعًا بصدقه وأمانته فلم يتردد اليمان لحظة واحدة بل أسلم بقلبه وجوارحه لله جل وعلا وعاد من مكة إلى المدينة ليحمل هذا النور إلى أسرته فأسلمت أسرته كلها وأسلم حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه.

وكان أبوه (اليمان) يحدثه كثيرًا عن رسول الله فاشتاق حذيفة لرؤية رسول الله ﷺ.

هكذا نشأ حذيفة في بيت مسلم، ثم رحل بصحبة والده إلى مكة المكرمة، وهنالك التقت يمين رسول الله ﷺ بيمين حذيفة، حيث أعلن إسلامه، وسرت في نفسه موجة من الحب والإكبار لرسول الله ﷺ الذي خيَّره بين الهجرة والنُّصرة - أي: خيَّره بين أن يكون من المهاجرين أو الأنصار -، فاختار حذيفة النصرة، وعاد إلى المدينة المنورة[1].

ولذلك قال له الحبيب ﷺ: «إن شئت كنت من المهاجرين وإن شئت كنت

---

[1] فرسان من عصر النبوة/ أحمد خليل جمعة (ص: ٤٠).

من الأنصار فاختر أحب الأمرين إلى نفسك، فقال حذيفة رضي الله عنه بل أنا أنصارى يا رسول الله ﷺ.

ولما أذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة فرح حذيفة فرحاً شديداً ولازم النبى ﷺ ملازمة الحبيب لحبيبه لينهل من هذا النبع الصافى ويأخذ من هديه وسمته وأخلاقه.

ولقد أحبه النبى ﷺ حبًا جمًا وكان النبى ﷺ بنظرة واحدة إلى أى رجل يعلم صفاته وإمكاناته ومزاياه من أول وهلة فأحس النبى ﷺ أن حذيفة يملك ذكاءً يندر وجوده وسرعة بديهة تجعله يعالج أعتى المواقف والأزمات بيسر وسهولة وهو فى الوقت ذاته يؤتمن على أخطر الأسرار ولا يذيعها أبداً.

وكان الحبيب ﷺ يضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ويستخدم طاقات أصحابه فيما يخدم الدين على أعلى مستوى.

صاحب سر رسول الله ﷺ

وكانت من أكبر المشاكل التى تواجه المسلمين فى المدينة هى وجود المنافقين[1] الذين كانوا يدبرون المكائد والمؤامرات لرسول الله ﷺ وأصحابه.

فأنزل الله جبريل عليه السلام بأسماء المنافقين ليخبر النبى ﷺ بأسمائهم فيعرفهم ويحذر منهم.... فما كان من النبى ﷺ إلا أن أخبر حذيفة بن اليمان بأسماء المنافقين وجعل ذلك سراً بينه وبين حذيفة ولم يخبر أحدًا من أصحابه بذلك.

وطلب النبى ﷺ من حذيفة أن يرصد حركات المنافقين وأن يتتبع نشاطهم ليدفع خطرهم عن الإسلام والمسلمين.

(١) المنافق هو من ستر الكفر بقلبه وأظهر الإيمان بلسانه.

ومنذ ذلك اليوم دُعي حذيفة بن اليمان بصاحب سرِّ رسول الله ﷺ وقد ناشده عمر عندما علم أن النبي ﷺ أسرَّ إليه بأسماء المنافقين فقال: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحدًا بعدك[1].

وظل حذيفة بن اليمان مؤتمنًا على أسرار المنافقين ما امتدت به الحياة، وظل الخلفاء يرجعون إليه في أمرهم حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا مات أحد المسلمين يسأل: أحَضَرَ حذيفة للصلاة عليه؟ فإن قالوا: نعم صلَّى عليه، وإن قالوا: لا، شك فيه، وأمسك عن الصلاة عليه.

وقد سأله ذات مرة: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ فقال: واحد، فقال: دُلَّني عليه، فقال: لا أفعل، قال حذيفة: لكن عمر ما لبث أن عزله كأنما هُدي إليه... فلقد كان عمر يملك فراسة وشفافية يندر وجودها.

أعلم الناس بالفتن إلى قيام الساعة

ولقد كان حذيفة يرى أن أصحاب الرسول ﷺ كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير فكان هو يسأل رسول الله ﷺ عن الشر حتى يحذر منه ولا يقع فيه.

فها هو يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني».

* وكان حذيفة يعكف على دراسة الشر والأشرار والنفاق والمنافقين لكي يحذر منهم ويُحذِّر الأمة من شرورهم.

وكان يسأل الرسول ﷺ دائمًا عن الفتن خوفًا من الوقوع فيها.

ولذا كان يقول: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة.

---

(١) نسبه في الكنز (١٣/ ٣٤٤) إلى رستة - نقلاً من السير (٢/ ٣٦٤) للذهبي.

ولذلك لا تكاد ترى حديثًا للنبي ﷺ يتحدث فيه عن علامات الساعة أو عن فتن آخر الزمان إلا وتجد أن حذيفة قد روى شيئًا منها.

عبادته وخشيته لله (جل وعلا)

ولقد كـان حذيفة زاهدًا عـابدًا لا يفتر أبدًا عن الصيام والقيام والذكر وتلاوة القرآن.

ولقد كان حذيفة رضي الله عنه يخشى ربه في السر والعلانية، وكان لا يحب أن يطّلع أحـد على عمله وكان يـحب العزلة خوفًـا على نفسـه وعلى دينه من الفتن التي هو أعلم الناس بها بعد النبي ﷺ.

قـال حذيفـة رضي الله عنه: والله لوددت أن لي إنسانًا يـكون في مالي ثم أُغلق عليَّ بابًا فلا يدخل عليَّ أحد حتى ألحق بالله عز وجل.

* وكان يخشى على نفسه من الشهرة والرياء.

ففي يوم من الأيام كان حذيفة يصلي ويبكي فلما فرغ من صلاته التفت فوجد رجلاً جالسًا خلفه فقال له: لا تخبرنَّ بهذا أحدًا.

ما السبب في تغيبه عن غزوة بدر

ولعل السؤال الذي يخطر علـى البال في تلك اللحظة: ما السبب الذي جعل حذيفة رضي الله عنه يتغيب عن غزوة بدر؟.

ويتـولى حذيفـه بنفسـه الجواب على هذا السـؤال فيقول: ما منعني أن أشهـد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي، فـأخذنا كفـار قريش، فـقالوا: إنكم تريدون محمـدًا! فقلنا: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا العـهد علينا: لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأخبرنا النبي ﷺ فقال: «نفي بعهدهم، ونستعين الله عليهم»[1].

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٧٨) كتاب الجهاد.

موقف يوم أحد زاده عند رسول الله ﷺ خيرا

ولما جاء يوم أُحد وخاض المسلمون تلك الغزوة أمام مشركي قريش، وكان في جند المسلمين (حذيفة) مع أبيه اليمان فأما حذيفة فقاتل قتال مَن يبحث عن الشهادة ويشتاق إليها، وأما أبوه فقد استُشهد يومئذ، قتله بعض الصحابة غلطًا، ولم يعرفه؛ لأن الجيش يختفون في لأمة الحرب، ويسترون وجوههم، فإن لم يكن لهم علامة بيِّنة، وإلا ربما قتل الأخُ أخاه، ولا يشعر.

أما عن قصة قتله فإنه لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أُحد رُفع اليمان وثابت بن وقش إلى مكان مرتفع لأنهما شيخان كبيران لا طاقة لهما بالجهاد فلما بدأ القتال قال أحدهما لصاحبه: ماذا تنتظر؟ فو الله ما بقي لنا من العمر إلا القليل فهيا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا، حتى دخلا في الناس، ولم يعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حُسيل بن جابر، فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه فقال حذيفة: أبي، فقالوا: والله ما عرفناه - وصدقوا - قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فأراد رسول الله ﷺ أن يعطيه الدية فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيرًا [1].

يوم الخندق ومرافقة النبي ﷺ في الجنة

ولقد حدث لحذيفة موقف عجيب يوم الخندق كان سببًا لأن يكون مرافقًا للنبي ﷺ في الجنة.

فنحن نعلم أن كتائب الشرك اجتمعوا في عشرة آلاف مشرك حول المدينة يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين ولكنهم وجدوا أن النبي ﷺ

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٠٦٥) كتاب المغازي.

وأصحابه قد حفروا خندقًا حول المدينة فوقفوا مبهوتين لا يدرون ماذا يصنعون.

وهنا أراد النبي ﷺ أن يرسل رجلاً من أصحابه ليعلم ماذا يصنع المشركون وبخاصة بعد أن اشتد البرد والريح فلم يكن هناك رجل واحد يستطيع أن يتحرك من شدة الخوف والبرد والجوع.

وإذا بالنبي ﷺ ينظر إلى أصحابه ويقول: «مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع. أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟» فما قام رجل من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله فلم يكن لي بُدٌّ من القيام حين دعاني فقال: «يا حذيفة اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحدثَنَّ شيئًا حتى تأتينا» قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش.

إني أخشى أن يكون بيننا رجل من المسلمين فليسأل كل واحد منكم مَن بجواره عن اسمه فما كان من حذيفة إلا أن أخذ بيد الرجل الذي كان بجواره وسأله: من أنت فقال: فلان بن فلان. فقال حذيفة: صدقت.

وبذلك نجا حذيفة من أن يعرف المشركون بوجوده بينهم فيقتلوه.

ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم في أمان فلقد هلك الخيل والإبل من شدة البرد والريح فارتحلوا فإني مرتحل ثم قام إلى جَمَله فجلس عليه ثم ضربه فوثب لينطلق عائدًا إلى مكة وهنا أراد حذيفة أن يضربه بسهم لكنه تذكر أن النبي ﷺ قال له: «لا تحدثن شيئًا حتى تأتيني».

ثم عاد حذيفة إلى النبي ﷺ ليخبره بما حدث فوجده قائمًا يصلي فلما فرغ النبي ﷺ من صلاته أخبره حذيفة بما حدث ففرح النبي ﷺ بذلك أشد الفرح ودعا لحذيفة بكل خير[1].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٨) كتاب الجهاد والسير.

وبهذا الموقف الذى وقفه حذيفة واستجابته لأمر رسول الله ﷺ أصبح واحدًا ممن فازوا برفقة الحبيب فى الجنة، ويالها من بشرى لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من زينة ومتاعٍ زائل.

وتمر الأيام الجميلة مسرعة إلى أن جاء اليوم الذى أظلمت فيه الدنيا كلها بموت النبى ﷺ فحزن حذيفة عليه حزنًا كاد أن يمزق قلبه.

ولايته على المدائن

وبعد أن انتقل الحبيب ﷺ إلى جوار ربه ظل حذيفة على عهده عابدًا صائمًا قائمًا مجاهدًا فى سبيل الله جل وعلا.

ولما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة كان يختار الولاة اختيارًا دقيقًا وكان لا يجامل أحدًا أبدًا، وأراد عمر أن يختار واليًا على المدائن التى كان يعيش فيها ملوك الفرس... فكان عمر يريد واليًا زاهدًا حتى لا يتطلع إلى ثروات تلك المدينة... فوقع اختياره على حذيفة بن اليمان فأرسله إلى أهل المدائن ليكون واليًا عليهم وكتب إليهم: إنى قد بعثت إليكم حذيفة بن اليمان أميرًا عليكم فاسمعوا له وأطيعوا... وخرج أهل المدائن لاستقبال هذا الأمير الجديد فإذا بهم يرون رجلاً يركب حمارًا وفى يده رغيف به قطعة لحم فلم يلتفتوا إليه فلقيهم الناس فقالوا: أين الأمير؟

قالوا: هو الذى مَرَّ الآن وهو يركب حماره فركضوا خلفه حتى أدركوه وقالوا له: مرحبًا بك أيها الأمير بماذا تأمرنا؟

فقال: لا أسألكم إلا طعامًا آكله وعلفًا لحمارى هذا ما دُمت فيكم.

وذهب حذيفة إلى دارٍ متواضعة ليس فيها شيء من متاع الدنيا وأقام فى المدينة ما شاء الله ثم كتب له عمر يطلب منه أن يرجع إليه فى المدينة.

فلما عاد حذيفة اختبأ له عمر حتى يرى هل تغير حاله بعد الإمارة

وأصبح ثريًا أم أنه ما زال على حاله ولم يطمع في شيء من متاع الدنيا الزائل فإذا به يراه راكبًا على حماره كما هو ليس معه شيء من متاع الدنيا فبكى عمر واحتضنه وقال له: أنت أخي وأنا أخوك.

صور مشرقة من جهاده في الفتوحات الإسلامية

ولعل قليلاً من الناس من يعلم أن حذيفة بن اليمان ﷺ كان من أصحاب السبق العظيم في فتوحات العراق كلها.

ففي همدان والري والدينور تم الفتح على يديه.

وفي معركة نهاوند كانت المعركة الكبرى حيث احتشد الفُرس في مائة ألف مقاتل وخمسين ألفًا والمسلمون في ثلاثين ألفًا يقودهم الإيمان بالله والعقيدة الراسخة التي سكبها الحبيب ﷺ في قلوب أصحابه حتى كان الواحد منهم يقابل جيشًا بأكمله فلا يخاف ولا يخشى إلا الله وحده.

فشارك حذيفة في تلك المعركة الكبيرة وأخذ الراية بعد مقتل النعمان بن مُقرّن.

وهكذا انتهت المعركة بهزيمة ساحقة للفرس على أيدي الموحدين الذين امتلأت قلوبهم حبًا لله ولرسول الله ﷺ ولنصرة دين الله.

حكمة وخبرة نادرة

إن حذيفة بن اليمان ﷺ كان عبقريًا في حكمته حين تضمه صومعته وعبقريًا في فدائيته حين يقف على أرض القتال وهو كذلك العبقري في كل مهمة تُوكل إليه، ومشورة تُطلب منه... فحين انتقل سعد بن أبي وقاص والمسلمون معه من المدائن إلى الكوفة، واستوطنوها وذلك بعد أن آنزل مناخ المدائن بالعرب المسلمين أذى بليغًا مما جعل عمر يكتب لسعد كي يغادرها

فوراً بعد أن يبحث عن أكثر البقاع ملاءمة، فينتقل بالمسلمين إليها. . .
يومئذ، من الذى وُكِّل إليه أمر اختيار البقعة والمكان؟

إنه حذيفة بن اليمان. . . ذهب ومعه سلمان بن زياد يرتادان للمسلمين المكان الملائم.

فلما بلغا أرض الكوفة، وكانت حصباء جرداء مرملة، شَمَّ حذيفة عليها أنسام العافية، فقال لصاحبه: هنا المنزل إن شاء الله.

وهكذا خُططت الكوفة وأحالتها يدُ التعمير إلى مدينة عامرة وما كاد المسلمون ينتقلون إليها، حتى شُفى سقيمهم، وقَوى ضعيفهم، ونبضت بالعافية عروقهم!! بإذن الله.

لقد كان حذيفة واسع الذكاء متنوع الخبرة، وكان يقول للمسلمين دائماً: (ليس خياركم الذين يتركون الدنيا للآخرة، ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا ولكن الذين يأخذون من هذه ومن هذه)[1].

كان سببا فى جمع المسلمين على مصحف واحد

وظل حذيفة رضي الله عنه شديد الاهتمام بالقرآن الكريم حتى إنه كان السبب فى جمع المسلمين على مصحف واحد، عندما لاحظ أن الاختلاف والفرقة قد بدأت تدب بين صفوف المسلمين، حينما كان يغزو مع أهل العراق فى أرمينية وأذربيجان وذلك فى خلافة عثمان رضي الله عنه فسارع حتى قَدِم المدينة، وعرض على عثمان وجهة نظره، فسارع عثمان إلى ذلك، وجَمَعَ الصحابة، فاستقر رأيهم على كتابة القرآن الكريم، ثم أرسل منه نُسخًا إلى الأمصار وبذلك جمع الناس على مصحف واحد.

وبهذا التصرف المحمود قطع عثمان دابر الفتنة، وحسم مادة الخلاف

---

(١) رجال حول الرسول ﷺ / أ. خالد محمد خالد (ص: ٢٥٥).

والاختلاف، وحصَّن القرآن الكريم من أن يتطرق إليه شيء من التحريف، أو الاختلاف على مَرّ العصور، وتعاقب الأزمان[(١)].

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة مليئة بالزهد والكفاح والبذل والتضحية نام رفيق النبي ﷺ في الجنة على فراش الموت لتفيض روحه الطاهرة إلى ربها عز وجل الذي كتب الموت على الخلائق وهو الحي الذي لا يموت.

وكان حذيفة قبل موته يقول: اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى وأحب الذلة على العز وأحب الموت على الحياة،... حبيبٌ جاء على فاقة لا أفلح مَن نَدِم.

وفي يوم موته قال عند السَّحَر: أعوذ بالله من صباحٍ إلى النار ثم أمر أهله أن يشتروا له ثوبين ليكونا له كفنًا فلما رآهم قد جاءوا بثياب غالية أمرهم أن يأتوه بأكفانٍ رخيصة وقال: إنهما لن يُتركا عليّ إلا قليلاً فلو أراد الله بي خيراً أبدلني خيراً منهما.

ونزلت كوكبة من الملائكة الكرام، وقبضوا روح حذيفة رضي الله عنه وصعدوا بها إلى بارئها راضية مرضية، لتستقر في عليين، وانتهت بوفاته حياة حافلة بالهجرة والجهاد والفروسية والفتوحات والعلم والزهد والحكمة والفضل ويحسب حذيفة أن يُقرن اسمه باسم رسول الله ﷺ فيقال: صاحب سر رسول الله ﷺ.

توفي حذيفة سنة ست وثلاثين من الهجرة بعد عثمان بأربعين يومًا[(٢)].

رضي الله عن حذيفة وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

---

(١) فرسان من عصر النبوة (ص: ٤٨: ٤٩).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٦٢).



بلال بن رباح رضي الله عنه

بلال بن رباح رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعد مع هـذا الصحابى الجليل الذى سمع النبى ﷺ صوت نعليه فى الجنة....

إنه صوت الإسلام... إنه الرجل الذى اختاره النبى ﷺ ليكون أول مؤذن يصدع بكلمة التوحيد.

إنه الرجل الذى رفع الأذان فوق الكعبة فى عام الفتح.

إنه الرجل الذى اشتاقت إليه جنة الرحمن جل وعلا.

إنه بلال بن رباح رضي الله عنه مولى أبى بكر الصديق ومؤذن رسول الله ﷺ.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرته العطرة.

فضل الأذان

وقبل أن نبدأ تلك القصة التى يحلو ذكرها فى كل وقت وحين. أريد أن أذكر بعض الأحاديث التى ذكرها الحبيب ﷺ فى فضل الأذان لكى نعلم قدر الرجل الذى سنذكر سيرته.

قال ﷺ: «**من أذن ثنتى عشـرة سنة وجبت له الجنة، وكُتب له بتأذينه فى كل يوم ستون حسنة، وبإقامته ثلاثون حسنة**»[1].

وقال ﷺ: «**المؤذن يُغفَر له مَدَّ صوته وأجره مثل أجر مَن صلَّى معه**»[2].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٧٢٨) كتاب الأذان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠٠٢).

(٢) صحيح: أخرجه الطبرانى (٨/ ٢٤١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦٤٣)

وقال ﷺ: «المؤذن يُغفر له مدى صوته ويشهد له كل رطب ويابس»[(١)].

وقال ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة»[(٢)].

قصة إسلامه

وتعالوا بنا لنبدأ تلك القصة المباركة من أولها.

لقد كان بلالٌ عبدًا لأُناس من بني جُمَح بمكة، فقد كانت أمه إحدى إمائهم وجواريهم. وكان اسمها (حمامة).

وكان يترامى إلى سمعه أخبار النبي ﷺ، حيث كان يسمع أمية بن خلف - وهو أحد شيوخ بني جُمح - وهو يتحدث مع أصدقائه ورجال قبيلته عن الحبيب ﷺ وقلوبهم تمتلئ غيظًا وكرهًا له ﷺ.

وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا لا ينكرون أبدًا أمانة النبي ﷺ ولا رجولته ولا أخلاقه الطيبة ولا صدقه ورجاحة عقله...، وكل ذلك يصل إلى سمع بلال رضي الله عنه حتى أحسَّ من داخله بأن هذا الدين هو الدين الحق وبأن هذا النبي ﷺ هو طوق النجاة الذي أرسله الله إلى تلك الأمة لينتشلها من أوحال الجاهلية إلى أنوار التوحيد ومن ثم إلى جنة الرحمن جل وعلا.

ويستجيب بلال لنداء الحق ويُفسح قلبه ليستقبل هذا النور الذي جاء به الحبيب ﷺ من عند ربه جل وعلا.

فيذهب إلى النبي ﷺ ويُعلن إسلامه فيشعر وكأنه وُلد في تلك اللحظة.

* * *

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥١٥) كتاب الصلاة، ابن ماجه (٧٢٨) كتاب الأذان، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٦٤٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٨٧) كتاب الصلاة

يستعذب العذاب في سبيل الله

وما هي إلا ساعات معدودة حتى شاع خبر إسلامه رضي الله عنه وإذا بهؤلاء الذين نفخ الشيطان في عقولهم، يعرفون خبر إسلام بلال رضي الله عنه فيصبُّون عليه العذاب صبًا، وكان أمية بن خلف يُخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحَدٌ أَحَدٌ(١).

* وكان بلال رضي الله عنه من أوائل الذين أعلنوا إسلامهم في مكة وكان يستعذب العذاب في سبيل الله جل وعلا.

ولنترك المجال لهذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ليخبرنا عن هذا المشهد المهيب.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد رضي الله عنهم، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أَدْرُع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد أتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ أحدٌ(٢).



(١) السيرة لابن هشام (١/ ٢٦٢).

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٢٨٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: صحيح.

أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا

وذات مرة يمر أبو بكر رضي الله عنه فيجد بلالاً رضي الله عنه يُعذَّب في رمضاء مكة، وقد هانت عليه نفسه في سبيل الله وهو يردد هذا النداء الخالد: أحدٌ.. أحدٌ.

فيذهب أبو بكر في التو واللحظة ويُصفّي التجارات ويأتي بالأموال ليشتري العبيد والأرقاء ليعتقهم خشية أن يُفتنوا في دينهم.

* وكان بلال من بين العبيد الذين اشتراهم أبو بكر وأعتقهم ابتغاء مرضاة الله جل وعلا.

لقد ذهب أبو بكر إلى أمية بن خلف وقال له: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ ألا ترحمه من هذا العذاب؟.

فقال له أمية: أنت الذي أفسدته عليّ فإن كنت تقدر أن تُنقذه فافعل.

فاشتراه أبو بكر بسبع أواقٍ من ذهب.

فقال له أمية: لو أبيت إلا أوقية واحدة لبعته لك.

فقال أبو بكر: والله لو أبيت إلا مائة أوقية من الذهب لاشتريت منك بلالاً.

فكان عمر رضي الله عنه إذا ذُكر عنده أبو بكر قال: «أبو بكر سيدنا وأعتق بلالاً سيدنا»[1].

فقام جماعة من المنافقين وقالوا: والله لقد أعتق أبو بكر بلالاً ليدٍ كانت لبلال عنده... أي أنه أراد أن يرد له معروفًا قديمًا. فسكت أبو بكر وتولى الله عز وجل الدفاع عن أبي بكر فأنزل قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[2].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٧٥٤) كتاب المناقب.

(٢) سورة الليل: الآيات: (١٧- ٢١).

وهكذا يكتب الله النجاة لبلال من أيدى المشركين ليبدأ حياة جديدة فى رحاب الإيمان وفى صحبة سيد الأنام ﷺ فأخذ بلال ينهل من هذا النبع الصافى مباشرة إلى أن جاء الوقت الذى أراد الله فيه أن يُثلج صدره ويُعلى قدره.

الهجرة المباركة

ولما أذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة المباركة إلى المدينة هاجر بلال رضي الله عنه مع مَن هاجر من الصحابة رضي الله عنهم.

ونزل فى رحاب الأنصار الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وما إن وصل بلال إلى المدينة المنورة حتى أصابته الحمى.

قالت عائشة: لما قدم النبى ﷺ المدينة، وُعِك أبو بكر، وبلال.

فى صحبة الرسول ﷺ

لقد ذاق بلال من العذاب ألوانًا فصبر واحتسب وثبت ثبات الجبال إلى أن جاءت أعظم لحظة فى حياته وهى التى عاش فيها بجوار الحبيب المصطفى ﷺ... وكان بلال سابق الحبشة أى أول من آمن من أهل الحبشة ولذلك كان النبى ﷺ يحبه ويُقربه حتى جعله خازنًا للمال.

وفى يوم من الأيام جلس النبى ﷺ مع أصحابه يتذكر الأيام الشديدة التى عاشها فى مكة فقال: «لقد أُخفت فى الله وما يُخاف أحد، ولقد أُوذيت فى الله وما يُؤذَى أحد».

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

«ولقد أتت عليَّ ثلاثون ما بين يوم وليلة مالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد، إلا شيء يواريه إبط بلال».

هكذا كان بلال قريبًا من النبي ﷺ يشاركه أفراحه وأحزانه وما أجملها من حياة يوم يعيش المسلم في رحاب النبي ﷺ حتى ولو عاش بلا طعام ولا شراب.

الجنة تشتاق إلى بلال رضي الله عنه

ويعيش بلال رضي الله عنه بل ويتعايش مع الإسلام قلبًا وقالبًا حتى أحبه النبي ﷺ حبًا يعجز القلم عن وصفه.

وذات مرة دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صبرة من تمر قال: «ما هذا يا بلال؟ قال: يا رسول الله ادخرته لك ولضيفانك فقال: أما تخشى أن يكون له بخار في النار؟ أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً»[(١)].

ويأتي النبي ﷺ مرة أخرى بأعظم بشرى لبلال رضي الله عنه فيقول ﷺ: «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: علي وعمار وبلال»[(٢)].

الله أكبر !!! . . . . الجنة تشتاق إلى بلال!!!

كيف استطاع بلال رضي الله عنه بعد تلك البشرى أن تحمله قدماه ليمشي على الأرض بين الناس؟!

فمنذ فترة يسيرة كان عبدًا حبشيًا، والآن أصبح معروفًا في الأرض، بل وفي السماوات حتى اشتاقت الجنة إليه.

إن كثيرين من علية البشر، وذوي الجاه والنفوذ والثروة فيهم، لم يظفروا بمعشار الخلود الذي ظفر به «بلال» العبد الحبشي!!.

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/١٠١/١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٦٦١).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٩٧) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٥٩٨).

النبي ﷺ يسمع صوت نعليه في الجنة

بل تصبح تلك البشرى حقيقة يسمعها النبي ﷺ بأذنيه.

فعن بريدة رضي الله عنه قال: «دعا رسول الله ﷺ بلالاً، فقال: «يا بلال بِمَ سبقتني إلى الجنة؟ إني دخلت الجنة البارحة فسمعت خشخشتك أمامي فقال بلال: يا رسول الله ما أذَّنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حَدَثٌ قط إلا توضأت عندها، فقال رسول الله ﷺ: بهذا»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دَفَّ نعليك بين يدي في الجنة، قال: ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كُتب لي أن أصلي»(٢).

قلت: وهذا كله ثمرة من ثمرات المداومة على العمل الصالح.

والجزاء من جنس العمل.

مؤذن رسول الله ﷺ

وبداية الأذان له قصة تطيب القلوب بذكرها.

وذلك أنه لما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار، استحكم أمر الإسلام، فقامت الصلاة، وفُرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود، وفُرض الحلال والحرام وقد كان رسول الله ﷺ حين قَدِمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٠) والترمذي (٣٦٨٩) كتاب المناقب والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٨٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١١٤٩) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٤٥٨) كتاب فضائل الصحابة قال أبو عبد الله: «دف نعليك»، يعني تحريك نعليك.

فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد الأذان فأتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائف: مرَّ بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسًا في يده، فقلت له: يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قال: قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: «إنها لرؤيا حق، إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه، فليؤذن بها، فإنه أندى صوتًا منك» فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه، وهو يقول: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل الذي رأى؛ فقال رسول الله ﷺ: «فلله الحمد على ذلك»[1].

وبذلك كان بلال رضي الله عنه أول مؤذن في الإسلام.

الله يقتص لبلال من أمية بن خلف في يوم بدر

ولقد شهد بلال مع نبيه ﷺ غزوة بدر، وقاتل فيها قتالاً شديدًا وأبلى بلاءً حسنًا.

وشاء الله عز وجل أن يقتص له من أمية بن خلف الذي كان يعذبه في رمضاء مكة.

ففي غزوة بدر كانت النصرة للمسلمين وبينما كان عبد الرحمن بن

---

(١) حسن: رواه أحمد (٤/ ٤٣)، وأبو داود (٤٩٩) كتاب الصلاة، والترمذي (١٨٩) كتاب الصلاة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الإرواء (٢٤٦).

عوف يمـر في أرض الجهاد إذ رأى أمـية بن خلف وابنه فنادى عليه أمـية - وكان صديقـا له قبل الإسلام في أيام الجاهـلية - فذهب إليه عبـد الرحمن وأسَرَه هو وابنه.

وبينما كان عبد الرحمن يسير مع هذين الأسيرين إذ رأى (بلال) أمية بن خلف الذي كان يُعذبه في مكة فقال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا.

فقال له عبد الرحمن: إنه أسيرى يا بلال.

فقال بلال: لا نجوت إن نجا.

ثم نادى بلال على بعض الصحابة وقال: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية ابن خلف.. لا نجوت إن نجا.

فجاءوا وأحاطوا بـأمية بن خلف وابنه وقتلوهما شر قـتلة.. فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالاً، ذهبت أدراعي وفجعني بأسيرى[1].

بلال يؤذن فوق الكعبة في يوم فتح مكة

وتمر الأيام مسرعة ويعود رسول الله ﷺ إلى مكة فاتحًا منتصراً بعد أن خرج منهـا وهو يبكي ويقول: «والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت».

وأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يصعد فيؤذن على الكعبة[2].

ويؤذن بلال... فيالروعة الزمان، والمكان، والمناسبة.

كفّت الحـياة في مكـة عن الحركة، ووقـفت الألوف المسلمـة كالنسـمة الساكنة، تُردد في خشوع وهمس كلمات الأذان وراء بلال.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٣٠١) كتاب الوكالة.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤١١).

والمشركون في بيوتهم لا يكادون يصدقون: أهذا هو محمد وفقراؤه الذين أخرجوا بالأمس من هذه الديار؟

أهذا هو حقًا، ومعه عشرة آلاف من المؤمنين؟

أهذا هو حقًا الذي طاردناه وقاتلناه وقتلنا أحب أهله إليه؟

أهذا هو حقًا، الذي كان يخاطبنا منذ لحظات ورقابنا بين يديه، ويقول لنا: «اذهبوا فأنتم الطُّلقاء»!!.

وحان وقت الرحيل

وظل بلال رضي الله عنه يؤذن لرسول الله ﷺ طوال حياته، فلما انتقل الحبيب إلى الرفيق الأعلى وحان وقت الصلاة قام بلال يؤذن في الناس والنبي الكريم ﷺ لم يُدفن بعد فلما وصل إلى قوله: «أشهد أن محمدًا رسول الله» خنقته العَبَرات واحتبس صوته في حلقه، وأجهش المسلمون بالبكاء وأغرقوا في النحيب ثم أذَّن بعد ذلك ثلاثة أيام فكان كلما وصل إلى قوله: «أشهد أن محمدًا رسول الله» بكى وأبكى الناس. عند ذلك طلب من أبي بكر خليفة رسول الله رضي الله عنه أن يعفيه من الأذان بعد أن أصبح لا يحتمله[(١)].

وطلب من أبي بكر رضي الله عنه أن يأذن له بالخروج إلى الشام للجهاد والمرابطة وكان الصدِّيق يحبه حبًا جمًا، فتردد في بادئ الأمر، فقال له بلال: «إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني. فتركه أبو بكر يذهب حيث يشاء... فذهب بلال إلى بلاد الشام ليجاهد في سبيل الله جل وعلا.

وظل في بلاد الشام عابدًا زاهدًا ينتظر اليوم الذي يلحق فيه بالحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

---

(١) لا يحتمله: لا يطيق أن يؤذن في غياب رسول الله ﷺ.

(٢) صور من حياة الصحابة (ص ٣٢).

* وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب في زيارة إلى بلاد الشام وهناك التقى ببلال فعزم عليه أن يؤذن.

فقام بلال ليؤذن فبكى وأبكى كل الناس من حوله فقد تذكروا جميعًا أيام النبي ﷺ يوم أن كان بلال يؤذن ثم يذهب لينادي على رسول الله ﷺ.

وبعد فترة قصيرة نام أول وأعظم مؤذن عرفته الدنيا على فراش الموت.

ولَفَظَ أنفاسه الأخيرة رضي الله عنه وخلَّد الله اسمه في العالمين وأعلى قدره في الآخرة في جنات النعيم.

وإني أسأله سبحانه وتعالى أن يجمعني وإياكم مع النبي ﷺ وأصحابه لننعم بصحبتهم في الجنة لتصبح الجنة جنتين.

وإن كنا حُرمنا من سماع بلال رضي الله عنه وهو يؤذن في الدنيا فلسوف نسمع أذانه في الجنة!!!

أليس الله هو القائل (سبحانه وتعالى): ﴿ولكُمْ فيها ما تشتهي أنفُسُكُم﴾[1].

فإننا إذا دخلنا الجنة برحمة الله وأردنا أن نسمع أذان بلال رضي الله عنه فسوف يُسمعنا الله هذا الأذان فهو القادر على كل شيء.

فالسلام عليك يا مؤذن رسول الله ﷺ حتى نلتقي بك في جنة الرحمن إن شاء الله إخوانا على سُرُرٍ متقابلين لننعم بجوار الحبيب ﷺ في الجنة فـ «المرء مع من أحب»[2].

* رضي الله عن بلال وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *

(١) سورة فصلت: الآية: (٣١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٦٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة



أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه



أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن نلتقي مع هذا الصحابي الجليل الذي كان يُضرب به المثل في الوفاء والأمانة ولذا كان تجار قريش يأتمنونه على أموالهم ليخرج بها في تجارته.

إنه الصحابي الذي قال عنه النبي ﷺ: «حدثني أبو العاص فصدقني ووعدني فوفَّى لي»[1].

إنه زوج زينب بنت رسول الله ﷺ .... إنه الصحابي الجليل أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

من هو أبو العاص بن الربيع؟

ولعلك تسأل يا بُنى: من هو أبو العاص بن الربيع؟

وأقول لك: إن أبا العاص بن الربيع كان من رجال مكة المعدودين في الجاه والمال والأمانة والتجارة وكانت أمه هالة بنت خويلد، وكانت خالته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ وأم المؤمنين.

وكان تجار مكة يأتمنون أبا العاص بن الربيع على تجارتهم وأموالهم لأنهم يعلمون مدى وفائه وأمانته.

❊ ❊ ❊

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣١١٠) كتاب فرض الخمس، ومسلم (٢٤٤٩) كتاب فضائل الصحابة.

زواجه من زينب بنت النبى ﷺ

وفى يوم من الأيام أراد أبو العاص بن الربيع أن يتزوج زينب بنت رسول الله ﷺ وكان ذلك قبل بعثة النبى ﷺ فذهب أبو العاص إلى خالته خديجة وكلّمها فى ذلك الأمر وطلب منها أنت تُكلم زوجها محمد بن عبد الله ﷺ .

فلما عاد رسول الله ﷺ من الخارج كلمته خديجة فى أن يُزوج زينب لابن أختها (أبى العاص بن الربيع) فوافق النبى ﷺ على ذلك لما يعلم من أمانته وصدقه ووفائه.

وكانت خديجة تعتبر أبا العاص بن الربيع إبنًا لها ولذلك فرحت بموافقة النبى ﷺ على تلك الزيجة.

نزول الوحى ومؤامرة على بنات النبى ﷺ

وتمر الأيام وينزل الوحى على رسول الله ﷺ ليصبح نبى هذه الأمة وخاتم الأنبياء فلما عاد عرض الإسلام على زوجته خديجة فأسلمت هى وكل بناتها، ولكن بقى أبو العاص على شركه وكفره ورفض أن يُسلم لله جل وعلا.

*وكان النبى ﷺ قد زوّج أبا العاص بزينب وكان أيضًا قد عقد لعتبة وعُتيبة أبناء أبى لهب على ابنتيه رقية وأم كلثوم. . . فلما دعا النبى ﷺ قريشًا للإسلام فرفضوا وأظهروا له العداوة الشديدة وقاموا بتدبير مؤامرة على بنات النبى ﷺ ليشغلوا النبى ﷺ بالحزن على بناته فطلبوا من عتبة وعُتيبة أن يُطلقا رقية وأم كلثوم فقام كل واحد منهما وطلق زوجته بنت النبى ﷺ وكان ذلك كرامة لهما أن خلصهما الله من هذين

الكافرين فقد تزوجهما بعد ذلك عثمان بن عفان أحد العشرة المبشرين بالجنة، تزوج رقية فلما ماتت تزوج أم كلثوم ولذلك سُمِّيَ بذى النورين . . . ثم ذهب كفار قريش إلى أبى العاص بن الربيع وطلبوا منه أن يُطلق زينب بنت رسول لله ﷺ على أن يزوجوه من أى فتاة يختارها من قريش فرفض أبو العاص وقال: إنى لا أفارق زوجتى أبدًا وما يُرضينى بدلاً منها أى امرأة من قريش.

الإسلام يفرق بين زينب وأبى العاص

ولكن أبا العاص لما أصر على أن يبقى على الشرك فرّق الإسلام بينه وبين زوجته زينب فأصبحت لا تحل له لأنها مسلمة وهو مشركٌ.

أبو العاص يقع فى الأسر يوم بدر

وتمر الأيام ويزداد التعذيب والاضطهاد من قريش للنبى ﷺ وأصحابه فيأمر النبى ﷺ أصحابه بالهجرة ثم يهاجر من بعدهم.

ولما كان يوم غزوة بدر كان أبو العاص بن الربيع مع المشركين ضد المسلمين وبدأت المعركة وكانت النُصرة للمسلمين بفضل الله جل وعلا ووقع أبو العاص أسيرًا فى أيدى المسلمين.

زينب تبعث بفداء أبى العاص بن الربيع

فلما انتهت الغزوة أخذ أهل مكة يبعثون الأموال لفداء الأسرى الذين كانوا فى أيدى المسلمين.

وقامت زينب بنت رسول الله ﷺ لتبعث قلادة (عقدًا) فداءً لأبى العاص وكانت تلك القلادة قد قدمتها لها أمها خديجة بنت خويلد هدية فى ليلة زفافها على أبى العاص ابن الربيع.

فلما رأى النبي ﷺ قلادة زينب تذكَّر زوجته وشريكته في رحلة كفاحه (خديجة) التي ماتت فدمعت عيناه ثم قال لأصحابه: «إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتردُّوا عليها مالها فافعلوا»[1].

فقالوا: نعم يا رسول الله فأطلقوا أبا العاص بن الربيع، واشترط عليه النبي ﷺ أن يرد إليه ابنته زينب فأعطاه العهد على ذلك.

أبو العاص يفي بوعده لرسول الله ﷺ

ولما عاد أبو العاص إلى مكة أرسل النبي ﷺ خلفه زيد بن حارثة ورجلاً آخر من الأنصار وأمرهما أن يكونا بمكان اسمه (بطن يأجج) حتى تمر بهما زينب فيأتيا بها إلى رسول الله ﷺ.

فخرجا إلى ذلك المكان وكان ذلك بعد غزوة بدر بشهر فلما دخل أبو العاص إلى مكة أمر زينب بأن تتجهز لتذهب إلى رسول الله ﷺ.

فلما فرغت زينب من جهازها قدَّم لها كنانة بن الربيع (أخو زوجها) بعيراً لتركب عليه ثم أخذ قوسه وكنانته وخرج بها نهاراً وهي في هودج لها فوق البعير.

فعلمت بذلك قريش فخرجوا ليمنعوها من السفر إلى النبي ﷺ وقام رجل اسمه (هبَّار بن الأسود) وضرب بالرمح في هودجها من أجل أن يُروعها ويُخيفها، فأخذ كنانة بن الربيع قوسه ونثر كنانته وقال لهم: والله لا يدنو منها رجلٌ منكم إلا وضعت فيه سهمًا فقتلته فرجع الناس وانصرفوا ثم جاء أبو سفيان وقال له: أيها الرجل كُفَّ عنا تلك السهام فوالله ما أصبت حين خرجت بها أمام الناس في وضح النهار، وقد علمت ما أصابنا في يوم

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٢٦٩٢) كتاب الجهاد، وأحمد (٦/٢٧٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

بدر فيظن الناس أنك تفعل ذلك ذُلاًّ لنا ونحن لا نريد أن نحبسها عن أبيها وما لنا بذلك من حاجة ولكن ارجع بها الآن حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أنَّا قد رددناها فاخرج بها سراً في الظلام... فوافق كنانة بن الربيع وعاد بها فلما حَلَّ الظلام خرج بها حتى أسلمها لزيد بن حارثة وصاحبه فذهبا بها إلى رسول الله ﷺ.

وأقام أبو العاص بمكة، وأقامت زينب عند رسول الله ﷺ بالمدينة؛ حين فرق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قُبيل الفتح، خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام، وكان رجلاً مأمونًا، بمال له وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقته سرية لرسول الله ﷺ، فأصابوا ما معه، وهرب منهم فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ، فاستجار بها، فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح فكبَّر وكبر الناس معه، صرخت زينب من صُفَّة النساء: أيها الناس إني قد أجرتُ أبا العاص بن الربيع، قال: فلما سلَّم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: «أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم، قال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمتُ بشيء من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتم» ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته، فقال: «أي بُنية، أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له».

ثم أرسل النبي ﷺ إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: «إن هذا الرجل منا حيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تُحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك وإن أبيتم فهو فيءُ الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به»؛ فقالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه، فردُّوه عليه. فلما ردوا عليه ماله كله ذهب به إلى مكة وأدَّى إلى كل ذي مالٍ من قريش حقه ثم قال لهم: يا

معشر قريش هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيرًا! فقد وجدناك وفيًا كريمًا؛ قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعنى من الإسلام إلا أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغتُ منها أسلمتُ ثم خرج حتى قَدِمَ على رسول الله ﷺ[1].

فلما جاء إلى النبى ﷺ مُسلمًا فرح به النبى ﷺ فرحًا شديداً وردَّ عليه زوجته زينب وأثنى عليه قائلاً: «حدثنى أبو العاص فصدقنى ووعدنى فوفَّى لى»[2].

وهكذا تكون الأمانة، وهكذا يكون الوفاء بالوعد... وهكذا تكون مراقبة الله عز وجل. فلقد ضرب أبو العاص رضي الله عنه المثل فى الوفاء والأمانة وكل ذلك ثمرة من ثمرات مراقبة الله عز وجل.

* رضى الله عن أبى العاص بن الربيع وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

* * *

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٢٣٧) وإسناده صحيح، والبيهقى فى الدلائل (٤/ ٨٥).
(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٧٢٩) كتاب فضائل الصحابة.

زيد بن حارثة رضي الله عنه



زيد بن حارثة رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع صحابي جليل أحبه النبي ﷺ من أعماق قلبه وما أحب النبي ﷺ إلا طيبًا.

بل سمَّاه الله عز وجل في كتابه ولم يُسمِّ أحدًا في كتابه غيره.

إنه الصحابي الذي قال له النبي ﷺ: «يا زيد أنت مولاي ومني وإليَّ وأحب القوم إليَّ».

إنه زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي كان الصحابة يسمونه بحِب رسول الله ﷺ.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

زيد يباع في سوق عكاظ

وتعالوا بنا لنبدأ قصة هذا الصحابي الجليل.

كان زيد بن حارثة يعيش في سعادة وهناء مع أمه سُعدى بنت ثعلبة ومع أبيه حارثة بن شُرحبيل.

وفي يوم من الأيام أخذته أمه في زيارة لبعض أقاربه فأغارت عليهم مجموعة من قُطَّاع الطرق وأخذوا زيد بن حارثة وهو يومئذ غلامٌ صغير وذهبوا به إلى سوق عكاظ وعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام وأعطاه لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

فلما تزوجها النبي ﷺ ورأت حب النبي ﷺ لزيد بن حارثة وهبته له وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ.

وظل حارثة والد زيد يبكي هو وأم زيد بكاءً مريراً على فقد ولدهما زيد... وأخذا يبحثان عنه في كل مكان ولكن دون جدوى.

زيد يختار النبي ﷺ على أبيه وأمه

وفي يوم من الأيام حجَّ أناس من قبيلة زيد بن حارثة فرأوه في مكة وعادوا ليخبروا والده بذلك الخبر السار.

فما كان من والده حارثة إلا أن أخذ أخاه كعب بن شرحبيل (عم زيد) وأخذ مالاً كثيراً ليفدي ابنه وذهبا إلى مكة فلما وصلا مكة سألا عن النبي ﷺ فقيل لهم: إنه في المسجد فدخلا عليه وقالا له: يا محمد يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه لقد جئنا إليك من أجل أن نفدي ابننا بالمال وسنعطيك كل ما تريد.

فقال النبي ﷺ: «من هو ابنكم؟».

قالوا: زيد بن حارثة.

فقال لهم: ألا أخبركم بأفضل من ذلك؟.

قالوا: ما هو؟

قال ﷺ: «ادعوه وخيِّروه فإن اختاركم فهو لكم بغير مال ولا فداء وإن اختارني فو الله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً».

فقالوا له: لقد أحسنت إلينا وأنصفت.

فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء؟» قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي.

قال ﷺ: «فأنا مَن قد علمت، ورأيت محبتي لك فاخترني أو اخترهما».

فقال زيد: ما أنا بالذي اختار عليك أحداً. أنت مني بمنزلة الأب والعم.

فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك، وأهل بيتك؟ قال: نعم، إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً.

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحِجْر فقال: يا من حضر اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا.

زواجه من زينب بنت جحش

لما أعتق النبي ﷺ زيد بن حارثة فأصبح زيدٌ مولى رسول الله ﷺ فأراد النبي ﷺ أن يُكرمه أكثر وأكثر وذلك بأن يُزوجه من فتاة حرة حسيبة نسيبة.

وأراد النبي ﷺ أن يُحطم الفوارق الطبقية حتى يشعر الناس جميعًا أنه لا فضل لأحدٍ على أحد إلا بالتقوى.

ولذلك قرر النبي ﷺ أن يُزوج زيد بن حارثة من ابنة عمته زينب بنت جحش الحسيبة النسيبة الجميلة التي يتمناها كل حسيب ونسيب في أرض الجزيرة فرفضت زينب في بداية الأمر أن تتزوج من زيد بن حارثة لأنه مولى من الموالي، فلما نزل قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[1]، قالت: يا رسول الله أترضاه لي زوجًا؟

قال: «نعم».

قالت: إذن لا أعصي رسول الله ﷺ قد رضيته لنفسي.

وساق زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى بني جحش عشرة دنانير وستين درهمًا، ودرعًا، وخمارًا، وملحفة وإزارًا، وخمسين مدًا من الطعام، وعشرة أمداد من التمر، أعطاه ذلك كله الحبيب المصطفى ﷺ.

واستمرت الحياة الزوجية بينهما قُرابة سنة ثم بدأت الخلافات الزوجية

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

تنشأ بينهما مما جعل هذا الزواج يخلو من المحبة والصفاء والمودة.

وكان زيد يشكوها للحبيب ﷺ فكان يقول له: «أمسك عليك زوجك واتق الله» فكان ﷺ ينصحه بإمساكها ولكن الله يريد خلاف ذلك «والله غالبٌ على أمره» فالله عز وجل يريد أن تكون زينب زوجة للحبيب ﷺ ليُبطل عادة التبني، وازدادت الفجوة بين زيد وزينب ﵂ يومًا بعد يوم حتى وصلت الحياة بينهما إلى طريق مسدود فكان لابد من الطلاق فجاء أمر الله عز وجل فأذن بطلاقها وأمر رسول الله ﷺ بزواجها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[1].

وهكذا أصبحت أم المؤمنين

فلما طلق زيدٌ زينب ﵂ وانقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ لتنال أعظم منقبة في الكون كله فتكون زوجة لسيد الأولين والآخرين ﷺ ولتكون أمًّا للمؤمنين.

في صحبة النبي ﷺ إلى الطائف

* وتمضي الدعوة إلى الله عز وجل، ورسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام والدين الحنيف، فيقبل من يقبل، ويُعرض مَن يُعرض، إلى أن كان العام العاشر من البعثة، وفيه توفي أبو طالب وخديجة، وأخذ المشركون ينالون من رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف ومعه

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٧).

مولاه زيد بن حارثة، فأقام مدة يدعو بنى ثقيف إلى سبيل الله عز وجل فلم يجد من أشرافهم آذانًا صاغية، ولا قلوبًا واعية يفقهون بها أو يعقلون.

* ولم يكتف هؤلاء بأن أعرضوا وعَمُوا وصَمُّوا عن الحق، والهدى، والخير، وإنما أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسُبُّونه، ويرمونه بالحجارة حتى دَمَتْ عقباه، وزيد بن حارثة يدرأ عنه، ويدفع حتى أصيب فى وجهه بجراح، وما زالوا بهما حتى دخلا بستانًا لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه، وعندها رجع سفهاء بنى ثقيف ومن كان يتبعه.

* وجلس رسولُ الله ﷺ وزيدُ بن حارثة تحت ظل شجرة من عنب.

هنالك توجه رسول الله ﷺ إلى ربه يتضرع، ويدعو دعاءً يفيضُ إيمانًا، ويسيل يقينًا، وينضح بالرضا بما ناله فى سبيل الله عز وجل فقال[1]:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين! أنت رب المستضعفين وأنت ربى؛ إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؛ أم إلى عدوٍّ ملَّكته أمرى؟ إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسعُ لى. أعوذُ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تُنزل بى غضبك، أو يحلَّ علىَّ سخطك لك العُتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله».

* وبعد ذلك عادَ رسولُ الله ﷺ، ومولاه زيد إلى مكة المكرمة، إلى أن أذن الله عز وجل لعباده المؤمنين بالهجرة إلى المدينة فهاجروا وهنالك استقر زيدٌ مع المؤمنين الأبرار، ليغدو أحد فرسان مدرسة النبوة النجباء؛ الذين خُلِّدوا مع الخالدين فى دنيا الخلود.

* * *

---

(١) فرسان من عصر النبوة (ص: ١٣٧).

هجرته وجهاده في سبيل الله تعالى

* اشتد أذى كفار قريش على المسلمين في مكة المكرمة؛ فأذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة؛ وما لبث زيد أن كان في طليعة المهاجرين، وفي المدينة المنورة عندما كان الرسول يؤاخي بين المسلمين، آخى بين زيد بن حارثة وبين عمه حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وعندما استشهد حمزة رضي الله عنه، آخى النبي ﷺ بين زيد وبين أحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة أُسيد بن حضير رضي الله عنه ذلك الرجل الذي قال عنه الرسول ﷺ: «نعم الرجل أُسيد بن حضير»[1].

* بدأ زيد رضي الله عنه عمله في المدينة بإخلاص متزايد، واستمر حِبُّ رسول الله ﷺ في خدمة النبي؛ أما في الغزوات، فكان مثال الجندي المخلص، والمحارب الشجاع وعندما انتصر المسلمون في غزوة بدر، أرسل النبي زيداً على ناقته القصواء ليبشر أهل المدينة بنصر المسلمين وسلامتهم، وكان معه في زَفِّ البشارة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

* بلغ زيد منزلة عظيمة عند المسلمين، وكانت عظمة منزلته مستمدة من احترام الرسول له، وقد بلغ من تقدير النبي لزيد أن استخلفه عليه الصلاة والسلام مرتين على المدينة؛ وأرسله أميراً على عدد من السرايا، كان أولها سريته التي خرج فيها إلى القَرَدة، وكان موفقًا فيها حيث استولى على عير قريش وأموالهم[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح: رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١٦٧)، والترمذي (٣٧٩٥)، وقال: حسن. وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٤٢) والحاكم (٣/ ٢٥٩)، والنسائي (٥/ ٦٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٧٧٠).

(٢) رجال مبشرون بالجنة (ص: ٣٣٦).

أوسمة وضعها النبي ﷺ على صدر زيد

لقد امتلأ قلب النبي ﷺ حبًا لزيد بن حارثة حتى كان الصحابة رضي الله عنهم يلقبونه بزيد الحِب.

وها هو الحبيب ﷺ يقول له: «يا زيد أنت مولاي ومني وإليَّ وأحب القوم إليَّ»[(1)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «بعث النبي ﷺ بعثًا، وأمّر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقًا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده»[(2)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمّره عليهم، وإن بقي بعده استخلفه[(3)].

وعن سلمة بن الأكوع قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات ومع زيد بن حارثة تسع غزوات يؤمره رسول الله ﷺ علينا[(4)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: فرض عمر لأسامة بن زيد أكثر مما فرض لي، فكلمته في ذلك، فقال: إنه كان أحب إلى رسول الله منك، وإن أباه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك[(5)].

---

(1) أخرجه أحمد (٥/ ٢٠٤) مطولاً، وابن سعد (٣/ ١/ ٢٩-٣٠) ورجاله ثقات وصححه الحاكم (٣/ ٢١٧) ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ في الإصابة (٤/ ٥٠).

(2) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٣٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٢٦) كتاب فضائل الصحابة.

(3) رواه أحمد (٦/ ٢٥٤) والحاكم (٣/ ٢١٥) وقال العدوي في فضائل الصحابة: وسنده حسن.

(4) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٣) والحاكم (٣/ ٢١٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: هو في البخاري في الثلاثيات.

(5) ذكره الحافظ في الإصابة (٤/ ٥٠) وقال: صحيح.

بل ها هو الحبيب ﷺ يقول: «دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابة فقلت: لمن أنت؟ قالت: لزيد بن حارثة»[1].

فراق الحبيب عن حبيبه ﷺ

وعاش زيد ملازمًا للحبيب ﷺ ينهل من علمه وأخلاقه وهديه حتى أصبح زاهدًا عابدًا ورعًا.. ولكن دوام الحال من المحال فها هو الموت يأتي ليفرق بين الحبيب وحبيبه... إنه هادم اللذات ومفرق الجماعات.

ففي السنة الثامنة كانت أحداث غزوة مؤتة التي استُشهد فيها زيد بن حارثة ﵁ بعد حياة طويلة قضاها مع حبيبه ﷺ.

عن عروة بن الزبير قال: بعث النبي ﷺ بعثًا إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة فقال لهم: إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس، فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف.

* ثم مضوا حتى نزلوا بمكان يُسمى (معان) من أرض الشام فبلغهم أن هرقل قد جاء إليهم بمائة ألف من الروم وانضم إليهم مائة ألف من المستعربة فلما علم المسلمون بذلك لم يكن أمامهم إلا ثلاثة اختيارات: إما أن يرجعوا وإما أن يطلبوا من رسول الله ﷺ أن يُرسل إليهم مَددًا من الرجال وإما أن يقاتلوا حتى ينتصروا أو يموتوا شهداء فقام عبد الله بن رواحة وقال لهم: يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون (الشهادة) وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحُسنيين: إما ظهور وإما شهادة.

---

(١) صحيح: أخرجه ابن عساكر (١٩/ ٣٧١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٦٦).

ثم التقى النــاس واقتتلوا فـقاتل زيد بن حارثـة براية رسول الله ﷺ حتى شاط فى رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقـراء فعقرها فقاتل القوم حتى قُـتل، وكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام(١).

* وفى تلك اللحظات كـان النبى ﷺ فى المدينة يصف لأصحـابه ما يحدث فى أرض المعركـة فقال ﷺ : «أخذ الراية زيد فـأُصيب ثم أخذ جعـفر فأُصيب ثم أخذ ابـن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سـيوف الله حتى فتح الله عليهم»(٢).

وهكذا كان هذا اليوم موعـداً لفراق الحبيب عن حبيبـه إلى أن يلتقيا فى جنة الرحمن التى فيها مـا لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* وهكذا رحل زيد بـن حـارثة حِب رسـول اللـه ﷺ لكن لم ولن ترحل سيرته العطرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

* رضى الله عن زيد بن حارثة وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.



---

(١) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله ثقات إلى عروة مجمع الزوائد (٦/ ١٠٧- ١٠٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦٢) كتاب المغازى.

عمرو بن الجموح رضي الله عنه

عمرو بن الجموح رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعد مع عَلَم من أعلام الصحابة الذين ملأوا الدنيا طاعة وزهداً وورعًا وشجاعة وبذلاً وعطاءً.

إنه الصحابى الجليل عمرو بن الجموح رضي الله عنه الذى كان أعرج شديد العرج فتمنَّى أن يدخل الجنة بعرجته فرآه النبى ﷺ فى الجنة يمشى فيها برجله العرجاء وهى صحيحة سليمة.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

قصة إسلامه

ولقد كانت قصة إسلام عمرو بن الجموح جميلة ومشوقة فقد كان عمرو ابن الجموح يعيش زمانًا طويلاً على الشرك وكان يعبد صنمًا اسمه (مناف) وكان يحبه حبًا جمًا ولذا كان يعتنى به أشد العناية فيأتى إليه بأطيب أنواع العطور ويُعطره بها وكان لا يفعل أى شىء حتى يدخل على ذلك الصنم ويسجد له ويستشيره فيما يزعم فإن أذِن له ذلك الصنم فعل ذلك الشىء وإن لم يأذن له تركه ولم يفعله.

* وفى يوم من الأيام أرسل النبى ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه كأول سفير للدعوة فى المدينة المنورة وكان ذلك بعد بيعة العقبة الأولى. فلما ذهب مصعب إلى المدينة (يثرب) أخذ يدعو الناس إلى الإسلام بكل رحمة ورفق وحنان فاستجاب له عددٌ كبير من أهل يثرب وأسلموا لله جل وعلا. . . وكان من بين الذين أسلموا على يديه معاذ بن عمرو بن الجموح.

* وعلم عمرو بخبر إسلام ولده فغضب لذلك أشد الغضب وازداد غضبًا لما علم أن أكثر أهل يثرب قد أسلموا وتركوا دين الآباء والأجداد... وكان على رأسهم سعد بن معاذ وقبيلته كلها وأسيد بن الحُضير... بل لقد علم أن صديقه وحبيبه عبد الله بن عمرو بن حرام قد أسلم ودخل دين محمد ﷺ... وقد شهد عبد الله بن عمرو بن حرام ومعاذ بن عمرو بن الجموح بيعة العقبة وبايعا رسول الله ﷺ.

عند ذلك بعث عمرو بن الجموح لمصعب بن عمير ليقول له: ما هذا الذي جئتمونا به؟

فقال له مصعب: إن شئت جئناك فأسمعناك القرآن.

قال عمرو: نعم.

فذهب إليه مصعب وجلس معه وكان عمرو في قمة غضبه لكن مصعب كان حليمًا صبورًا فتحمل منه كل شيء وقرأ عليه صدرًا من سورة يوسف فلما سمعها منه عمرو أحس بشيء من الارتياح.

فقال له: إن لنا مشاورة في قومي فانتظرني وكان عمرو بن الجموح سيد بني سلمة.. فعاد عمرو إلى صنمه وسجد أمامه وقال له: يا مناف تعلم والله ما يريد القوم غيرك فهل عندك من نكير؟ يعني: هل تستطيع أن تُنكر عليهم ما يفعلونه أو ترفض ما يحدث من هؤلاء القوم؟

وفي ظلام الليل اجتمع مجموعة من الشباب الذين أسلموا في بني سلمة وكان على رأسهم معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل وغيرهما فأخذوا الصنم (مناف) وطرحوه في بئر كان بنو سلمة يُلقون فيها النجاسات والقاذورات.

فلما أصبح عمرو بن الجموح لم يجد صنمه (مناف) فقال: ويلكم من الذي اعتدى على إلهنا هذه الليلة... وذهب يبحث عنه في كل مكان حتى

وجده في تلك البئر النجسة فأخذه وغسله وطهره ووضع عليه العطور ثم قال: والله لو أعلم من الذي فعل بك هذا لأقتلنَّه. فلما أمسى ونام عمرو جاء الشباب مرة أخرى وخطفوا الصنم ووضعوه في تلك البئر النجسة.

فلما أصبح عمرو لم يجد إلهه الذي يعبده (الصنم) فذهب يبحث عنه في كل مكان حتى وجده في نفس البئر فأخذه وغسله وطهره ووضع عليه العطور ثم قال: والله لو أعلم من الذي فعل بك هذا لأقتلنَّه.

وظل الشباب يفعلون به ذلك كل ليلة فلما أكثروا عليه جاء عمرو بسيفه ووضعه في رقبة ذلك الصنم وقال: لو كنت إلهًا حقًا فادفع عن نفسك فها هو السيف معك.

فلما أمسى ونام عمرو جاء الشباب وأخذوا الصنم وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبًا ميتًا وربطوه في رقبة الصنم ثم ألقوه في بئر النجاسات.

فلما أصبح عمرو ولم يجد صنمه ذهب فوجده في بئر النجاسات ووجده مربوطًا بكلبٍ ميت بدل السيف الذي كان في رقبته.

فأيقن أن ذلك الصنم حجر لا ينفع ولا يضر ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه فكيف يدافع عن غيره... فنظر عمرو إلى أهله وأولاده وقال لهم: ألستم على ما أنا عليه؟.

قالوا: بلى فأنت سيدنا.

فقال عمرو: فإني أشهدكم أني قد آمنت بما أُنزل على محمد ﷺ.

وهكذا أسلم عمرو وأعلن التوحيد لله جل وعلا.

ومنذ هذه اللحظة أصبح عمرو بن الجموح واحدًا من الصحابة الذين باعوا أنفسهم لله منذ أن عرف طريق الهداية فقد خلع ثوب الجاهلية وارتدى ثوب الإسلام وظل يشكر ربه جل وعلا على نعمة الهداية فقد أخرجه الله من الظلمات إلى النور وأنقذه من الشرك والضلال وأنعم عليه بنعمة التوحيد والإيمان.

استدراك ما فات

وعاش عمرو رضي الله عنه أسعد أيامه في ظل هذا الدين العظيم وفي صحبة الحبيب ﷺ الذي أحبه من أعماق قلبه حبًا جمًا.

وكانت نفسه قد اشتاقت إلى الجهاد في سبيل الله والشهادة في سبيله ليكفِّر الله عنه ما أسلف من الذنوب والسيئات وذلك لأنه أسلم وكان عمره قد تجاوز الستين.

فلما كانت غزوة بدر أراد عمرو أن يخوضها فمنعه أولاده خوفًا عليه لكبر سنه وضعفه فتألم لذلك ألمًا شديدًا.

ابنه يقتل فرعون هذه الأمة

وفي تلك الغزوة سطَّر ابنه (معاذ بن عمرو) صفحة مضيئة على جبين التاريخ عندما شارك في قتل أبي جهل.

يقول معاذ: «جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني فلما أمكنني حملتُ عليه فضربته، فقطعت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل على عاتقي، فطرح يدي وبقيت مُعلَّقة بجلدة بجنبي وأجهضني عنها القتال، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها»[1].

وانطلقت سيوف المسلمين تحزّ في الأعناق وتبتر الأيدي، وتُبعثر الأشلاء وقد ألقى الله تعالى الرعب في قلوب المشركين ولم تمضِ ساعات قليلة حتى تحقق النصر للمسلمين، وعادوا وبشاراتُ النصر قد سبقتهم إلى المدينة، ونادى أن قُتل أبو جهل وقُتل معه عدد من كفار قريش وفرسانهم، واستطار فؤاد عمرو بن الجموح فرحًا بصنيع ولده معاذ وقَتْله أبا جهل وحمد الله

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٥٠- ٢٥١) وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

الذي جعل أولاده يكسبون شرف الجهاد وغايته(١).

* وظل عمرو بن الجموح ملازمًا للحبيب ﷺ ليتعلم من أخلاقه ومعاملاته وسلوكياته حتى أصبح يقتدي بالنبي ﷺ في كل شيء فأحبه النبي ﷺ حبًا جمًا.

النبي ﷺ يزكيه بين قومه

لقد كان عمرو رضي الله عنه مفطورًا على الجود والكرم والسخاء وعلى الرغم من ذلك فإنه لما أسلم وخالط الإيمان شغاف قلبه زاد جوده وكرمه فجعل ماله وولده في خدمة دينه وإخوانه.

وها هو الحبيب ﷺ يوضح ويبين منزلة عمرو بن الجموح بين قومه وعشيرته، ويضع وسام الشرف على صدره من بين الناس أجمعين.

فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا بني سلمة! مَن سيدكم؟» قالوا: الجدُّ بن قيس، وإنا لنُبخِّله - نتهمه بالبُخل - قال: «وأي داء أدوى من البُخل؟ بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح»(٢).

وحان وقت الرحيل

* استدار عام كامل، فخرجت قريش إلى أُحد وقد جمعت جموعها لمعركة الانتقام والثأر من المسلمين في بدر فأعدّت عزائمها وأحقادها وسلاحها، وزحفت بذلك جميعه نحو أُحد تريد القضاء على الإسلام في عُقر داره.

وتمضي الأيام مسرعة وما زال عمرو تهفو نفسه ويشتاق قلبه إلى الفوز بالشهادة في سبيل الله على الرغم من أن الله قد عذره من فوق سبع سموات.

---

(١) رجال مبشرون بالجنة (ص ٣٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد (٢٢٧).

لقد كان رضي الله عنه أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله ﷺ، فلما توجهوا إلى أحد أراد أن يخرج معهم فقال له بنوه: إن الله جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد فأتى عمرو إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بَنِيّ هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك، ووالله إني لأرجو أن أستشهد، فأطأ بعرجتي في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد»، وقال لبنيه: «وما عليكم أن تدعوه، لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة» فخرج مع رسول الله ﷺ قالت امرأته هند أخت عبد الله بن عمرو بن حرام: لقد أخذ دَرَقته وهو يقول: اللهم لا تردَّني.

هكذا كان يتمنى الشهادة من كل قلبه ولا يتمنى أن يرجع سالمًا غانمًا فقد علم أن الغنيمة التي لا ينبغي أن تفوته أبدًا هي الفوز بالشهادة ومن ثَمّ الخلود في جنة الرحمن جل وعلا فلما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين» فقام وهو أعرج فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قاتلتُ في سبيل الله حتى أُقتل، أأمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ - وكانت رجله عرجاء -، فقال رسول الله ﷺ: «نعم». فقُتل يوم أحد هو وابن أخيه ومولى له. فمرَّ رسول الله ﷺ فقال: «كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة»[1].

* وكان عمرو بن الجموح هو وعبد الله بن عمرو بن حرام متصافيين ومتآخيين في الدنيا فلما أراد النبي ﷺ دفن شهداء أُحد كان يجمع الاثنين والثلاثة في القبر الواحد.. فلما أراد أن يدفن عمرو بن الجموح قال: «انظروا إلى عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد»[2].

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٩٩) وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/١٦٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز (ص ١٤٦).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٩٩) وابن سعد (٢/ ٥٦٢) وذكره ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٥٦، ٢٥٧) وعزاه إلى أحمد في مسنده بإسناد حسن.

كرامة ثابتة لعمرو بعد موته

وفي أيام خلافة معاوية ﷺ كان السيل قد خرّب قبر عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حَرام ﷺ فأمر بحفر قبرهما من أجل أن يغيرهما من مكانهما . . . فلما تم حفر القبر وجدوهما لم يتغيرا وكأنهما قد ماتا بالأمس وكان أحدهما قد جُرح فوضع يده على جُرحه قبل أن يموت فلما أخرجوه من القبر وأزاحوا يده عن جُرحه فأعادها كما كانت وهو ميت . . . وكان بين يوم أُحد ويوم حُفر عنهما القبر ستٌّ وأربعون سنة .

وهكذا رحل الشهيد عن دنيانا ليمشي برجله في الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

* رضي الله عن عمرو بن الجموح وجمعنا به في الفردوس الأعلى .

* * *



جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه



جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابي الجليل الذي ملأ الدنيا زهدًا وورعًا وجودًا وكرمًا وطاعة وجهادًا في سبيل الله جل وعلا.

نحن على موعد مع الرجل الذي أشبه خَلْقُه وخُلُقُه خَلْقَ وخُلُقَ رسول الله ﷺ... إنه الرجل الذي كان المساكين يفرحون برؤيته لرحمته بهم وعطفه عليهم... إنه الرجل الذي يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين... إنه صاحب النسب الكريم... إنه ابن عم رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب.

يا لها من صفحة تُبهر العقول وتُحير الألباب.

إنها صفحة صدق نعيشها مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

إنه السيد الشهيد، الكبير الشأن علم المجاهدين أبو عبد الله، ابن عم رسول الله ﷺ أخو علي بن أبي طالب.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

قصة إسلامه

كان النبي ﷺ بعد موت جده عبد المطلب في كفالة عمه أبي طالب وكان أبو طالب فقيرًا فلما دخل النبي ﷺ بيته دخلت البركة معه إلى بيت عمه أبي طالب.

وتمر الأيام ويكبر النبي ﷺ فأراد النبي ﷺ أن يخفف الحمل عن عمه أبي طالب وأن يرد شيئًا من جميله فأخذ علي بن أبي طالب وجعله في كفالته، وأما جعفر بن أبي طالب فقد وقع في كفالة عمه العباس بن عبد المطلب.

* ولما بُعث النبي ﷺ ونزل عليه الوحي دعا أهله وأصحابه فأسلم كثير منهم وكان من بين مَن أسلم صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

فلما أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه علم أن الإسلام أمانة عظيمة فخرج من عند النبي ﷺ داعيًا إلى الله جل وعلا يدعو الناس جميعًا إلى جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فكان من جملة من أسلموا على يديه جعفر بن أبي طالب وزوجه أسماء بنت عُميس وكان إسلامهما مبكرًا قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم.

ولما أسلم جعفر وزوجه مبكرًا علمت قريش بخبر إسلامهما فلقي جعفر وزوجه من أذى قريش ونكالها ما لا يعلمه إلا الله، ولكنهما صبرا على الأذى والابتلاء؛ لأنهما يعلمان أن البلاء سُنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير وأن طريق الجنة محفوف بالمكاره وما هي إلا ساعات معدودة ثم يَجْبُر الله لهما كل كسرٍ في جنته ومستقر رحمته.

ففروا إلى الله

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يُصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه»[1] فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها دارًا وقرارًا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين

(١) صحيح: أخرجه البيهقي في «السنن» (٩/ ٩) وفي «الدلائل» (٢/ ٣٠١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣١٩٠).

من قريش إلى النجاشى، فيردهم عليهم، ليفتنوهم فى دينهم، ويُخرجوهم من دارهم التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها؛ فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته[1].

لقاؤه مع النجاشى

لما ذهب عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة بالهدايا والجلود إلى النجاشى وقواده وكان عمرو بن العاص مازال مشركًا هو وعبد الله بن أبى ربيعة فاستطاع عمرو بذكائه أن يجذب البطارقة وأن يجعلهم فى صفه حتى يكلموا النجاشى فى أن يُسلمهم المسلمين الذين هاجروا إليه ليعود بهم إلى مكة ليعذبوهم ويفتنوهم فى دينهم.

فحدد البطارقة موعداً لعمرو مع النجاشى فدخل عمرو وعبد الله على النجاشى ورحَّب بهم.

فقال له عمرو: أيها الملك إنه قد جاء إلى بلادك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلِمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النجاشى غضبًا شديدًا وقال: لا والله لا أُسلم قومًا جاورونى ونزلوا بلادى، واختارونى على مَن سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاورونى.

(١) السيرة لابن هشام (١/ ٢٧٥) والبطارقة: جمع بطريق وهو القائد أو الحاذق فى الحرب.

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم.

فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنًا فى ذلك ما هو كائن... فلما جاءوا وقد دعا النجاشى أساقفته[1] فنشروا مصاحفهم حوله.

سألهم النجاشى فقال لهم: ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به فى دينى، ولا فى دين أحد من هذه الملل؟

فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب رضوان الله عليه.

فقال له: أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية؛ نعبدُ الأصنام، ونأكلُ الميتة؛ ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام ونسئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف؛ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نَسَبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنُوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسن الجوار، والكَفّ عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات... وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

فعدد عليه أمور الإسلام.... فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا، فعذبونا وافتتنونا على ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا

(١) الأساقفة: هم علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم.

أن لا نُظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

قال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ، . . . فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1].

فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أُسلمهم إليكما، ولا يكادون.

فأخذ عمرو بن العاص يفكر فى مكيدة أخرى يستطيع من خلالها أن يرد المسلمين إلى مكة.

فذهب فى اليوم التالى إلى النجاشى وقال له: أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

فأرسل إليهم؛ ليسألهم عنه فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟.

قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبينا كائنًا فى ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم؟

فقال جعفر بن أبى طالب: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ يقول: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النجاشى بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود.

ثم قال النجاشي للصحابة: اذهبوا فأنتم آمنون فى أرضى وبلادى.

---

(١) سورة مريم: الآية: (١).

فعاش المسلمون فى أمنٍ وأمان فى بلاد الحبشة فى ظل هذا الملك العادل الذى وصفه النبى ﷺ بأنه لا يُظلم عنده أحد.

* وهكذا استطاع جعفر بن أبى طالب أن يكون سببًا فى بقاء المسلمين آمنين فى بلاد الحبشة... بل كان بعد ذلك سببًا فى إسلام النجاشى ملك الحبشة وإسلام عدد كبير من أهل الحبشة.

غدًا نلقى الأحبة

وبعد أن مكث (جعفر وزوجه) عشر سنوات فى رحاب النجاشى آمنين مطمئنين يرفلون فى حُلل السعادة ويعبدون الله بلا قيود ولا مؤامرات تُدبَّر لهم بالليل والنهار، ولا عذاب يُسلَّط عليهم من كفار قريش عاد مرة أخرى إلى المدينة وأقدامه تسابق الريح من أجل رؤية الحبيب ﷺ الذى طال والله شوقه إليه، وما إن وصل حتى كان النبى ﷺ عائدًا من فتح خيبر.

فعن الشعبى: أن جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه قَدِم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، فقبَّل رسول الله ﷺ بين عينيه، والتزمه وقال: ما أدرى بأيهما أنا أسرُّ: «بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟»[1].

فرحة المساكين بقدوم جعفر

ولم تكن فرحة المساكين بقدوم جعفر رضي الله عنه بأقل من فرحة رسول الله ﷺ بقدومه.

فلقد كان جعفر من أرحم الناس بالفقراء والمساكين.

ولقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول عن جعفر: كان أخير الناس للمساكين

---

(١) حسن: أخرجه البيهقى فى «السنن» (٧ / ١٠١) و«شعب الإيمان» (٦ / ٤٧٧ / ٨٩٦٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى تخريج فقه السيرة (ص٣٤٧).

جعفر بن أبي طالب: كان يتقلبُ بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكّة التي ليس فيها شيء فيشقها فنلعق ما فيها[١].

وحان وقت الرحيل

وركب رسول الله ﷺ إلى مكة حيث اعتمروا عمرة القضاء وعادوا إلى المدينة وفي الطريق سمع جعفر من إخوانه الذين خاضوا مع النبي ﷺ غزوة بدر وأُحد وغيرهما من المشاهد الكثير والكثير مما جعله يتلهف شوقًا للجهاد في سبيل الله وللفوز بالشهادة.

ولم يَطُل انتظاره فقد بعث رسول الله ﷺ سرية إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال ﷺ: «إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس»[٢].

المفاجأة الكبرى

لقد خرج الجيش المسلم... وخرج رسول الله ﷺ يودعهم ويدعو لهم.

* ومضى الجيش في طريقه حتى وصلوا إلى مكان في أرض الشام يُسمى (معان) وهنا بدأوا في جمع المعلومات عن الجيش الذي سيقابلوه.

وإذا بالمفاجأة الكبرى في انتظارهم... فقد علموا أن الجيش قد بلغ مائتي ألف... في حين أن عدد المسلمين ثلاثة آلاف رجل.

فأصبحوا بين ثلاثة حلول: إما أن يرجعوا وإما أن يطلبوا من رسول الله ﷺ أن يرسل لهم مددًا من الرجال وإما أن يدخلوا فيقاتلوا... وظلوا

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٧٠٨) كتاب المناقب.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٢٦١) كتاب المغازي.

لمدة يومين ينظرون في أمرهم.

فقام عبد الله بن رواحة وقال لهم هذه الكلمات التي كانت سببًا في ثباتهم: قال لهم: يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون (الشهادة)، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة.

* وكان لهذه الكلمة الملتهبة أثرها، فاختفت من صفوف المسلمين مشاعر التردد، وقرروا القتال، مهما كانت النتائج.

وبدأ القتال

وهناك في مؤتة التقى الفريقان وبدأ القتال المرير، . . . ثلاثة آلاف رجل يواجهون هجمات مائتي ألف مقاتل . . . معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا هبت ريح الإيمان جاءت بالعجائب.

أخذ الراية زيد بن حارثة حِبُّ رسول الله ﷺ وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة لا يوجد لها نظير إلا في أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاتل حتى شاط في رماح القوم، وخرَّ صريعًا.

وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها.

ثم قاتل القوم وهو يقول:

يا حبَّذا الجنة واقترابها
طيبة وباردٌ شرابها
والروم رومٌ قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
عليَّ إذ لاقيتها ضرابها

ثم قاتل حتى قُطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قُطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعًا إياها حتى قُتل.

يقال: إن روميًا ضربه ضربة قطعته نصفين وأثابه الله بجناحيه جناحين في الجنة، يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سُمِّي بجعفر الطيار، وبجعفر ذي الجناحين[1].

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر ابن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية[2].

ولقد نعى النبي ﷺ القادة الثلاثة لأصحابه وبشَّرهم بشهادتهم في سبيل الله.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب - وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان - ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففُتح له»[3].

وها هو يطير بجناحيه في الجنة مع الملائكة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة وإذا حمزة متكئ على سرير»[4].

(١) صحيح: رواه البخاري (٩/ ٣٧) كتاب المناقب عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين، وقد صح مرفوعًا إثبات الجناحين لجعفر انظر فتح الباري (٧/ ٧٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٢٦١) كتاب المغازي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٢٤٦) كتاب الجنائز والنسائي (٤/ ٢٦).

(٤) صحيح: رواه الطبراني (٢/ ١٠٧)، والحاكم (٣/ ٢١٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٥٨).

وكان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال: «السلام عليك يا ابن ذي الجناحين»[١].

قال ابن كثير: لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين في الجنة[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جعفر بن أبي طالب ملكًا يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين»[٣].

حزن النبي ﷺ على جعفر رضي الله عنه

وهنا يذهب الحبيب ﷺ إلى أسماء بنت عُميس زوج جعفر لِيُبلغها خبر استشهاد زوجها... ويا له من مشهد يجعل القلوب تبكي الدماء بدل الدموع.

عن أسماء ابنة عُميس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد دبغتُ وعجنت عجيني، وغسلت بَنِيَّ ودهنتهم ونظفتهم، قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «ائتني ببني جعفر» قالت: فأتيته بهم، فشمَّهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما يُبكيك؟ أبلَغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم، أُصيبوا هذا اليوم» قالت: فقمت أصيح، واجتمعت إليَّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: «لا تُغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا، فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم»[٤].

* وهكذا رحل جعفر بن أبي طالب ولكن لم ولن ترحل سيرته العطرة إلى يوم القيامة.

* رضي الله عن جعفر وجمعنا وإياه في الفردوس الأعلى.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٩ - ٣٧) كتاب المغازي.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٥٦).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٦٣)، كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٤٥٩).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (١٦١١) كتاب ما جاء في الجنائز، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٥١٨).

سعد بن الربيع رضي الله عنه



سعد بن الربيع رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابي الجليل الذي كان يُضرب به المثل في الجود والكرم والإيثار.

إنه الصحابي الذي شم رائحة الجنة وهو في أرض الشرف والجهاد.

إنه الصحابي الذي أرسل النبي ﷺ السلام إليه وهو في الرمق الأخير من حياته.

إنه الصحابي الجليل سعد بن الربيع رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

نشأة مباركة

لقد نشأ سعد في أسرة عريقة فلقد كان والده الربيع بن عمرو من سادات بني الحارث الخزرجيين... وأمه هزيلة بنت عنبة من القبيلة نفسها.

ولما كان اليهود يُعيرون العرب بأنهم أمة أمية.. أرسل الربيع ولده سعداً ليتلقى الكتابة والقراءة.

وأصبح سعد سيداً وتحلى بالأخلاق والآداب التي يتحلى بها رئيس القوم، بل وأصبح جديراً بحب الخزرج واحترامهم.

ولقد امتن الله عليه بعقلٍ سليم ناضج وقلب يحب الخير لكل من حوله، ولذلك كان يبغض الخلافات والحروب التي تدور من حوله.

❊ ❊ ❊

موعد مع السعادة

نحن نعرف أن يثرب (المدينة المنورة) كانت من أهم مدن أرض الجزيرة.. فهي معروفة بزراعة التمر.. وكان العرب يحبون التمر لأنه طعامهم الأساسي ومنه يصنعون الخمر أيضًا.

وكذلك فإن يثرب هي ممر القوافل التجارية لقريش.

* وكان أهل يثرب ينقسمون إلى قبيلتين هما الأوس والخزرج وكان بين القبيلتين نزاعات وحروب طاحنة دامت لسنوات طويلة لأسباب تافهة.. وكان من أشهر تلك الحروب (يوم بُعاث) وهو اليوم الذى قُتل فيه عدد كبير من الأوس والخزرج.

* وكان من مصلحة اليهود الذين يعيشون فى يثرب أن تظل الحروب قائمة بين الأوس والخزرج لأنهم كانوا يتاجرون فى السلاح فكلما هدأت نار الحرب بينهما أشعلها اليهود حتى يستفيدوا من بيع السلاح للطرفين.

* وظلت الحروب دائرة بين الأوس والخزرج لسنوات طويلة حتى استنفذت أموالهم وقتلت رجالهم ويتّمت أطفالهم.. حتى إن بعضهم كان يتمنى أن يجد سبيلاً لوقف هذا النزيف من الدماء والأموال.

* وفى المقابل كان اليهود يخبرون أهل يثرب أن الأرض تتهيأ الآن لاستقبال نبى آخر الزمان... وأنهم - أى اليهود - سيتبعون هذا النبى... وكان اليهود يطمعون فى أن يكون هذا النبى منهم.

وظل اليهود يقولون هذه البشارة لكل الناس حتى انتشر فى ربوع يثرب كلها أن الأرض تتهيأ الآن لاستقبال نبى آخر الزمان.

* وفى موسم الحج من سنة ١١ من النبوة.. يوليو سنة ٦٢٠م خرج النبى ﷺ يدعو الناس إلى دين الله (جل وعلا) ولم يستجب له أحد..

ولكنه لم ييأس أبداً.

وبينما كان النبي ﷺ يبحث عمَّن يكلمه ويدعوه إلى الله وجد ستة من الشباب يحلقون رؤوسهم في مكان يُسمى (العقبة).. وكانوا من عُقلاء يثرب الذين تعبوا من شدة الحروب ومآسيها.

فكانوا مع موعد مع سعادة الدنيا والآخرة.. فقد دخل عليهم النبي ﷺ يكلمهم ويدعوهم ويتلو عليهم القرآن ثم عرض عليهم الإسلام فأسلموا ولم يترددوا لحظة واحدة.

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون والله إنه للنبي الذى توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه، فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام.

وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، وتعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه، فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا(١).

بيعة العقبة الأولى

قد ذكرنا أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا في موسم الحج سنة ١١ من النبوة، وواعدوا رسول الله ﷺ إبلاغ رسالته في قومهم.

وكان من جراء ذلك أن جاء في الموسم التالى موسم الحج سنة ١٢ من النبوة، يوليو سنة ٦٢١م اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق والسادس الذى لم

يحضر هو جابر بن عبد الله بن رئاب وسبعة سواهم.

* وتمت بيعة العقبة الأولى... فقد بايعوا رسول الله ﷺ على ترك الشرك وعبادة الأصنام والبعد عن المعاصي وعلى الإيمان والطاعة... ووعدهم النبي ﷺ بالجنة إن عاشوا على الإيمان والطاعة.

* ثم ودعهم النبي ﷺ بعد أن عاهدهم وعاهدوه على اللقاء في العام التالي.

ثم بعث رسول الله ﷺ معهم مُصعب بن عُمير، وأمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فكان يُسمّى المقرئ بالمدينة: وكان منزله على أسعد بن زرارة.

وقام مصعب رضي الله عنه يحمل أمانة الدعوة إلى الله فاستطاع أن يستميل القلوب وأن يأخذ بأيدي العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة حتى أسلم على يديه سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير وغيرهم من الصادقين رضي الله عنهم وكان من بينهم سعد بن الربيع رضي الله عنه الذي كان على موعد مع سعادة الأبد وخيري الدنيا والآخرة فلقد لامس الإيمان شغاف قلبه.

وما إن أسلم سعد حتى تاقت نفسه إلى لقاء الحبيب ﷺ.

لقاء مع الحبيب ﷺ

وجاءت تلك اللحظة التاريخية التي لن تتكرر أبدًا ألا وهي بيعة العقبة الثانية... وخرج الأنصار لمبايعة رسول الله ﷺ وكان من بين من خرج لمبايعة النبي ﷺ بيعة العقبة الثانية سعد بن الربيع رضي الله عنه الذي كان في أشد شوقه للقاء الحبيب ﷺ ليَنهل من هذا المعين الصافي ما يُثلج صدره وليقبس من هديه وحكمته وأخلاقه العذبة.

وامتدت يده لتصافح الحبيب ﷺ ولتبايعه.

ثم عاد سعد إلى المدينة وقد امتلأ قلبه بالسعادة التى لو قُسِّمت على أهل الأرض لوسعتهم أجمعين.

الهجرة المباركة

ولما اشتد الإيذاء بأصحاب الحبيب ﷺ أذن لهم بالهجرة إلى يثرب (المدينة المنورة).

وخرج المهاجرون إلى يثرب فراراً بدينهم من بطش قريش، فنزلوا فى رحاب إخوانهم من الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان... الذين قال الله عنهم: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

ولما استقر المقام بالحبيب ﷺ فى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار وهنا ظهرت نوادر الإخاء والحب والتضحية بصورة لا يتصورها عقل ولا تخطر ببال أحد من البشر، فكانت تلك الأخوة التى لا تتكرر أبداً عبر العصور والأزمان.

ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

وها هو سعد بن الربيع الذى تعايش مع كل آية من آيات القرآن ومع كل حديث من أحاديث النبي ﷺ يحقق معنى الأخوة كما أرادها الحق جل جلاله.

فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قَدِم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع - وكان كثير المال - فقال سعد: قد علمت الأنصار أنى من أكثرها مالاً سأقسم مالى بينى وبينك نصفين ولى امرأتان

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلّت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك.

ثم ذهب عبد الرحمن بن عوف إلى السوق وأخذ يبيع ويشترى ويتاجر إلى أن أكرمه الله جل وعلا بشيء من المال فذهب وتزوج فتاة من الأنصار فلقيه النبي ﷺ وقال له: «هل تزوجت؟» قال: نعم يا رسول الله. فقال له: «ما سُقت لها؟» أي: كم قدمت مهراً لها.

فقال له: وزن نواة من ذهب.

فقال له النبي: «أولِم ولو بشاة وأطعِم إخوانك»[١].

فانظر عندما تعفف عبد الرحمن بن عوف ورفض العطاء الذي عرضه عليه سعد بن الربيع عوّضه الله خيراً كثيراً وتزوج في وقت قياسي «ومن يستعفف يُعفه الله»[٢] فلقد كان زواج المسلمين ميسوراً بأمر الله.

صورة مشرقة من جهاده في سبيل الله

منذ أن أعلن سعد بن الربيع إسلامه لم يتوانَ عن تقديم خدماته للإسلام وأهله، وجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، وكل ما يملك، وجاءت معركة بدر، فخرجت قريش من مكة عن بكرة أبيها معتقدة أنها ستُوجّه الضربة القاصمة التي تقضى بها على الإسلام وأهله، لأن المسلمين بزعمها قد تطاولوا عليها، وأقدموا على التصدى لعيرها وكسر هيبة قريش أمام العرب وسمع الرسول ﷺ بخروج قريش فخرج بأصحابه حتى نزل في بدر، وعبأ الرسول أصحابه أحسن تعبئة وحثهم على الصبر والثبات، وبدأ الزحف من قبل قريش، فالتقى الجمعان، وهجم المسلمون على المشركين بقلوب ملؤها الإيمان بالحق والرغبة في الشهادة والطمع في ثواب الله؛ وأمدّ الله

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٤٩) كتاب البيوع، ومسلم (١٤٢٧) كتاب النكاح.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة.

المؤمنين بروح من عنده، فازدادت حماستهم وتضاعفت قوتهم.

وكان سعد بن الربيع رضي الله عنه، يقاتل فى هذه الغزوة قتالَ الأسود، وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وتجاوزَ مقدار الشجاعة، حيث ظهر من شدة بأسه ما أدهش الكفار، فلقد قتل أحد رؤوس المشركين وهو «رفاعة بن أبى رفاعة» ومع هذا كله فقد كان سعد بن الربيع رضي الله عنه يؤثر الصمت والهدوء[1] ويقاتلُ فى سبيل الله، وكان رسول الله ﷺ يعرفُ عنه هذا ويكنُّ له كل الحب والتقدير.

انتهت غزوة بدر بانتصار المسلمين ولم يغب سعد بن الربيع عن أنظار الرسول ﷺ بل ظل قريبًا منه؛ شهد غدر يهود بنى قينقاع ومجاهرتهم العداءَ للمسلمين، ثم شهد إجلاءهم عن المدينة المنورة، وشهد المشاهد كلها حتى جاءت غزوة أحد[2].

يا رسول الله أجد ريح الجنة!!!

وفى غزوة أحد قاتل سعد بن الربيع قتالاً شديدًا ليظفر بتلك الأمنية التى كانت تشغل قلوب الصحابة جميعًا ألا وهى الشهادة فى سبيل الله.

ولما انتهت تلك الغزوة بدأ النبى ﷺ يتفقد القتلى والجرحى.

قال زيد بن ثابت: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أُحد أطلب سعد بن الربيع فقال لى: «إن رأيته فأقرئه منى السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك[3]؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بآخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم فقلت: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «أخبرنى كيف تجدك؟» فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله أجد

---

(١) أى: يحب ويفضل الصمت والهدوء.

(٢) رجال مبشرون بالجنة (ص: ٢٩٠- ٢٩١).

(٣) أى: كيف حالك.

ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عُذر لكم عند الله إن خلص مكروه إلى رسول الله ﷺ وفيكم عينٌ تطرف... وفاضت نفسه من وقته[١].

وفي رواية قال: يا سعد، إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر: أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟! قال: فإني في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ السلام، وقل: إن سعداً يقول: جزاك الله عني خير ما جزى نبيًّا عن أمته، وأبلغ قومك مني السلام، وقل لهم: إن سعداً يقول لكم: إنه لا عذرَ لكم عند الله إن خُلص إلى نبيكم - أي أصابه مكروه - وفيكم عين تطرف[٢].

حفظ الله لذريته من بعده

عن جابر بن عبد الله قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد، فقالت: يا رسول الله! هاتان بنتا سعد، قُتل أبوهما معك يوم أُحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالاً، ولا تُنكحانَ إلا ولهما مال، قال: «يقضي الله في ذلك» فأُنزلت آيةُ المواريث، فبعث إلى عمهما فقال: «أعط بنتي سعد الثُّلثين وأعط أمهما الثُّمن، وما بقي فهو لك»[٣].

وهكذا يحفظ الله العبد الصالح وذريته من بعده كما جاء في سورة الكهف في شأن الغلامين اليتيمين قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[٤].

فرضي الله عن سعد وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

---

(١) رواه ابن هشام (٢/ ٩٤- ٩٥) والحاكم (٣/ ٢٠١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) الإصابة (٤/ ١٤٤) الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٤٥) والسيرة لابن هشام (٢/ ٩٤، ٩٥).

(٣) حسن: رواه الترمذي (٢٠٩٢) كتاب الفرائض، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الأرواء (١٦٧٧).

(٤) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه

عكرمة بن أبى جهل رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابى الجليل عكرمة ابن أبى جهل رضي الله عنه.

إنه الصحابى الجليل الذى يَصْدُقُ عليه قول الله جل وعلا: ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ فلقد كان أبوه (أبو جهل) من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ بل لقد حاول قتل رسول الله ﷺ أكثر من مرة وكان يؤذى النبى ﷺ وأصحابه ويحرض المشركين على إيذاء المسلمين إيذاءً شديداً.

وعلى الرغم من كل هذا فلقد طمع النبى ﷺ فى إسلامه فقام يدعو يومًا ويقول: اللهم أعزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بعمرو بن هشام (أبو جهل) أو بعمر بن الخطاب فكان أحبهما لله جل وعلا عمر بن الخطاب فشرح الله صدره للإسلام فأسلَم.

رحلة مريرة

وتبدأ رحلة هذا الصحابى الجليل عندما نشأ فى أحضان هذا الأب الكافر الذى آخذ على نفسه العهد بعداوة رسول الله ﷺ فوجد عكرمة نفسه مدفوعًا إلى عداوة النبى ﷺ ومحاربته طاعة لأبيه الذى كان يعتمد عليه فى كل صغيرة وكبيرة.

وجاءت غزوة بدر فدخلها عكرمة وكان أبوه قد أقام ثلاثة أيام ينحر الجَزور[1] ويشرب الخمور وتعزف له القيان بالمعازف وما إن بدأ القتال فى

(١) الجزور: أى الإبل.

تلك المعركة الفاصلة حتى قُتل أبو جهل... قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء واحتزَّ رأسه عبد الله بن مسعود ﷺ.

وعاد عكرمة إلى مكة بعد أن ترك جثة أبيه خلفه فى بدر فلم يستطع أن يأتى بها ليدفنها فى مكة.

وهناك تغيرت الأحوال وأصبحت عداوة عكرمة للإسلام ليست حمية لقومه ولدينه فحسب وإنما ثأرًا لمقتل أبيه.

فأخذ يحرض الناس من حوله على عداوة الإسلام والمسلمين إلى أن جاءت غزوة أُحد فخرج عكرمة وأخرج معه زوجه أم حكيم لتكون مع النسوة وراء الصفوف لتضرب معهن على الدفوف تحريضًا لقريش على القتال وتثبيتًا لفرسانهم إذا حدثتهم أنفسهم بالفرار.

وكان خالد بن الوليد على ميمنة الجيش، وعكرمة بن أبى جهل على الميسرة، وقاتلا قتالاً شديدًا إلى أن أخطأ الرماة من أصحاب النبى ﷺ وتركوا الجبل فانقضَّ خالد وعكرمة ومن معهما على المسلمين فقتلوا سبعين من أصحاب النبى ﷺ ففرح عكرمة بهذا وقال أبو سفيان: هذا بيوم بدر.

وفى يوم الخندق لما أراد المشركون مهاجمة المسلمين واقتحام المدينة، وجدوا خندقًا عريضًا يحول بينهم وبينها، فالتجؤوا إلى فرض الحصار على المسلمين بينما لم يكونوا مستعدين له حين خرجوا من ديارهم إذ كانت هذه الخطة، كما قالوا مكيدة ما عرفتها العرب، فلم يكونوا أدخلوها فى حسابهم رأسًا.

وأخذ المشركون يدورون حول الخندق غضابًا يتحسسون نقطة ضعيفة، لينحدروا منها، وأخذ المسلمون يتطلعون إلى جولات المشركين يرشقونهم بالنَّبل، حتى لا يجترئوا على الاقتراب منه، ولا يستطيعوا أن يقتحموه أو يهيلوا عليه التراب، ليبنوا به طريقًا يُمكّنهم من العبور.

وكَرِه فوارس من قريش أن يقفوا حول الخندق من غير جدوى في ترقُّب نتائج الحصار، فإن ذلك لم يكن من شيمهم فخرجت منها جماعة فيها عمرو بن عبد وُدّ، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب وغيرهم، فتيمموا مكانًا ضيقًا من الخندق فاقتحموه وجالت بهم خيلهم... وخرج على بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم، ودعا عمرو إلى المبارزة، فانتدب له على بن أبي طالب، وقال كلمة حمى لأجلها وكان من شجعان المشركين وأبطالهم فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على (على)، فتجاولا وتصاولا، حتى قتله على رضي الله عنه وانهزم الباقون، حتى اقتحموا من الخندق هاربين، وقد بلغ بهم الرعب إلى أن ترك عكرمة رُمحه وهو منهزم عن عمرو[١].

فراره يوم فتح مكة

وتمر الأيام ويعود النبي ﷺ وأصحابه إلى مكة فاتحين منتصرين في يوم فتح مكة.

ولما أراد النبي ﷺ وأصحابه أن يدخلوا مكة قام عكرمة ومعه سُهيل ابن عمرو وصفوان بن أمية وحماس بن قيس ليقاتلوا المسلمين وليمنعوهم من دخول مكة وتجمعوا في مكان اسمه الخندمة وأرادوا مقاتلة المسلمين ولكن أصحاب الرسول ﷺ كانوا لهم بالمرصاد ففروا جميعًا وفرّ معهم عكرمة.

وكان النبي ﷺ في يوم فتح مكة قد أعطى الناس جميعًا الأمان إلا أربعة من الرجال وامرأتين فقد أهدر النبي ﷺ دماءهم وذلك لشدة عداوتهم للإسلام والمسلمين وكان من بين هؤلاء الأربعة: عكرمة بن أبي جهل.

---

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٣٠- ٣٣١).

فما كان من عكرمة إلا أن تسلل هاربًا من مكة إلى اليمن فذهب إلى شاطئ البحر وركب سفينة ليذهب إلى اليمن فهاجت الأمواج وأصابتهم العواصف فقال أصحاب السفينة: أيها الناس أخلصوا في الدعاء فإن آلهتكم لا تُغني عنكم ههنا شيئًا، فقال عكرمة: والله لئن كانت الآلهة التي نعبدها لا تُغني عنا شيئًا ولن ينجينا إلا الله فلله عليَّ عهد إن عافاني مما أنا فيه لأذهبن إلى محمد حتى أضع يدي في يده وأُسلم لله جل وعلا.

* في هذه اللحظة كانت أم حكيم (زوجة عكرمة) قد ذهبت إلى النبي ﷺ وأسلمت بين يديه وطلبت منه الأمان لعكرمة لكي يأتي ويُسلم بين يدي النبي ﷺ فأعطاها النبي ﷺ الأمان لعكرمة رغم تلك العداوة التي استمرت أكثر من عشرين سنة.

ذهبت أم حكيم تسأل عن عكرمة حتى علمت أنه قد ركب سفينة ليذهب إلى اليمن فتوجهت إلى شاطئ البحر وفي نفس اللحظة كانت الأمواج قد هدأت وعاد عكرمة على السفينة إلى شاطئ البحر فلقي زوجته أم حكيم فقالت له: يا عكرمة لقد أعطاك النبي ﷺ الأمان فهيا لتُسلم بين يديه.

وذهب عكرمة إلى النبي ﷺ فلما رآه بكى ووضع رأسه في الأرض خجلاً من النبي ﷺ الذي عفا عنه بعد عداوة دامت أكثر من عشرين سنة ونطق عكرمة الشهادتين وأسلم لله جل وعلا... وهنا نظر عكرمة إلى النبي ﷺ وقال له: استغفر لي يا رسول الله فاستغفر له النبي ﷺ.

فقال عكرمة: والله يا رسول الله ما وقفت موقفًا في عداوتك إلا وقفت أضعافه في نُصرتك وما أنفقت نفقة في عداوتك إلا أنفقت أضعافها في نصرتك فدعا له النبي ﷺ بكل خير.

وبدأ عكرمة صفحة جديدة مشرقة كلها تضحية وبذل وفداء.

وكان عكرمة بعد إسلامه إذا أراد أن يُقسم كان يقول: لا والذي نجاني يوم بدر.

أي أنه كان يحمد الله على أنه لم يسلط عليه أحدًا من المسلمين ليقتله يوم بدر فيموت كافرًا بل أبقاه على قيد الحياة حتى يأتي إلى النبي ﷺ ويُسلم لله جل وعلا.

وكان يضع المصحف على وجهه ويقول: كتاب ربي كتاب ربي وهو يبكي على تلك الأيام التي قضاها في عداوته لرسول الله ﷺ.

وسار عكرمة في ركاب المجاهدين فأصبح واحدًا من الشجعان الذين بذلوا حياتهم لله جل وعلا.

وبدأ رحلة جهاده بتكسير الأصنام التي كانت تُعبد من دون الله فكان لا يسمع بصنم في بيت من بيوت قريش إلا مشى إليه حتى يكسره.

وكيف لا يُسرع إلى ذلك، وقد سمع منادي رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله فلا يتركن في بيته صنمًا إلا كسره أو حرقه»[1].

* هذا وقد بعثه النبي ﷺ إلى هوازن ليجمع الصدقات فذهب إلى هناك وقام بعمله خير قيام.

* وتمر الأيام ويموت النبي ﷺ وهو راضٍ عن عكرمة فحزن عكرمة حزنًا شديدًا على موت النبي ﷺ فقد كان يتمنى أن يكون في صُحبته منذ أول لحظة نزل فيها الوحي على النبي ﷺ.

وبعد وفاة النبي ﷺ تولى أبو بكر الخلافة وقد كلَّف عكرمة ببعض المهام فقام بها على أكمل وجه.

بل كان له دورٌ عظيم في قتال المرتدين الذين ارتدوا بعد موت النبي ﷺ فأرسله أبو بكر إلى أهل عُمان وكانوا قد ارتدوا فانتصر عليهم عكرمة وكان سببًا في عودتهم إلى الإسلام مرة أخرى.

(١) المغازي (٢/ ٨٧١).

وحان وقت الرحيل

وعاش عكرمة طوال حياته زاهدًا عابدًا طائعًا مجاهدًا فى سبيل الله جل وعلا.

وفى يوم اليرموك كادت الروم أن تهزم المسلمين فقام عكرمة وراح فى أرض الجهاد وهو يقول: أيها المسلمون مَن يبايع على الموت لقد قاتلت رسول الله ﷺ واليوم أفر من أمام الروم!!! والله إن هذا لا يكون أبدًا من يبايع على الموت.

فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور، ومعهم أربعمائة من المسلمين وخاضوا غمار المعركة واستبسلوا وقاتلوا أمام فسطاط خالد بن الوليد حتى هزموا الروم بإذن الله ونام عكرمة على الأرض بعد أن أُصيب بسبعين طعنة بالرمح وضربة بالسيف.

نام عكرمة غارقًا فى دمائه وبجواره الحارث بن هشام وعياش بن أبى ربيعة فجاءه رجل من المسلمين بالماء ليشرب عكرمة فأشار إليه أن يعطى الماء للحارث فلما أراد أن يعطى الحارث أشار إليه بأن يعطى عياش بن أبى ربيعة فلما وصل إليه وجده قد فارق الحياة فعاد إلى الحارث فوجده قد مات فذهب إلى عكرمة فوجده قد فاضت روحه إلى بارئها جل وعلا.

ومات عكرمة شهيدًا فى سبيل الله بعد أن عاش زمانًا زاهدًا عابدًا طائعًا مجاهدًا.

* رضى الله عن عكرمة وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

* * *

أنس بن مالك رضي الله عنه



أنس بن مالك رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: لاشك أنه ما من مسلم في هذه الحياة الدنيا إلا ويتمنى أن لو عاش في عصر النبوة ورأى النبي محمداً ﷺ.

وها نحن نعيش من خلال تلك السطور مع عَلَم من أعلام الصحابة رضي الله عنه لم يكن ملازمًا للحبيب ﷺ فحسب، بل كان من المقربين إليه وعاش في خدمته عشر سنوات كانت هي أزهى وأجمل وأبهى سنوات عمره على الإطلاق.

ولِمَ لا؟ وهو الذي يرى الحبيب ﷺ ويتلقى العلم والأدب والنصائح الغالية بين يديه في كل لحظة في الوقت الذي يتمنى فيه أحدنا أن لو كان رأى النبي ﷺ مرة واحدة.. لا أقول في اليقظة بل في المنام.

فيا تُرى من هو هذا العَلَم؟

إنه الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه.

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه

لقد كان أنس طفلاً صغيراً، وكانت أمه هي أم سليم (الغُميصاء) التي أسلمت لله جل وعلا وكان زوجها مالك والد أنس ما زال على دينه وكان يريد منها أن تترك دينها وتبقى على دين الآباء.

وفي يوم من الأيام خرج الرجل مُغضبًا فلقيه عدوٌ فقتله... فنشأ أنس يتيمًا منذ تلك اللحظة.

ولكن أمه أم سليم كانت امرأة مؤمنة راجحة العقل لم يشعر معها لحظة واحدة بمرارة اليُتم.

وكانت أم سليم تلقنه الشهادتين وتُعلمه بل وتغرس في قلبه محبة الله جل وعلا ومحبة رسوله ﷺ قبل أن يراه، فأصبح أنس في أشد شوقه لرؤية الحبيب ﷺ بل لقد تمنى أن لو كان كبيراً لسافر إليه ليراه ويلازمه.

وما هي إلا فترة يسيرة حتى أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة.

وما إن علم أنس وكل من في يثرب - المدينة - هذه البشرى العظيمة حتى امتلأت قلوبهم فرحاً وسعادة وسروراً بمقدم الحبيب ﷺ.

فكانوا يخرجون في كل يوم لاستقباله فإذا حان وقت الغروب كانوا يعودون والحزن يملأ قلوبهم.

وفي اليوم الموعود وصل إلى مسامعهم بأن الحبيب ﷺ على مشارف المدينة، فامتلأت شوارع المدينة كلها بالرجال والنساء والأطفال... الكل يريد أن يرى خير مخلوق عرفته البشرية كلها ﷺ.

فلو اجتمعت أعياد الكون كله في تلك اللحظة ما كانت تساوي جزءاً من ألف جزءٍ من فرحة المسلمين بقدوم المصطفى ﷺ.

أنس رضي الله عنه يتشرف بخدمة الحبيب ﷺ

وما إن استقر الحبيب ﷺ بالمدينة حتى جاءت أم سليم رضي الله عنها ومعها أنس رضي الله عنه فقالت له: يا رسول الله هذا أُنيس ابني أتيتك به يخدمك، فادعُ الله له. فقال: «اللهم اكثر ماله وولده». قال أنس: فو الله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحو من مائة اليوم[1].

وكان أنس يقول: قَدِم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر ومات وأنا ابن عشرين وكن أمهاتي يحثثني على خدمة رسول الله ﷺ[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٨١) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أنس بن مالك.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢٩) كتاب الأشربة وابن سعد (٧/ ٢٠).

وظل أنس ﷺ ملازمًا للحبيب ﷺ وهو فى سعادة يعجز القلم عن وصفها.

ولقد أحب النبى ﷺ حبًا مَلكَ عليه فؤاده وجوارحه.

قال أنس: «ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كَفِّ النبى ﷺ ولا شممت ريحًا قط أطيب من ريح النبى ﷺ»[1].

ومن خلال ملازمته للحبيب ﷺ تعلَّم الكثير والكثير من سُنَّة الحبيب ﷺ ومن هديه وأخلاقه النبيلة وشمائله المباركة مما جعله من أكثر الصحابة علمًا بحديث النبى ﷺ، بل ومن أكثرهم تشبهًا بالنبى ﷺ فى صلاته وعبادته وأخلاقه.

المرء مع من أحب

ولقد رأى أنس من النبى ﷺ ومن أخلاقه العذبة ما لم يره غيره حتى إنه كان لا يصدق نفسه أحيانًا... ولسان حاله يقول: هل هناك رجلٌ فى هذا الكون كله بهذا الخلق الرفيع؟!!!

لقد كان النبى ﷺ مُتحلِّى بصفات الكمال المنقطعة النظير، وأدَّبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مُثنيًا عليه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحبَّبه إلى القلوب وصيَّره قائدًا تهوى إليه الأفئدة... وألان من شكيمة قومه بعد الإباء حتى دخلوا فى دين الله أفواجًا[3].

ولقد كان أنس ﷺ يصف للناس الكثير والكثير من أخلاق الحبيب ﷺ.

فعن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقًا وكان لى

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٥٦١) كتاب المناقب.

(٢) سورة القلم: الآية: (٤).

(٣) الرحيق المختوم/ للمباركفورى (ص ٥٣٧).

أخ يقال له: أبو عمير وكان إذا جاء ﷺ قال: «يا أبا عُمير، ما فعل النُّغَير»[١] لنغرٍ كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهو فى بيتنا، فيأمر بالبساط الذى تحته فيُكنس ويُنضح، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلى بنا [٢].

وعنه رضي الله عنه قال: والله لقد خدمته تسع سنين، ما علمته قال لشىء صنعته لِمَ فعلت كذا وكذا؟ أو لشىء تركته هلا فعلت كذا وكذا[٣].

* بل كان النبى ﷺ يدخل بيت أم سُليم كثيرًا ويقيل عندها أى ينام وقت الظهيرة فكانت أم سليم وهى أم أنس بن مالك تأخذ عرق النبى ﷺ من على جبينه وتضعه فى قارورة العطر فلما سألها النبى ﷺ وقال لها: «يا أم سليم ما هذا الذى تصنعينه؟» قالت: يا رسول الله هذا عرقك نجعله فى عطرنا لنعطره به.

حفظه لسر النبى ﷺ

وكان أنس يحافظ على أسرار النبى ﷺ ولا يُفشيها لأحدٍ أبدًا ولو كان من أقرب الناس إليه.

ففى يوم من الأيام كان أنس يلعب مع الغلمان فجاءه النبى ﷺ فسلَّم عليه وعلى أصحابه ثم أرسله فى حاجةٍ له.. فذهب أنس ليقضى حاجة النبى ﷺ فأبطأ على أمه وتأخر عليها فلما ذهب إليها قالت له: لماذا تأخرت يا أنس؟ قال: بعثنى رسول الله ﷺ لحاجة.

قالت: وما حاجته؟

قال: إنها سرٌّ يا أمى.

قالت: أجل لا تُحدثن أحدًا بسرِّ رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) النُّغير: طائر كان يلعب به.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٠٣) الأدب، ومسلم (٢١٥٠) كتاب الأدب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٤٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

في رحاب الحبيب ﷺ

وهكذا عاش أنس بن مالك رضي الله عنه أسعد أيام حياته في رحاب النبي ﷺ الذي تعلم على يديه الخير كله وتربى بين يديه بل وفاز بدعائه له فقد دعا له النبي بكل خير من خير الدنيا والآخرة وكان في آخر ما دعا له أن قال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه» فكان أنس بن مالك من أكثر الناس مالاً...، وأخبرته ابنته أمينة أنه قد دفن من صلبه حتى زمن الحجاج بن يوسف أكثر من مائة ولد.

عبادته رضي الله عنه

وكان أنس بن مالك عابداً زاهداً ورعًا.

قال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سُليم... يعني أنساً[1].

وقال أنس بن سيرين: كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر[2].

وعن ثُمامة قال: كان أنس يصلي حتى تفطَّر قدماه دمًا، مما يُطيل القيام رضي الله عنه[3].

وقال سليمان التيمي: سمعت أنسًا يقول: ما بقي أحدٌ ممن صلى القبلتين غيري[4].

وعن ثابت قال: كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم[5].

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد وهو عند ابن عساكر (٣/ ٨٤ب).
(٢) ابن عساكر (٣/ ٨٤ ب) نقلاً من السير للذهبي (٣/ ٤٠٠).
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٤٠٠).
(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٤٨٩) كتاب تفسير القرآن، وابن سعد (٧/ ٢٠).
(٥) صفة الصفوة (١/ ٣٠٤).

حزنه لفراق الحبيب ﷺ

وبعد عشر سنوات قضاها أنس رضي الله عنه في خدمة الحبيب ﷺ رحل الحبيب إلى الرفيق الأعلى فحزن أنس عليه أشد الحزن حتى إنه أحسَّ أن الكون كله قد تغير لموت النبي ﷺ وأن الدنيا قد أظلمت من حوله.

حتى كان أنس يصف مدى حزنه على موت النبي ﷺ فيقول: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا [1].

بل وتأتي إليه فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعد دفن النبي ﷺ وتقول له: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ فكان أنس يسمع هذا الكلام ويبكي، . . . ولا شك أن موت النبي ﷺ من أعظم المصائب، لأن بموته انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيامة وانقطعت النبوات وكان موته أول ظهور الشر والفساد بارتداد العرب عن الدين وعلى الرغم من ذلك فإن النبي ﷺ بيننا بشريعته الحية التي مَن سار عليها فلن يضل أبداً، فقد قال ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسُنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»[2].

وقد أخبر النبي ﷺ عن الأجر العظيم لمن تمسك بدينه في زمان الفتن، فقال ﷺ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»[3].

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٦١٨) كتاب المناقب، وابن ماجه (١٦٣١) كتاب الجنائز، وأحمد (٣/ ٢٦٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٥٩٦٢).

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم (١/ ١٧٢)، والدارقطني (٤/ ٢٤٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٩٣٧).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٢٦٠) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٩٥٧).

كرامة ثابتة له

وفي يوم من الأيام جاء الرجل الذي يرعى لأنس أرضه وقال له: لقد عطشت الأرض وليس هناك ماء ترويها به فنزل أنس عن دابته ثم خرج إلى الصحراء وأخذ يصلي ويدعو فجاءت سحابة وأفرغت ماءها حتى ملأت الأرض ماءً ولم تنزل قطرة واحدة في الأرض التي حولها.

أنس ينشر سنة الحبيب ﷺ

ولقد عاش أنس بن مالك بعد وفاة الرسول أكثر من ثمانين عامًا ملأ خلالها الدنيا بعطر حديث النبي ﷺ حتى أصبح مرجعًا للمسلمين يفزعون إليه إذا أشكل عليهم أمرٌ من أمور دينهم.

وكان أنس يعيش على ذكراه مع رسول الله ﷺ حتى أنه من شدة حبه للنبي ﷺ كان يراه في المنام كل ليلة.

قال المُثنى بن سعيد: سمعتُ أنسًا يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي.. ثم يبكي[1].

الله أكبر!!! تالله إنا لنشتاق إلى رؤية الحبيب ﷺ ولو مرة واحدة وأنس رضي الله عنه يراه كل ليلة في منامه.

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.



(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد (٧/ ٢٠).

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالسعادة والسرور لصحبته للحبيب ﷺ ومليئة بالتضحية والبذل والعطاء لرجائه فيما عند الله . . . نام أنس بن مالك رضي الله عنه على فراش الموت ليلحق بالحبيب ﷺ بعد أن ملأ الدنيا كلها بحديث رسول الله ﷺ .

فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وجمعنا الله به وبالحبيب ﷺ في جنته ومستقر رحمته .

رضي الله عن أنس بن مالك وجمعنا به في الفردوس الأعلى .

❊ ❊ ❊

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعد مع أسد الله وأسد رسول الله ﷺ الذي لما نال شرف الشهادة في سبيل الله جعل الله روحه في جوف طيرٍ خُضر تَرِد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل عرش الرحمن جل وعلا.

إنه الصحابي الذي قال عنه النبي ﷺ أنه سيد الشهداء يوم القيامة.

إنه الصحابي الذي رأى النبي ﷺ الملائكة تُغسله بعد استشهاده.

إنه عم النبي ﷺ وأخوه في الرضاعة.

إنه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

ومن هنا كانت البداية

وتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع قصة أسد الله وأسد رسوله ﷺ.

كان حمزة رضي الله عنه يعيش في أحد البيوتات المحيطة بالكعبة وعاش هناك طفولته وشبابه بين أترابه من أطفال قريش وشبابها.

ولقد كان سريع الحركة قوي البنية يتقن الرمي غاية الإتقان، ولذلك كان يحب الصيد حبًا شديدًا فكان يخرج إلى الوديان الفسيحة ويصعد فوق قمم الجبال يمارس هوايته التي لا تفارقه أبدًا - ألا وهي الصيد - وعند غروب الشمس يعود مرة أخرى إلى أدراجه ليشارك فتيان قريش في اللهو واللعب والانغماس في شهوات الدنيا.

وما علم حمزة ﷺ أنه سيترك هذا كله في وقت قريب ليحمل هَمَّ هذا الدين وليكون أسد الله وأسد رسوله ﷺ، بل وليصبح سيد الشهداء يوم القيامة.

شمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة

وأشرقت شمس الإسلام على أرض الجزيرة وبُعث النبي ﷺ وبدأ يعرض الإسلام والتوحيد على الناس من حوله فما كان من المشركين إلا أن أعلنوا العداء له منذ اللحظة الأولى وسلطوا عليه هو وأصحابه أشد أنواع الأذى وكان من أشدهم عداوة وضراوة لرسول الله ﷺ أبو جهل بن هشام فرعون هذه الأمة، الذي راح يفرغ حقده في المسلمين، وراح يَسْخَر من الدعوة، ويُسخِّر كل ما يملك في سبيل الصد عن سبيل الهدى، ويصب جام غضبه على المؤمنين المستضعفين[1].

وكان حمزة ﷺ يتعجب لهذا العداء فهو يعلم ابن أخيه جيداً ويعرف عنه رقة الشمائل ومكارم الأخلاق وفوق ذلك كله فهو الصادق الأمين الذي اجتمع الناس على محبته وإجلاله وتوقيره.

إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ﷺ

وفي وسط هذا الظلم والإيذاء الشديد للنبي ﷺ وأصحابه حدث ما لم يتوقعه المشركون... فلقد أسلم حمزة بن عبد المطلب الذي كان الناس يعملون له ألف حساب بسبب قوته وشجاعته.

وأسلم عدد آخر من الرجال.. على رأسهم: عمرو ابن عبسة وضماد الأزدي وأبو ذر الغفاري.

---

(١) فرسان من عصر النبوة (ص: ٥٧).

ولكن الضربة القاضية لظهر المشركين بعد إسلام حمزة هى إسلام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

فقد أسلم عمر بعد إسلام حمزة بأيام وذهب إلى دار الأرقم وأسلم بين يدى النبى ﷺ.. وأصر على أن يخرجوا جميعًا أمام المشركين ليعرفوا أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء.

* وخرج المسلمون لأول مرة يجهرون بكلمة التوحيد أمام المشركين فى صفَّين.. على رأس الصف الأول عمر ابن الخطاب.. وعلى رأس الصف الثانى حمزة بن عبد المطلب. فعرف المشركون أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء - بفضل الله جل وعلا -.

كيف كانت قصة إسلام حمزة رضي الله عنه

فى يوم من الأيام يخرج حمزة رضي الله عنه كعادته لممارسة هوايته المفضلة - الصيد- وبعدما قضى وقته فى تلك الهواية وعاد ومعه من الخير الكثير والكثير.

وفى طريق عودته يحدث أمرٌ لم يكن فى الحسبان فيكون سببًا فى إسلامه . . . فيا تُرى ما الذى حدث؟!

تعالوا بنا لنفتح سويًا صفحة نعرف من خلالها كيف أسلم أسد الله رضي الله عنه.

أما عن قصة إسلامه فيروى لنا ابن إسحاق أن أبا جهل مَرَّ برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره، من العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ وكانت هناك مولاة لعبد الله بن جدعان فى مَسكنٍ لها تسمع ذلك منه، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

أن أقبل متوشحًا قوسه[١] راجعًا من رحلة الصيد وكان إذا رجع من الصيد لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادٍ من قريش إلا وقف وسلَّم وتحدث معهم، وكان أعز فتى في قريش وأشدهم شكيمة فلما مرَّ بمولاة عبد الله بن جدعان، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمدٌ آنفًا من أبي الحكم بن هشام (أبو جهل) وجده ها هنا جالسًا فآذاه وسبَّه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمدٌ ﷺ.

فغضب حمزة غضبًا شديدًا لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعدًا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به... فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه به فشجَّه شجةً منكرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول كما يقول؟ فَرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا،.... وتم حمزة ﷺ على إسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتنع، وأن حمزة سيحميه فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[٢].

ومنذ تلك اللحظة التي أسلم فيها حمزة ﷺ واستقر الإيمان في قلبه وهو يحمل هم هذا الدين ويتمنى أن يبذل من أجله الغالي والنفيس، بل وأن يضحي في سبيله بالنفس والمال وبكل ما يملك.

وظل حمزة ملازمًا للحبيب ﷺ ملازمة الرجل لظله، فلا يفارقه أبدًا.

---

(١) أي: حاملاً قوسه.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٦٧) وقال: رواه الطبراني مرسلاً ورجاله رجال الصحيح.

الهجرة المباركة

ولما أذن النبى ﷺ لأصحابه بالهجرة كان حمزة من أوائل المهاجرين واستقر فى المدينة المنورة وآخى النبى ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة رضي الله عنه ولقد بلغت هذه المؤاخاة الكريمة بينهما مبلغًا عظيمًا فهى محبة خالصة لوجه الله تعالى لا تشوبها أى شائبة من طلب حطام الدنيا وزهرتها الفانية.

سرية سيف البحر

ومضى حمزة رضي الله عنه فى طريق الإيمان، والذود عن الدعوة، حتى بلغ مقامًا لم يبلغه غيره من المسلمين فهو سيد الشهداء بشهادة سيد الخلق رسول الله ﷺ، وهو أسد رسوله ﷺ، . . . كان إسلامه عزًا للمسلمين ومنعة وقوة لرسول الله ﷺ.

وها هى أول سرية خرج فيها المسلمون للقاء العدو كان أميرها حمزة.

ففى شهر رمضان سنة ١ هـ أرسل رسول الله ﷺ سرية وأمَّر عليها حمزة بن عبد المطلب.

وبعثه فى ثلاثين رجلاً من المهاجرين، يعترض عيرًا لقريش جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام فى ثلاثمائة رجل، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص[(١)]، فالتقوا واصطفوا للقتال، فمشى مجدى بن عمرو الجهنى، وكان حليفًا للفريقين جميعًا، بين هؤلاء وهؤلاء، حتى حجز بينهم فلم يقتتلوا[(٢)].

❋ ❋ ❋

(١) العيص: مكان بين ينبع والمروة ناحية البحر الأحمر.

(٢) السيرة لابن هشام (٢/ ٢٠٠) بتصرف.

أسد الله... وجهاده فى سبيل الله

ولكن تمر الأيام وتأتى الفرصة المناسبة التى يكشر فيها الأسد عن أنيابه ليعلم المشركون أنهم لا طاقة لهم بهؤلاء الأبطال الذين يحرصون على الموت أكثر من حرص المشركين على الحياة.

وها هو أسد الله وأسد رسوله ﷺ (حمزة بن عبد المطلب) يقودها حملة لا تُبقى ولا تذر ضد المشركين.

جهاده فى غزوة بدر

يوم بدر وما أدراك ما يوم بدر... إنه يوم الفرقان إنه يوم العزة والكرامة إنه يوم النصر للمسلمين إنه يوم الخزى والذل والهوان للمشركين.

ففى هذا اليوم عبأ رسول الله ﷺ جيشه للقتال، ماديًا ومعنويًا، كيما يواجه أعداءه، وهو على أكمل استعداد،... وكان حمزة ﷺ يتشوق إلى القتال ليُظهر فروسيته أمام الحبيب الأعظم سيدنا محمد رسول الله ﷺ فيحظى بالرضا والدعوات النبوية المباركة.

فها هى صفحة من صفحات أسد الله وأسد رسوله ﷺ.

تلكم الصفحة التى سطرها على جبين التاريخ بسطور من النور.

أول وقود المعركة

وكان أول وقود المعركة الأسود بن عبد الأسد المخزومى - وكان رجلاً شرسًا سيىء الخلق - خرج قائلاً: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنّه أو لأموتن دونه، فلما خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ﷺ والتقيا ضربه حمزة، فأطنّ قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب

رجله دمًا نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن تبرَّ يمينه، ولكن حمزة ثنَّى عليه بضربه أخرى أتت عليه وهو داخل الحوض[١].

* وبدأت بعد ذلك أحداث المعركة:

ولقد كانت الحروب قديمًا تبدأ بالمبارزة بالسيوف.

فخرج عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وقالوا: هل من مبارز؟

فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم عوف، ومُعوذ، أبناء الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟

فقالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: ما لنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا[٢] من قومنا.

فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا علي»، فلما قاموا ودنوا منهم.

فبارز عبيدة - وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز (علي) الوليد بن شيبة.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما (علي) فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرَّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة.

فقتلاه، وحَملا عُبيدة بن الحارث فإذا به يَموت شَهيدًا بعد ذلك من آثار هذه الضربة[٣].

---

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٢٦).

(٢) أكفاءنا: نظراءنا أو من يساوونا في المكان.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٦٥) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود.

جهاده فى غزوة أحد

كانت مكة تحترق غيظًا على المسلمين بسبب ما أصابها فى غزوة بدر وقتل الزعماء والصناديد.

فأرادوا أن ينتقموا من المسلمين شر انتقام وأخذوا فى تجهيز جيش كبير لملاقاة المسلمين لكى يأخذوا بالثأر.

ومرت سنة كاملة وكانت مكة قد تجهزت لحرب المسلمين.

وخرج جيش المشركين فى عدد يزيد على ثلاثة آلاف مشرك وكان قائد الجيش هو أبو سفيان بن حرب.

وكان أبو سفيان يرى أن يُخرج مع الجيش نساء المقاتلين حتى يكون ذلك أبلغ فى استماتة الرجال فى الدفاع عن حُرماتهم وأعراضهم.

وكان زعماء قريش يهدفون بمعركتهم الجديدة هذه إلى رجلين اثنين: الرسول عليه صلاة الله وسلامه وحمزة رضى الله عنه وأرضاه.

أجل... والذى كان يسمع أحاديثهم ومؤامراتهم قبل الخروج للحرب، يرى كيف كان حمزة بعد الرسول هو هدف المعركة.

ولقد اختاروا قبل الخروج الرجل الذى وكّلوا إليه أمر حمزة، وهو عبدٌ حبشى، كان ذا مهارة خارقة فى قذف الحربة، جعلوا كل دوره فى المعركة أن يتصيد حمزة ويُصوِّب إليه ضربة قاتلة من رُمحه، وحذَّروه من أن ينشغل عن هذه الغاية بشىء آخر، مهما يكن مصير المعركة واتجاه القتال.

ووعدوه بثمن غالٍ وعظيم هو: حريته فقد كان الرجل و اسمه (وحشى) عبدًا لجبير ابن مطعم وكان عم جُبير قد لقى مصرعه يوم بدر، فقال له جبير: اخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة عم محمد فأنت حر.

ثم أحالوه إلى هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان لتزيده تحريضًا ودفعًا إلى

الهدف الذى يريدون.

وكانت هند قد فقدت فى معركة بدر أباها، وعمها، وأخاها وابنها وقيل لها: إن حمزة هو الذى قتل بعض هؤلاء، وأجهز على البعض الآخر.

من أجل هذا كانت أكثر القرشيين والقرشيات تحريضًا على الخروج للحرب، لا لشىء إلا لتظفر برأس حمزة مهما يكن الثمن الذى تتطلبه المغامرة..!!![1].

ولقد لبثت أيامًا قبل الخروج للحرب، ولا عمل لها إلا إفراغ كل حقدها فى صدر وحشى ورسم الدور الذى عليه أن يقوم به.

ولقد وعدته إن هو نجح فى قتل حمزة بأثمن ما تملكه المرأة من متاع وزينة فلقد أمسكت بأناملها قُرطها اللؤلؤى الثمين وقلائدها الذهبية التى تزدحم حول عنقها، ثم قالت وعيناها تحدقان فى وحشى: (كل هذا لك إن قتلت حمزة)!!!.

وسال لُعاب وحشى وطارت خواطره تواقة مشتاقة إلى المعركة التى سيربح فيها حريته، فلا يصير بعد ذلك عبدًا أو رقيقًا، والتى سيخرج منها بكل هذا الحلى الذى يزين عنق زعيمة نساء قريش، وزوجة زعيمها وابنة سيدها!!.

كانت المؤامرة إذن.. وكانت الحرب كلها تريد حمزة رضي الله عنه بشكل واضح وحاسم[2].



(١) مع العلم بأنها أسلمت بعد ذلك وحسن إسلامها رضي الله عنها.

(٢) رجال حول الرسول ﷺ / أ. خالد محمد خالد (ص ٢١٥/ ٢١٦).

الأسد في أرض المعركة يقاتل بسيفين

والتقى الجيشان وحمي الوطيس وقام أسد الله حمزة يصول ويجول في أرض المعركة يشق الصفوف شقًا ويهد المشركين بسيفه هدًا.

لقد كانت بطولة حمزة يوم أحد من أروع البطولات في عالم الفروسية، وكانت بطولاته أرفع بطولات الأبطال، فكان رضوان الله عليه يقاتل كالأسد ويندفع إلى قلب جيش المشركين فيبدد جموعهم، وهو يغامر مغامرة منقطعة النظير، فينكشف عنه الأبطال الشجعان، ويتطايرون أمامه كما تتطاير أوراق الخريف أمام الرياح العاتية.

عن سعد بن أبي وقاص قال: كان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسد الله[1].

ولولا أن ترك الرُّماة مكانهم فوق الجبل، ونزلوا إلى أرض المعركة ليجمعوا غنائم العدو المهزوم، لولا تركُهم مكانهم وفتحهم الثغرة الواسعة لفرسان قريش لكانت غزوة أحد مقبرة لقريش كلها: رجالها ونسائها بل وخيلها وإبلها!!

لقد دهم فرسانها المسلمين من ورائهم على حين غفلة، وأعملوا فيهم سيوفهم الظامئة المجنونة... وراح المسلمون يجمعون أنفسهم من جديد، ويحملون سلاحهم الذي كان بعضهم قد وضعه حين رأى جيش قريش ينسحب ويُولِّي الأدبار ولكن المفاجأة كانت قاسية وعنيفة.

ورأى حمزة ما حدث فضاعف قوته ونشاطه وبلاءه.

وأخذ يضرب عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه.

ووحشي هناك يرقُبه، ويتحين الفرصة الغادرة ليوجِّه نحوه ضربته[2]

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ٦) والحاكم (٣/ ١٩٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رجال حول الرسول ﷺ (ص ٢١٧).

وحمـزة يقاتل بكل قوة وكـأنه يرى الجنة أمام عينيه وهو يتذكـر قول النبى ﷺ : «حمزة سيد الشهداء يوم القيامة»(١).

سيد الشهداء

وها هى رياح الموت تهب على أرض المعركة وها هى اللحظة التى قدَّرها الله جل وعلا ليرحل حمزة ﷺ عن الدنيا وليصبح سيد الشهداء.

ولنترك الحديث لوحشى ليحكى لنا كيف استطاع أن يقتل حمزة.

يقول وحشى: كنت غلامًا لجبير بن مطعم، وكـان عمه طعيمة بن عدى قد أُصيب يوم بدر (قُتل) فلمـا سارت قريش إلى أُحـد قال لى جُبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق، قال: فخرجت مع الناس، وكنت رجلاً حبشيًا أقذف بالحربة قذف الحبشة، قلما أُخطئ بها شيئًا، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة، وأتبصره حتى رأيته فى عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهد الناس بسيفه هدًّا، ما يقوم له شئ، فو الله إنى لأتهيأ له، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى.

قال: وهززت حربتى، حتى إذا رضيت منها، دفعتها عليه، فوقعت فى ثُنته، حتى خرجت من بين رجليه، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتى، ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه، ولم يكن لى بغيره حاجة، وإنما قتلته لأُعتَق، فلما قدمت مكة أُعتقت، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربتُ إلى الطائف.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: رواه الشيرازى فى الألقاب، والحاكم فى المستدرك، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٥٨).

روحه في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة

هكذا رحل أسد الله عن الدنيا ليس شهيداً فحسب بل سيداً للشهداء وفاز بتلك المنقبة العظيمة التي أخبر عنها الحبيب ﷺ بعد الغزوة.

عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «لما أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضر تَرِدُ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يُبلِّغ إخواننا عنّا أننا أحياء في الجنة نُرزق لئلا ينكلوا عند الحرب ولا يزهدوا في الجهاد... قال الله: أنا أُبلغهم عنكم. فأُنزلت: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾[1][2].

التمثيل بجسده الطاهر رضي الله عنه

ولم يكتفِ أعداء الله بقتله، بل مثَّلوا بجسده، فإنه عندما بحث الصحابة ومعهم الحبيب ﷺ عن حمزة وجدوه قد بُقر بطنه، واحتمل وحشي كبده إلى هند بنت عتبة في نذر نذرته حين قتل أباها يوم بدر.

فدُفِنَ في نَمِرة كانت عليه، إذا رُفعت إلى رأسه بدت قدماه، فغطُّوا قدميه بشيء من الشجر[3]... وتأتي اللحظة الأليمة التي وقف فيها رسول الله ﷺ أمام جسد عمه حمزة الذي كان يحبه من كل قلبه.. فها هو الآن قد فارق الدنيا كلها.

فحزن عليه النبي ﷺ حزناً شديداً ودمعت عيناه حزناً على فراق عمه

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

(٢) صحيح رواه أبو داود (٢٥٢٠) في الجهاد وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٠٢٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ١٧٩).

وأخيه من الرضاعة حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسول الله ﷺ.

ثم نظر النبي ﷺ لأصحابه وبشَّرهم بمكانة ومنزلة حمزة عند ربه جل وعلا.

فقال ﷺ: «حمزة سيد الشهداء يوم القيامة»[1].

ثم ساق لهم بشرى ثانية فقال لهم: «رأيت الملائكة تُغسِّل حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب»[2].

كرامة ثابتة له بعد موته

وها هي كرامة ثابتة لأسد الله وأسد رسول الله ﷺ بعد موته.

فإنه لما أراد معاوية أن يُجري عينه التي بأُحد كتبوا إليه: إنا لا نستطيع أن نجريها إلا على قبور الشهداء، فكتب إليهم أن: انبشوهم قال راوي القصة: فرأيتهم يُحملون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام، وأصابت المسحاةُ طرف رجل حمزة بن عبد المطلب فانبعثت دمًا [3] وكأنه قد مات الآن.

وهكذا يؤيد الله أولياءه بالنصرة والتأييد وبالكرامات في حياتهم وبعد موتهم، ثم يرزقهم بالنعيم المقيم في جنته.

* رضي الله عن سيد الشهداء، أسد الله وأسد رسول الله ﷺ.

رضي الله عن حمزة بن عبد المطلب وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح: رواه الحاكم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣١٥٨).

(٢) حسن: أخرجه الطبراني (١١/ ٣٩١) قال الهيثمي (٣/ ٢٣): إسناده حسن. والبيهقي (٤/ ١٥)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٤٦٣).

(٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ٧).

سعد بن معاذ رضي الله عنه

سعد بن معاذ رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابي الجليل الذي ملأ الدنيا زهدًا وورعًا وبذلاً وعطاءً ونُصرة لدين الله جل وعلا.

إنه الرجل الذي لما أسلم أشـرقت المدينة المنورة كلها بإسـلامه فقـد كان سببًا في إسلام قبيلته كلها.

إنه الرجل الذي وقف مـوقفًا عـظيمًا في غـزوة بدر سطَّره على جـبين التاريخ بسطور من النور... إنه الرجل الذي حكم بحكم الله من فوق سبع سموات... بل هو الذي اهتـز عرش الرحمن لموته وشيَّعه سـبعون ألفًا من الملائكة بل وحملوا جنازته.

* إننا على موعدٍ مع الـصحابي الجليل سعد بن مـعاذ رضي الله عنه الذي قالت عنه أمنا عائشـة رضي الله عنها: كان في بني عـبد الأشهل ثلاثة لم يكن أحـد أفضل منهم: سعد بن معاذ، وأُسيد بن حضير، وعبَّاد بن بِشر [(١)].

وقـال عنه الإمـام ابن القيم رحـمه الله: كان سـعد في الأنصـار بمنزلة الصـدِّيق أبي بكر في المهاجـرين، لا تأخـذه في الله لومة لائم، وخُـتم له بالشهـادة وآثر رضا الله ورسـوله على رضا قـومه وحلفائه، ووافـق حُكْمُه حُكْمَ الله من فوق سبع سموات، ونعاه جبريل عليه السلام يوم موته، فحُقَّ له أن يهتز العرش له [(٢)].

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

---

(١) الإصابة للحافظ ابن حجر (٣/ ٧١).

(٢) فيض القدير للمناوي (٣/ ٦٤).

قصة إسلامه رضي الله عنه

لقد جاء اثنا عشر رجلاً من يثرب (المدينة المنورة) وبايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الأولى..

وبعدما أتم وفد الأنصار بيعة العقبة الأولى وعادوا إلى المدينة رأى النبي ﷺ أن يبعث معهم رجلاً رحيمًا فقيهًا يعلمهم القرآن والسنة ويفقههم في الدين... فأرسل معهم مصعب بن عمير الذي ضحى بحياة النعيم والرفاهية ليصبح عبدًا لله (جل وعلا) وداعيةً صادقًا.

وذهب مصعب ونزل على دار (أسعد بن زُرارة) ليكون بيته قاعدة ينطلق منها للدعوة إلى الله جل وعلا.

وكان (أسعد بن زرارة) ابن خالة (سعد بن معاذ).

وكان سعد بن معاذ سيدًا في قبيلته (بني عبد الأشهل) فلما سمع بخبر مصعب بن عمير وأنه جاء ليدعو الناس إلى الإسلام غضب غضبًا شديدًا وأرسل (أُسيد بن حُضير) لينهى مصعب بن عمير عن الدعوة في المدينة وكان أُسيد بن حُضير سيدًا في قومه أيضًا.

فأخذ أُسيد بن حُضير حَرْبته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدُقِ الله فيه؛ قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال: فوقف عليهما متشتمًا، فقال: ما جاء بكما إلينا تُسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة؛ فقال له مصعب: أوَ تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرنا قَبِلته وإن كرهت كلامنا كففنا عنك ما تكره.

فقال أسيد: لقد أنصفت ثم ركَّز حَرْبته وجلس يستمع إلى مصعب فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن حتى قال مصعب وأسعد: والله لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يُسلم.

فقال أُسيد بن حُضير: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالا له: تغتسل وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهَّد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائى رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، (سعد بن معاذ) ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسًا وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببتَ، وقد علمت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك... فقام سعد مُغضبًا مبادرًا، تخوفًا للذى ذكر له من بنى حارثة فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد أن أُسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتمًا، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما طمعت فى هذا أتغشانا فى دارنا بما نكره؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أى مصعب، جاءك والله سيد مَن وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان: فقال له مصعب: أوَ تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن قال: فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهُّله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر وتُطهر ثوبيك ثم تشهَّد شهادة الحق، ثم تصلى ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة

الحق، ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدًا إلى نادى قومه ومعه أُسيد ابن حضير.

قال: فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم. فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فو الله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون.

وهكذا أسلم سعد ﷺ وحمل أمانة هذا الدين على أعناقه وذهب يدعو الناس إلى دين الملك جل وعلا وقلبه يتلهف شوقًا لرؤية الحبيب ﷺ وهكذا تكون ثمرة الدعوة الرحيمة.

فلما أذن الله لحبيبه ﷺ بالهجرة فرح سعد بمقدم النبى ﷺ فرحًا لا يستطيع القلم وصفه وظل ملازمًا له يقتبس من علمه وهديه وأخلاقه.

وأحب النبى ﷺ حبًا جعله يتمنى أن يفديه بنفسه وماله.

موقف تاريخى فى غزوة بدر

وها هى اللحظة التاريخية التى أظهر فيها سعد إيمانه وعقيدته وولاءه فوقف موقفًا عظيمًا لنصرة هذا الدين.

لما تحوّل الموقف يوم بدر من مجرد الحصول على العير إلى قتال بين المسلمين والمشركين أراد النبى ﷺ أن يعرف رأى الصحابة قبل الدخول فى تلك المعركة الحاسمة فاستشار أصحابه وقال: أشيروا علىَّ أيها الناس

فتكلم أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، وكذلك المقداد بن عمرو، وهؤلاء القادة الثلاثة كانوا من المهاجرين وهم أقلية في الجيش، فأحب رسول الله ﷺ أن يعرف رأي قادة الأنصار؛ لأنهم كانوا يمثلون أغلبية الجيش، ولأن ثقل المعركة سيدور على كواهلهم، مع أن نصوص بيعة العقبة لم تكن تُلزمهم بالقتال خارج ديارهم، فقال بعد سماع كلام هؤلاء القادة الثلاثة: «أشيروا عليَّ أيها الناس» وإنما يريد الأنصار، . . . وفَطِن إلى ذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد بن معاذ فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟.

قال: «أجل»، قال سعد: فقد آمنا بك، فصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فَخُضْتَه لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوًا غدًا، إنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، ولعل الله يُرِيك منا ما تقرّ به عينك فسِرْ بنا على بركة الله.

فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشَّطه ذلك، ثم قال: «سيروا وأبشروا؛ فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»[1].

موقفه العظيم في يوم الأحزاب

وفي يوم غزوة الأحزاب (الخندق) بلغ عدد المشركين الذين حاصروا المدينة عشرة آلاف مشرك يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين.

وكان من بين هؤلاء المشركين الذين حاصروا المدينة (قبيلة غطفان) فأراد

(١) السيرة لابن هشام (٢/ ٤٤٧) والقصة صححها العلامة الألباني رحمه الله في تخريج فقه السيرة (ص٢٢٣).

النبي ﷺ أن يعقد صلحًا منفردًا مع غطفان لترجع وتفك الحصار عن المدينة في مقابل أن يعطيهم كل سنة ثُلث ثمار نخل المدينة.

واستشار النبي ﷺ السعدين (سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة) فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم (يعني غطفان) لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة، إلا ضيافة أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم... ثم خرج سعد إلى سيدي غطفان وقد رفع صوته في تحدٍّ: ارجعا، ليس بيننا وبينكم غير السيف.

سعد يحكم بحكم الله من فوق سبع سماوات

حبايبي الحلوين: نحن نعلم أن المشركين لما جاءوا وحاصروا المدينة في غزوة الخندق وفوجئوا بوجود الخندق الذي حال بينهم وبين غزو المدينة فما كان منهم إلا أن لجأوا إلى خيانة اليهود المقيمين في المدينة (وهم يهود بني قريظة).

ولقد كان هناك عهد بين النبي ﷺ وبين يهود بني قريظة أنه إذا هجم عدو على المدينة فإنهم يقفون سويًّا للدفاع عن المدينة أو أن يكون اليهود على الحياد فلا يقاتلون مع أحد.

لكن اليهود هم اليهود فقد خانوا العهد مع النبي ﷺ وأرادوا أن يفتحوا الأبواب الخلفية للمشركين لكي يقضوا على الإسلام والمسلمين.

لكن الله عز وجل كان لهم بالمرصاد فلم يتمكنوا من ذلك بل خذَّل الله بينهم وبين المشركين وقام النبي ﷺ يدعو فسلط الله الريح على المشركين تقلع خيامهم وتسكب قدورهم حتى رحلوا عن المدينة.

وفي غزوة الخندق كان سعد بن معاذ قد أُصيب بسهم فدعا سعد وقال:

اللهم لا تُمتني حتى تُقر عيني من بني قريظة... فتماسك الدم ووقف النزيف بفضل الله جل وعلا.

ولما رحل المشركون عن المدينة أراد النبي ﷺ أن يُصفي حساباته مع يهود بني قريظة فأتاهم ومعه أصحابه فحاصرهم خمسة وعشرين ليلة.

فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا (أبا لُبابة بن عبد المنذر) فأشار إليهم أنه الذبح، فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فأُتي به على حمار قد حُمل عليه وحَفَّ به قومه.

وكان سعد بن معاذ صديقًا ليهود بني قريظة في الجاهلية فلما أسلم أصبح عدوًا لهم لأنه جعل ولاءه لله ورسوله ﷺ وللمؤمنين فلما رآه يهود بني قريظة ظنوا أنه سيرفق بهم فقالوا له: يا أبا عمرو لا تنسَ حلفاءك ومواليك وأصحابك، فلم يرد عليهم ولم يلتفت إليهم ثم قال بعدها: لقد آن الآوان أن لا يأخذني في الله لومة لائم.

ثم قال له رسول الله ﷺ: «احكم فيهم» قال سعد: فإني احكم فيهم أن تُقتل مقاتلتهم وتُسبَى ذراريهم وتُقسم أموالهم فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله» قال: ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئًا فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك.

قالت: فانفجر جُرحه وكان قد برأ إلا مثل الحلقة الصغيرة.

ثم عاد سعد إلى الخيمة التي كان يُعالَج فيها وبدأ في سكرات الموت فجاء إليه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر.

قالت أمنا عائشة: فوالله إني لأعرف بكاء النبي ﷺ من بكاء أبي بكر من بكاء عمر.

عرش الرحمن يهتز لموته ويشيعه سبعون ألفا من الملائكة

وها نحن نعيش من خلال تلك السطور مع تلك الكرامات التي حدثت لسعد بن معاذ رضي الله عنه . . . تلك الكرامات التي تُبهر العقول وتُحير الألباب.

فها هو الحبيب ﷺ يدخل على سعد وهو يكيد نفسه فقال: «جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت ما وعدته، ولَيُنجزنَّك الله ما وعدك»(١).

فها هو سعد بن معاذ يهتز لموته عرش الرحمن جل جلاله. فلقد نزل جبريل ليُخبر النبي ﷺ أن عرش الرحمن قد اهتز فرحًا بقدوم روح سعد ابن معاذ رضي الله عنه.

فخرج النبي ﷺ ليبشر أصحابه بهذه البشرى فقال لهم: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»(٢).

ولما علمت أم سعد بموت ابنها جاءت وهي تصيح حزنًا على ولدها فقال لها النبي ﷺ: «يا أم سعد ألا يرقا دمعك ويذهب حزنك بأن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش؟»(٣).

الملائكة تحمل جنازة سعد

عن محمود بن لبيب قال: لما أُصيب أكحل سعد فثقل، حوَّلوه عند امرأة يقال لها رُفيدة تداوي الجرحى، فكان النبي ﷺ إذا مرَّ به يقول: كيف أمسيت، وكيف أصبحت؟ فيخبره حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل، فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله فقيل: انطلقوا به، فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوعُ نعالنا،

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢) وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٠٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٦٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) رواه الطبراني (٦/ ١٢)، والحاكم (٣/٢٢٨)، وأحمد (٦/٤٥٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (٥٥٩).

وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه فقال: «إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتُغسله كما غسَّلت حنظلة» فانتهى إلى البيت، وهو يُغسَّل وأمه تبكيه. فقال: «كل باكية تكذب إلا أم سعد» ثم خرج به، قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتًا أخف علينا منه. قال: «ما يمنعه أن يخف وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم، قد حملوه معكم»[1].

مناديل سعد بن معاذ في الجنة

عن أبي إسحاق قال: سمعتُ البراء يقول: أُهديت لرسول الله ﷺ حُلة حرير، فجعل أصحابه يلمسونها، يعجبون من لينها، فقال: «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة، خيرٌ منها وألين»[2].

* حبايبي الحلوين: لقد أسلم سعد بن معاذ وعمره ثلاثون سنة وتوفي بعد أن بلغ من العمر ستًا وثلاثين سنة فقدَّم لهذا الدين في ست سنوات ما لم يستطع غيره أن يقدمه في سبعين سنة.

* وهكذا اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ وفُتحت له أبواب السماء وشيَّعه سبعون ألفًا من الملائكة.

* رضي الله عن سعد بن معاذ وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *

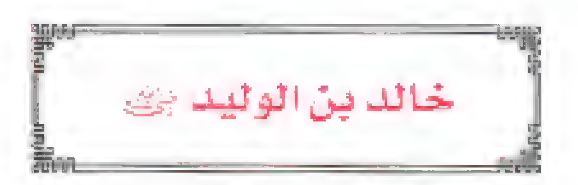
---

(١) صحيح: رواه ابن سعد (٣ / ٤٢٧ - ٤٢٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١١٥٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٤٦٨) كتاب فضائل الصحابة.



خالد بن الوليد رضي الله عنه



خالد بن الوليد رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابي الجليل.

إنه الرجل الذي رفع الله به هامات المسلمين ورايات الإسلام خفاقة عالية تعانق كواكب الجوزاء.

إنه خالد بن الوليد رضي الله عنه سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد الإمام الأمير الكبير، قائد المجاهدين.

إنه الرجل الذي سمَّاه النبي ﷺ سيف الله فقال ﷺ: «إن خالداً سيفٌ سلَّه الله على المشركين»[1].

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

من هنا نبدأ

لقد عاش الناس في أرض الجزيرة زمانًا طويلاً على الشرك والوثنية فأراد الله أن يُخرجهم من الظلمات إلى النور فأرسل حبيبه محمدًا ﷺ برسالة الإسلام لهداية البشرية كلها.

فآمن مَن آمن من أهل مكة ولكن بقي أكثر أهلها على الشرك وظل أكثر الناس يكتمون إيمانهم خوفًا من بطش قريش الذين كانوا يعذبون المؤمنين عذابًا شديدًا.

وكان من بين الطُّغاة الذين يعيشون في مكة رجل اسمه الوليد بن المغيرة

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٨/١)، والطبراني (١٠٣/٤)، والحاكم (٢٣٧/٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٢٠٧).

فقد كان رجلاً جباراً وكان يؤذى النبى ﷺ وكل من آمن به من المسلمين.

وكان الوليد من قبيلة بنى مخزوم وكان يتمتع بمنزلة كبيرة ومكانة عظيمة فى قومه وكان من أشد الناس كِبراً وغروراً ومن أجل ذلك صرفه الكبر والعناد عن قبول الحق وجعله يُظاهر النبى ﷺ وأصحابه بالإيذاء والعداوة وبخاصة العبيد والضعفاء.

وفى يوم من الأيام لما حضر موسم الحج وجاءت قبائل العرب خاف الوليد من أن يستمع الناس لكلام النبى ﷺ فيُسلموا... فجمع كبار المشركين من قريش وقال لهم: يا معشر قريش لقد حضر الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر محمد ﷺ فأجمِعوا على رأى واحد ولا تختلفوا فيُكذِّب بعضكم بعضاً فماذا تقولون للناس إذا سألوكم عن محمد؟

فقالوا: نقول إنه كاهن.

فقال الوليد: والله ما هو بكاهن فلقد رأينا الكُهّان.

قالوا: نقول إنه مجنون.

قال: والله ما هو بمجنون فلقد رأينا الجنون وعرفناه.

قالوا: نقول إنه شاعر.

قال: ما هو بشاعر فلقد عرفنا الشعر كله.

قالوا: فماذا نقول فيه؟

قال: نقول إنه ساحر جاء بقولٍ هو سحرٌ يُفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وأخيه وبين المرء وعشيرته.

فوافقوا على ذلك وأخذوا يجلسون على الطرق التى يمر بها الناس عند قدومهم إلى موسم الحج، فكانوا لا يمر بهم أحدٌ من الناس إلا حذروه من محمد ﷺ وقالوا له إنه ساحر.

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة قوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾[1].

لقد قال الوليد بن المغيرة عن النبي ﷺ أنه ساحر وأنه جاء بالسحر مع أنه لما ذهب إلى النبي ﷺ واستمع إليه وهو يقرأ القرآن تأثر به غاية التأثر وعاد إلى قريش وهو يصف النبي ﷺ ويصف ما سمعه منه ويقول: «والله لقد سمعت منه كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمُغدق وإنه ليعلو ولا يُعلَى عليه، وما يقول هذا بشر!!».

فلما خشي المشركون من إسلام الوليد بن المغيرة أنكروا عليه ذلك فما كان منه إلا أن ذكر لهم ما يُبرر به هذا الإعجاب فقال لهم: إن محمداً ساحرٌ يسحر بكلامه عقول الناس... أما رأيتم أنه يفرق بين الرجل وأهله وعشيرته.

فرضي المشركون بهذا الكلام بعد أن خافوا عليه من أن يصبح مسلمًا.

ولم يكن الوليد بن المغيرة جبارًا مع الناس فحسب بل كان جبارًا شديدًا على أبنائه في بيته فلم يكن أحدٌ من أبنائه الأربعة: خالد، وهشام، والوليد، وعمارة يجرؤ أبدًا على مخالفة أمره.

ومن هنا ورث خالد بن الوليد عن أبيه كثيرًا من طباعه وأخلاقه وكان من أكثر الأشياء التي ورثها خالد عن أبيه كراهيته للإسلام والمسلمين وعداوته الشديدة للنبي ﷺ.

---

(١) سورة المدثر: الآيات: (١١- ٣٠).

فقد نشأ خالد بن الوليد على تلك العداوة وكان يشارك المشركين في عداوتهم للنبي ﷺ وأصحابه دون أن يفكر ولو للحظة واحدة عن سبب تلك العداوة.

خالد في يوم أحد

وكان أول موقف برز فيه خالد هو غزوة أحد، فبالرغم من الهزيمة الساحقة التي نزلت بالمشركين في أول جولة من الحرب، فإن خالدًا ظل قويًّا متماسكًا فلم تضعف عزيمته كما حدث لكثير من أبطال قريش الذين فروا هاربين بعد أن رأوا سيوف المسلمين تحصد رقاب المشركين وأشلاء القتلى تنتشر في كل مكان.

ظل خالد يقظًا ثابت النفس يرتقب ثغرة ينفذ منها إلى الجيش المنتصر، ليحول هزيمة قومه إلى نصرٍ سريع، وأدرك خالد ببصيرته العسكرية النافذة أن الفرصة قد أصبحت سانحة له لتحقيق خطته حينما رأى أن الرماة الذين وقفوا على جبل عَيْنين عن يسار أُحد قد تخلوا عن أماكنهم وانطلقوا يطاردون فلول المشركين الفارين مخالفين بذلك أوامر النبي ﷺ بالثبات في أماكنهم وقد ظنوا أن النصر قد أصبح محققًا للمسلمين بعد تلك الهزيمة النكراء التي لحقت بالمشركين؛ فقرر خالد مفاجأة المسلمين بالالتفاف من خلفهم، والقضاء على العدد القليل الذي بقي من الرماة فوق الجبل، ومهاجمة جيش المسلمين والانقضاض عليهم.

وفوجئ المسلمون بما حدث؛ فاضطربت صفوفهم، وانتشرت الفوضى، وعمَّ الخلل والاضطراب، وتبدَّل الموقف، وتحولت هزيمة المشركين إلى نصر(1).

---

(1) قادة وأبطال (خالد بن الوليد)/ أ. سمير حلبي (ص: ١٠- ١٢) بتصرف.

وفي غزوة الخندق

وفي غزوة الخندق اجتمعت كتائب الشرك حول المدينة المنورة للقضاء على الإسلام والمسلمين وكان عدد المشركين عشرة آلاف مشرك ولكنهم لم يستطيعوا أن يدخلوا المدينة لأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا قد حفروا خندقًا حول المدينة.

وهنا قام خالد بن الوليد ومعه مجموعة من الفرسان فحاولوا اقتحام الخندق.

وظلوا يبحثون عن ثغرة يستطيعون من خلالها أن يصلوا إلى المسلمين فتصدَّى لهم أصحاب النبي ﷺ وظل القتال دائرًا بينهم حتى أظلم الليل واستمر حصار المشركين للمسلمين إلى أن قام النبي ﷺ ودعا وقال: «اللهم مُنزل الكتاب مُجري السحاب هازم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم»[1]، فسلط الله عليهم الريح فقلعت خيامهم وكفأت قدورهم وأرسل جُندًا من الملائكة يزلزلونهم ويُلقون في قلوبهم الرعب. فما كان منهم إلا أن ارتحلوا عن المدينة وانتهى الحصار بفضل الله جل وعلا.

وكان تعلُّق المسلمين بدينهم واستشهادهم في الدفاع عنه، وتحمُّلهم كل صنوف الأذى والعذاب في سبيله، يثير الحيرة والعجب في نفس خالد، وظل خالد في حيرة من أمره، يعاني صراعًا شديدًا بين ما أَلِفه وتوارثه عن آبائه وأجداده من الشرك والوثنية وعادات الجاهلية القبيحة وبين ما سمعه عن الإسلام من سمو وقداسة، وما يدعو إليه ذلك الدين من خير ورُشد وهداية، فتطلعت نفسه إلى الإسلام وهفت روحه إلى ما فيه من خير ورفعة، ولكنه ظل مترددًا في أمره يتخبط في مخاوفه وأفكاره حتى جاءته

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٤٢) كتاب الجهاد والسير.

رسالة من أخيه الوليد، يذكر له ثناء النبى ﷺ عليه، ورغبته فى دخوله الإسلام، فكان لها أكبر الأثر فى تغلُّبه على حالة التردد التى كان يعانى منها، وسارع بالدخول فى الإسلام.

وقد تأخر إسلام خالد إلى ما بعد الحديبية، وكانت هجرته إلى المدينة سنة ثمان من الهجرة، فلما قَدِم إليها مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة قال النبى ﷺ لأصحابه: «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها»(١).

خالد ينقذ الجيش فى سرية مؤتة

كان سبب هذه السرية أن رسول الله ﷺ كان قد بعث الحارث بن عُمير الأزدى بكتابه إلى ملك الروم فى الشام فتعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فأوثقه ثم قتله... وكان قتل السفراء والرسل الذين يرسلهم الملوك والرؤساء جريمة كُبرى.. فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ لما وصله هذا الخبر فجهز جيشًا من ثلاثة آلاف مقاتل ليرسله إليهم.

تعيين القادة الثلاثة

وفى هذه السرية أمَّر رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وقال: «إن قُتل زيدٌ فجعفر وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة»(٢).

ومع أن النبى ﷺ كان لا يعين لأى سرية إلا قائدًا واحدًا إلا أنه فى هذه السرية أمَّر ثلاثة.. وذلك لأهمية هذه السرية.



(١) قادة رأطفال (ص: ١٤-١٥).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦١) كتاب المغازى.

المفاجأة الكبرى

لقد خرج الجيش المسلم... وخرج رسول الله ﷺ يودعهم ويدعو لهم.

* ومضى الجيش فى طريقه حتى وصلوا إلى مكان فى أرض الشام يُسمى (معان) وهنا بدأوا فى جمع المعلومات عن الجيش الذى سيقابلوه.

وإذا بالمفاجأة الكبرى فى انتظارهم... فقد علموا أن الجيش قد بلغ مائتى ألف... فى حين أن عدد المسلمين ثلاثة آلاف رجل.

وبدأ القتال

وهناك فى مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير، ثلاثة آلاف رجل يواجهون هجمات مائتى ألف مقاتل... معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا هبّت ريح الإيمان جاءت بالعجائب.

أخذ الراية زيد بن حارثة - حِبُّ رسول الله ﷺ - وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة لا يوجد لها نظير إلا فى أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاتل حتى شاط فى رماح القوم، وخرّ صريعًا.

وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبى طالب، وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قُطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قُطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعًا إياها حتى قُتل.

يقال: إن روميًا ضربه ضربة قطعته نصفين، وأثابه الله بجناحيه جناحين فى الجنة، يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سُمّى بجعفر الطيار، وبجعفر ذى الجناحين[1].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٢٦٤) عن ابن عمر ﵄ أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال: «السلام عليك يا ابن ذى الجناحين»، وقد صح مرفوعًا إثبات الجناحين لجعفر انظر «فتح البارى» (٧/ ٧٦).

ولما قُتل جعفر بعد القتال بمثل هذه الضراوة والبسالة أخذ الراية عبد الله ابن رواحة، وتقدم بها وهو على فرسه فجعل يُقبل على الجهاد ثم يتردد بعض الشيء.. فجاءه ابن عمه بقطعة من اللحم وقال له: خذ هذه واشدد بها صُلبك فإنك لقيت ما لقيت في هذه الأيام من الشدة والمتاعب.

فأخذها عبد الله بن رواحة حتى نظر إلى نفسه وقال لها: وأنتِ ما زلتِ حية في الدنيا... ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل.

فأخذ الراية ثابت بن أرقم وقال: يا أيها الناس اصطلحوا على رجل منكم.

قالوا: أنت.

قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف»[1].

لقد كان هدف (خالد) مناوشة الرومان بحيث يُلحق بهم أفدح الخسائر دون أن يُعرض كتلة الجيش لالتحام عام، وقد أفلحت هذه الخطة في إنقاذ الآلاف القليلة التي معه، وإنقاذ سمعة المسلمين في أول معركة لهم مع الدولة الكبرى.

والعجيب أن الرومان أعياهم هذا القتال وأُصيبوا فيه بخسائر كبيرة، بل إن بعض فرقهم انكشف، وولى مهزومًا. واكتفى خالد بهذه النتيجة، وآثر الانصراف بمن معه[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٥٩، ١٦٠): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٤١٢).

فتح مكة

وشارك خالد بن الوليد فى القتال مع المسلمين فى فتح مكة، وكان النبى القائد ﷺ قد بنى خطته العسكرية لفتح مكة فتحًا سلميًّا حتى لا تُراق فيه الدماء، معتمدًا فى ذلك على السِّرِّيَّة وتحقيق عنصر المفاجأة.

وجعل النبى ﷺ «خالد بن الوليد» على الميمنة، وكانت تلك أول إمارة رسمية لخالد، وكان عليه أن يدخل مكة من موضع (اللِّيط) وكان معه أكثر من ثلث جيش المسلمين مما يؤكد ثقة النبى ﷺ فى خالد، وتقديره لعبقريته العسكرية وقدراته القتالية المتميزة.

وبعد أن أتم الله فتحه للمسلمين أرسل النبى ﷺ خالدًا فى ثلاثين فارسًا إلى غطفان؛ ليُحطم واحدًا من أكبر أصنام العرب، ويمحو (العُزَّى) التى كانت من أكبر معاقل الشرك والوثنية فى بلاد العرب.

موقفه فى غزوة حنين

وفى غزوة حنين كان خالد على طليعة جيش المسلمين، وكان جيش المسلمين كبير العدد، كثير السلاح؛ مما دفع كثيرًا من المسلمين إلى التراخى، والاستهانة بعدوهم واغتروا بقوتهم وكثرة عددهم، ففاجأهم المشركون من كل ناحية، مما اضطر خالد بن الوليد إلى الانسحاب بكتيبته؛ ليعيد تنظيم صفوفه، ويتدارك موقفه من جديد ثم يعاود الهجوم على المشركين مرة أخرى، ويدافع عن النبى ﷺ ببسالة وبطولة، فلما رآه المسلمون دَبَّ الحماس فى قلوبهم، وأقبلوا يقاتلون بشجاعة وحماس، حتى كتب الله النصر للمؤمنين.

وكان لانتصار المسلمين فى تلك الغزوة أكبر الأثر فى بَثِّ الرعب والفزع فى قلوب قبائل العرب من المشركين.

غزوة تبوك

ولكن المسلمين لم يهنئوا طويلاً بهذا النصر، فسرعان ما جاءت الأنباء بأن الروم حشدت جموعًا كثيرة في الشام استعدادًا لمهاجمة المسلمين وأنهم استطاعوا استمالة بعض قبائل الأعراب على الحدود الفاصلة بين الجزيرة العربية وبلاد الروم،... فدعا النبي ﷺ للاستعداد للقتال والمسير إلى الشام، وانطلق النبي ﷺ ومعه المسلمون، حتى وصل إلى تبوك، ولكنه لم يلقَ أحدًا من الروم، فأقام بها بضعة عشر ليلة ثم عاد إلى المدينة.

وأرسل النبي ﷺ خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل، واستطاع خالد أن يأسر قائدهم (أكيدر) وأخاه، وعاد بهما إلى النبي ﷺ فصالحهما على الجزية، وأمَّنهما على نفسيهما وقومهما.

ثم أرسل النبي ﷺ خالدًا إلى ثقيف ليهدم (اللات) كما هدم (العزَّى) من قبل، ثم بعثه إلى نجران ليُعلمهم شرائع الإسلام.

ولكن خالدًا الذي عشق الفروسية عاوده الحنين إلى الجهاد، فكتب إلى النبي ﷺ يبلغه أنه أدى مهمته، ويُظهر له رغبته في مواصلة الجهاد في سبيل الله.

جهاده ضد المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ

وتمر الأيام وتأتي اللحظة العصيبة في حياة أصحاب الرسول ﷺ فقد مات الحبيب ﷺ ورحل عن دنيا الناس.

وحزن خالد بن الوليد لموت النبي ﷺ حزنًا شديدًا ولكن العزاء في أن النبي ﷺ كان راضيًا عن خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وتولى أبو بكر الصديق خلافة المسلمين، وارتد مَن ارتد من قبائل العرب، وتكالب أهل الشرك وأعداء الإسلام على دولة الإسلام الوليدة،

يريدون الفتك بهـا، وطمع الأعراب من سُكان البادية في المسلمين، وظنوا أن الفرصـة قد أصبحت سانـحة للانقضاض عليـهم، ولكن أبا بكر تصدَّى لتلك الفتنة بشجاعـة وحزم، وكان سيف الله خالد خير عـون لخليفة رسول الله في القضاء على مُدَّعي النبـوة ومانعي الزكاة والمرتدين، ولم يكن خالد في حاجة إلى وصية الصدِّيق الخالدة:

«احرص على الموت توهب لك الحيـاة!» فقد كانت همته عـالية وروحه وثَّابة إلى القتال، فـقد كان يطمع في الفوز بإحدى الحُسنيـين: إما النصر أو الشهادة.

واستطاع خالد أن يُنزل الهزائم الساحقة بجماعات المرتدين وقبائل العرب الخارجـة عن الإسلام... فهزم طُليـحة الأسدي وأصحـابه وكان ممن تزعم حركة الردة، وتتبع قبائل المرتدين والموالين لهم، في حملة تأديبية واسعة.

ثم انطلق بعد ذلك إلى اليـمامة لقتـال بني حنيفة قوم مسـيلمة الكذاب الذي ادَّعى النبوة وارتد عن الإسلام، ودار قتـال عنيف بين الفريقين، حتى استُشـهد عدد كبيرٌ من الـصحابة من حفظة القرآن الكريم فـحمل خالد في أصحابه على مسيلمة وأتباعه فقتلوا مسيلمة وكثيراً من المرتدين الذين احتموا بحديقة الموت، فلـم يكد نبأ مصرع مسـيلمة يسري بين أتباعـه حتى خارت عزيمتهم ووهنت قوتهم، وانفرط عقدهم، وولوا منهزمين.

وكان لخالد دور بارز في تلك الحملات التي أعادت الأمن والسلام إلى أرجاء الجزيرة العربية، بعد أن أعادت الكثيرين منهم إلى رحاب الإسلام، وحفظت هيبة الإسلام ومكانته في قلوب أعدائه، فانطفأت نيران تلك الفتنة الخطيرة.

❊ ❊ ❊

جهاده في بلاد فارس والشام

واستمر خالد يحقق المزيد من البطولات والانتصارات للإسلام والمسلمين ويسجل صفحات مشرقة من الأمجاد والبطولات كما ساهم بنصيب وافر في الفتوحات الإسلامية في العراق وفارس، واستطاع أن يُنزل الهزائم المتلاحقة بالفرس والروم، فانتصر على الفرس في العراق، وهزمهم في ذات السلاسل والمذار، وظل يُلحق بهم الهزائم في (الوجلة وأُلّيس وأمغيشيا)، حتى فتح الحيرة، وغزا الفرس في عُقر دارهم، وانتصر عليهم في (الأنبار وعين التمر).

وتعاقبت انتصارات خالد على الفرس في (الحنافس والحصيد والفِراض) التي كانت آخر معارك خالد مع الفرس في العراق.

كما كانت له انتصارات خالدة، وأمجاد عظيمة، وبطولات نادرة مع الروم بعد أن قذف الله في قلوبهم الرعب منه، بعد انتشار أنباء انتصاراته على الفرس، وقد أدرك الخليفة أبو بكر الصديق تلك الحقيقة حينما وقع اختياره على خالد للتصدي للروم فقال: والله لأُنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد.

فنصره الله عليهم في اليرموك، وقد تجلَّت عبقرية خالد العسكرية ومهاراته وخبرته كقائد بشكل واضح في تلك المعركة؛ فقد سلك خالدٌ طريقًا غير مألوف عبر الصحراء مختصرًا الطريق؛ ليفاجئ الروم قبل أن تصلهم أنباء تحرك جيش المسلمين إليهم، كما أعاد تنظيم صفوف الجيش وعبأه على نحو لم تألفه العرب من قبل، وجعله كتائب، وصفَّه بشكل يُكثر عددهم في أعين عدوهم ليُلقي فيهم الرهبة والخوف، وبالرغم من أن جيش الروم كان يزيد عنهم بنحو خمسة أضعاف إلا أن النصر كان حليفًا لجيش المسلمين.

وبينما كانت المعركة على أشدها بين المسلمين والروم، جاء البريد إلى خالد بنبأ وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، واستخلاف عمر بن الخطاب وعزله لخالد بن الوليد عن قيادة الجيش وتولية أبي عبيدة بن الجراح الإمارة العامة[1].

إخلاص يندر وجوده في هذا الزمان

وفي غمرة هذا النصر العظيم يأتي قرار أمير المؤمنين عمر بعزل خالد من قيادة الجيوش.

ولله دره حين عُزل وهو في المعركة وفي أوج انتصاره فما ترك العزل في نفسه أثرًا، لا فرق عنده بين أن يكون قائدًا عامًا، أو قائدًا مرؤوسًا أو رجلاً من المسلمين.

ولقد بيّن الفاروق رضي الله عنه السبب الذي من أجله عزل خالدًا رضي الله عنه فقال: إني لم أعزل خالدًا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فُتنوا به فخفت أن يُوكلوا إليه فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة.

ولكن خالدًا لم تقف به همته وطبيعته العسكرية فبالرغم من قرار عزله عن قيادة الجيش، إلا أن ذلك الأمر لم يؤثر على أداء خالد العسكري، ولم يصرفه عن المشاركة في الفتوحات كجندي من جنود المسلمين، وواحد من فرسانهم، فقد شارك في أجنادين ومرج الصفر وحصار دمشق وفتحها، كما شارك في فتح (قِنّسرين)، وشهد فتح بيت المقدس، وكان مثالاً صادقًا للجندية الحقة، كما كان نموذجًا فريدًا للقائد العظيم.

وكانت له مواقفه الجريئة وبطولاته النادرة حتى قال عنه عمر بن الخطاب: أمّرَ خالد نفسه.... رحم الله أبا بكر هو كان أعلم مني بالرجال.

---

(١) قادة وأبطال (ص ١٧- ٢٧) بتصرف.

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالبذل والتضحية والجهاد فى سبيل الله... نام سيف الله على فراش الموت حزينًا على أنه بعد تلك المعارك التى خاضها لم يمت شهيدًا.

وأقول لك يا خالد الاسم والذكر: إن كان رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى قال: «من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[1].

فكيف بك يا خالد وقد فتح الله على يديك البلاد وقلوب العباد وكان المسلمون معك ينتقلون دومًا من نصر إلى نصر بإذن الله.

تالله إنى لأرجو الله أن يرزقك أجر شهداء المسلمين فى كل زمان... فلقد كان لسيرتك الأثر العظيم فى نفس كل شهيد بذل ماله ودمه ونفسه فى سبيل الله.

ولما حضرت خالدًا الوفاة، قال: لقد طلبتُ القتل فى مظانّه فلم يُقدَّر لى إلا أن أموت على فراشى وما من عملى شىءٌ أرجَى عندى بعد التوحيد من ليلة بتُّها وأنا مُترس، والسماء تهلّنى ننتظر الصبح حتى نُغير على الكفار.

ثم قال: إذا متُّ فانظروا إلى سلاحى وفرسى، فاجعلوه عدة فى سبيل الله.

وحينما حضرته الوفاة انسابت الدموع من عينيه حارة حزينة ضارعة ولم تكن دموعه رهبة من الموت، أو رغبة فى الحياة؛ فلطالما واجه الموت بحدِّ سيفه فى المعارك، يحمل روحه على سِنِّ رُمحه وإنما كان حزنه وبكاؤه شوقًا إلى الشهادة فقد عزَّ عليه وهو الذى قضى حياته بين ساحات الوغى وميادين

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمارة.

القتال، يُلوح بسيفه فترتجف له قلوب أعدائه وتُزلزل الأرض من تحت أقدامهم أن يموت على فراشه ولا يُستشهد كما تمنّى دائمًا أن يموت!!

وجاءت كلماته الأخيرة تعبر عن ذلك الحزن والأسى في تأثُّر شديد:

«لقد حضرت كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء!!!»[1].

* رضي الله عن خالد بن الوليد وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *

(١) قادة وأبطال (ص: ٢٨- ٣٢) بتصرف.



أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه



أبو طلحة الأنصارى رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابى الجليل الذى ملأ الدنيا زهدًا وورعًا وبذلاً وتضحية وجهادًا فى سبيل الله جل وعلا.

إنه الصحابى الذين قال عنه النبى ﷺ: «لصوت أبى طلحة فى الجيش خيرٌ من ألف رجل».

إنه الصحابى الذى أسلم لله جل وعلا وكان إسلامه مهرًا لامرأة من نساء أهل الجنة.

إنه أبو طلحة الأنصارى رضي الله عنه.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

قصة إسلامه وزواجه من أم سليم

لقد أسلمت أم سُليم رضي الله عنها وكان زوجها مالك (والد أنس) ما زال كافرًا وذات مرة سمع مالك زوجته تردد بعزيمة أقوى من الصخر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ..... فخرج من البيت غاضبًا فلقيه عدوٌ له فقتله.

ولما علمت أم سليم بمقتل زوجها احتسبت وقالت: لا أفطم أنسًا حتى يدع الثدى، ولا أتزوج حتى يأمرنى أنس.

وذهبت أم أنس إلى الرسول ﷺ على استحياء وعرضت عليه أن يكون أنس خادمًا عنده، فرحَّب وأقرَّ عينها بذلك.

ومضى الناس يتحدثون عن أنس بن مالك وأمه بإعجاب وتقدير.

ويسمع أبو طلحة بالخبر، فيتقدم للزواج من أم سليم ويعرض عليها

مهرًا غاليًـا إلا أن المفاجأة أذهلته وعقلت لسـانه عندما رفضت أم سليم كل ذلك بعزة وكرامة، وهي تقول: إنه لا ينبـغي أن أتزوج مشركًا، أما تعلم يا أبا طلحـة أن آلهـتكم ينحـتـهـا آل فـلان، وإنكم لو أشـعلتم فـيـهـا نارًا لاحترقت[1]، فأحسَّ أبو طلحة بضيق شديد، فانصرف وهو لا يكاد يصدق ما يرى ويسمع، لكنه عـاد في اليوم التالي يُمنيهـا بمهرٍ أكبر وعيشـة رغيدة عساها تلين وتقبل. ولكن أم سليم الداعية اللبيبة الذكية - التي ترى الدنيا تتراقص أمام عينيـها، حيث المال والجاه والشباب - تشـعر بأن قلعة الإسلام في قلبها أقوى من كل نعيم الدنيـا، فقالت بأدبٍ جَم: والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرد ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تُسلم فذاك مهري ولا أسألك غيره [2].

لقد هزت هذه الكلمات أعماقه ومـلأت كيانه، فقد تمكنت أم سليم من قلبه تمامًـا، إنها المرأة العـاقلة التي تفرض وجودها، وهـل يجد خيـرًا منها تكون زوجًا له، وأمًا لأولاده؟؟![3].

فألقى اللهُ الإسلام في قلبـه وأحسَّ بعظمة هذا الدين الذي يجعل تلكم المرأة لا تتأثر بمغـريات الدنيا وزينتـها، بل إنها تسـتعلي بإيمانهـا فوق ذلك كله.

فأراد أبو طلحة أن يعلن إسلامـه فقال لها: فمن لي بذلك؟ قالت: النبي ﷺ... فـانطلق يريده. فـقـال النبي ﷺ: «جـاءكم أبو طلحة و غُـرة الإسـلام بين عينيه»[4].

ما شعر إلا ولسانه يردد (أنا على مثل ما أنت عليه، أشهد أن لا إله إلا

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ٤٢٦)، الإصابة لابن حجر (٨/ ٢٤٣) بتصرف.

(٢) الإصابة لابن حجر (٨/ ٢٤٣)، الحلية (٢/ ٥٩- ٦٠) بتصرف.

(٣) إنها الجنة يا أختاه/ للمصنف (ص ٣٠).

(٤) أخرجه الطيالسي في مسنده (٢/ ١٥٩، ١٦٠).

الله وأشهد أن محمداً رسول الله) فالتفتت أم سليم إلى ابنها أنس، وهي تقول بسعادة بالغة بعد أن هدى الله على يديها أبا طلحة: قُم يا أنس فزوِّج أبا طلحة... فزوجها وكان مهرها الإسلام.

وبذلك قال راوي الحديث: فما سمعنا بِمهرٍ كان قَطّ أكرم من مهر أم سُليم... كان مهرها الإسلام.

ومنذ تلك اللحظة عاش أبو طلحة رضي الله عنه في رحاب الوحي ونوره وخالط الإيمان شغاف قلبه حتى أحس وكأنه أسعد إنسان في الدنيا كلها ولِمَ لا؟ وهو يعيش في جنة الدنيا بإيمانه بل وتعيش في بيته امرأة من أهل الجنة!!!

فقد قال ﷺ ذات مرة: «دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فقلت: ما هذه الخشفة؟ فقيل: الغُميصاء بنت ملحان»[(١)].

والغميصاء بنت ملحان هي أم سليم رضي الله عنها... وفوق هذا النعيم كله أنه أحبَّ رسول الله ﷺ حبًا مَلَك عليه فؤاده وجوارحه حتى كان يتمنى في أي لحظة أن يفديه بنفسه وماله وبكل ما يملك.

ولقد كان أبو طلحة أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة ومعه زوجه أم سليم بل كان أحد النُقباء الاثنى عشر الذين أمَّرهم الرسول ﷺ في تلك الليلة على مُسلمي يثرب.

إنما يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب

وشاء الله عز وجل أن يرزقه بولد من أم سليم ملأ عليهما حياتهما.

وشاء الله أن يمتحنهما بهذا الطفل الجميل فمرض الولد مرضًا شديدًا وذات مرة خرج أبو طلحة فمات الولد فتلقَّت أم سليم موت ابنها بصبرٍ وثبات ورضاء بقضاء الله فقالت: الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٦) كتاب فضائل الصحابة.

ثم طلبت من أهلها ألا يُخبروا أبا طلحة بموت ابنه حتى تخبره هي فلما عاد أبو طلحة قامت أم سُليم فاستقبلته أحسن استقبال وأعدت له طعامًا شهيًا فأكل ثم تزينت له ثم قالت له: يا أبا طلحة لو أن أناسًا وضعوا عندك أمانة ثم طلبوها فهل من حقك أن تمنعها عنهم؟ قال لها: لا.

فقالت له: فاحتسب ابنك فقد استرد الله الأمانة التي كانت عندنا فغضب أبو طلحة وذهب إلى النبي وأخبره بما فعلته أم سُليم فتبسم النبي ﷺ وقال له: «بارك الله لكما في ليلتكما».

فحملت أم سُليم في هذه الليلة فلما وضعت بعد ذلك أرسلت هذا الطفل مع ابنها أنس بن مالك إلى الرسول ﷺ فلما رآه الرسول ﷺ قال له: «لعل أم سليم قد ولدت» فقال أنس: نعم يا رسول الله.

فأخذ النبي ﷺ ذلك الطفل ووضع تمرة في فمه ومضغها حتى ذابت ثم وضعها في فم الطفل فجعل الطفل يمضغها فتبسم النبي ﷺ وقال: «انظروا إلى حب الأنصار للتمر» ثم مسح النبي ﷺ وجهه وسمَّاه عبد الله[1]. ثم كان من نسل عبد الله تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن.

فيا لها من ذرية مباركة، ويا له من أجر عظيم في الدنيا لمن صبر على البلاء... هذا مع الخير الذي ينتظره في جنة الرحمن التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

صفحات مشرقة من جهاده في سبيل الله

فهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «لصوتُ أبي طلحة في الجيش خيرٌ من ألف رجل»[2].

---

(١) أصل القصة: رواها البخاري (٥٤٧٠) كتاب العقيقة، ومسلم (٢١٤٤) كتاب الآداب.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٩٧) وقال: ورواته عن آخرهم ثقات. وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٩١٦).

لقد كان أبو طلحة فارسًا مغوارًا وكان ممن شهد غزوة بدر وقاتل فيها قتالاً شديدًا ودعا له النبي ﷺ بكل خير.

وفي يوم غزوة أحد لما عصى الرُّماة أمر رسول الله ﷺ ونزلوا من على الجبل واستطاع المشركون أن يقتلوا سبعين من خيرة أصحاب الرسول ﷺ ثم أرادوا بعد ذلك قتل النبي ﷺ جاء أبو طلحة ووقف يدافع وينافح عن رسول الله ﷺ وكان أبو طلحة ماهرًا في رمي السهام حتى أنه كسر يوم أُحد قوسين أو ثلاثة.

وكان الرجل يمر ومعه الجُعبة من النبال فيقول له النبي ﷺ: «انثرها لأبي طلحة»[1]، فكان أبو طلحة يرمي السهام فإذا أراد النبي ﷺ أن ينظر ليرى ما يحدث للمشركين قام أبو طلحة وقال له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا تُشرف فيصيبك سهمٌ من سهام القوم... نحري دون نحرك يا رسول الله.

وكان أبو طلحة يتترس مع النبي ﷺ بترسٍ واحد.

* وفي يوم غزوة حُنين قال النبي ﷺ: «من قتل قتيلاً فله سَلَبُه»[2] فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم.

إنفاقه في سبيل الله

لقد كان أبو طلحة كريمًا لا يبخل بالمال أبدًا وكان يتفاعل بقلبه وجوارحه مع كل آية تحض على الجود والكرم والإنفاق.

وها هو أنس بن مالك يحكي لنا كيف تصدق أبو طلحة ببستانه الجميل الذي كان يُسمى «بَيْرُحَاء» والذي كان يمتلئ بالنخيل والثمار والماء العذب فتصدق به على أقاربه وأبناء عمه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٦٤) كتاب المغازي، ومسلم (١٨١٠) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٧١٨) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]. قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. وإن أحب أموالي إليَّ بيرُحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذُخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخٍ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[2].

أبو طلحة يظفر بشعر النبي ﷺ

ولقد كان النبي ﷺ يحب أبا طلحة حبًا جمًا حتى أنه لما حلق شعره في حجة الوداع وبدأ بشِقّه الأيمن وقسَّمه على أصحابه الذين كانوا واقفين بجواره ثم حلق الشِّق الأيسر ونادى على الناس قائلاً: أين أبو طلحة؟ فجاء أبو طلحة فأعطاه النبي ﷺ الشعر كله... ويالها من منقبة عظيمة أن يخصَّه النبي ﷺ من بين الصحابة بتلك الهدية الغالية.

* بل كان من شدة حب النبي ﷺ لأبي طلحة كان يدخل بيته هو وأم سُليم كثيرًا... بل كان ينام عندهما أحيانًا في وقت الظهيرة فتأتي أم سليم وتأخذ عرق النبي ﷺ من على جبينه وتضعه على العطر الذي عندها ليتعطر العطر بعرق النبي ﷺ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٦١) كتاب الزكاة، ومسلم (٩٩٨) كتاب الزكاة.

عبادته رضي الله عنه

وكان أبو طلحة عـابدًا زاهدًا فلقد عاش حيـاته كلها عابدًا صائمًـا قائمًا مجاهدًا في سبيل الله جل وعلا.

حتى أنه عاش بعد وفاة النبي ﷺ أربعـين عامًا يسرد الصوم فلا يُفطر إلا في يوم عـيد الفطر أو الأضحى أو إذا كان مريضًـا أو مسـافرًا.. فـقد ملأت العبادة قلبه وروحه فكان مُحبًا لكل طاعة تقربه من الله جل وعلا.

وحان وقت الرحيل

ها هو أبو طلحة في آخر أيامه لكن شيخوخته ما حالت بينه وبين الجهاد في سبيل الله حتى آخر قطرة من دمه ففي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه جهزَّ عثـمان أول أسطول بحري للمسـلمين وأراد أن يغزو جـزيرة من جُزر الروم فأراد أبو طلحة أن يخرج للغزو وهو كبير في السن.

فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قُبض، وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغـزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك فقـال: جهزوني فجهزوه، فركب البحر.

لكنه مـات وهو على ظهر السفـينة فبـحثـوا عن مكان ليدفنوه فـيه فلم يجدوا له جزيرة يـدفنونه فيها إلا بعد سـبعة أيام. وظل جسـده كما هو لم يتغير بعد سبعة أيام من موته.

وإن كنا لا نعلم أين دُفن أبو طلحة إلا أن الله عـز وجل يعلم وسيأتي به يوم القيامة ليُعطيه ويُرضيه ويجزيه عن كل ما قدمه لخدمة الإسلام والمسلمين.

رضي الله عن أبي طلحة وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊



عبد الله بن رواحة رضي الله عنه



عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابي الجليل الذي ملأ الدنيا زهدًا وورعًا وطاعة وبذلاً وعطاء وجهادًا في سبيل الله حتى سُمِّيَ (الأمير السعيد الشهيد).

كان شاعرًا لبيبًا عاقلاً... وكان له مواقف كثيرة لخدمة الإسلام والمسلمين وكان النبي ﷺ يحبه حبًا جمًا حتى أنه بكى عند استشهاده ودعا له.

إنه الصحابي الذي شهد له النبي ﷺ أن كلامه أشد على المشركين من وقع النبال.

إنه الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع هذا الصحابي الجليل.

قصة الأمير السعيد الشهيد

وتعالوا بنا لنعيش قصة الأمير السعيد الشهيد من أولها لنستنشق عبير السعادة والشهادة عسى الله أن يجمعنا في زمرة السعداء والشهداء في جنته ومستقر رحمته إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

لقد نشأ (ابن رواحة) في أسرة كريمة فنشأ نشأة مباركة فكان يكتب ويقرأ، وكانت الكتابة وقتها نادرة في العرب.

وكان في تلك البيئة الخصيبة ذات العيون والزروع والخضرة يحب أن يتعايش مع الشِّعر إلى أن أصبح شاعرًا لا يُشق له غبار ولم يكن شاعرًا

فحسب!! بل كان شاعراً وفارساً مغواراً يعتمد عليه قومه (الخزرج) في حروبهم ضد الأوس حيث كان العداء مشتعلاً بينهم بصورة دائمة.

ولكن الله عز وجل أراد الخير للكون كله ببعثة الحبيب محمد ﷺ فأشرقت شمس الهداية على أرض الجزيرة لينعم بدفئها من أراد النور وسئم الظلام بكل ما فيه.

ولما بعث الحبيب ﷺ مُصعب بن عُمير سفيراً للدعوة إلى الله في المدينة المنورة... وكان مصعب لبيبًا ذكيًّا رحيمًا في دعوته فلم يمض عليه فترة يسيرة حتى جعله الله سببًا في إسلام تلك الباقة العطرة من سادة وأشراف يثرب (المدينة).

موعد مع السعادة

وفي موسم من مواسم الحج خرج (ابن رواحة) لأداء الحج مع قومه وعشيرته فكان هذا اللقاء التاريخي عند العقبة، وكانت بيعة العقبة الثانية فتقدم (ابن رواحة) ومدَّ يده لتصافح وتبايع الحبيب ﷺ تلك البيعة المباركة.

وكان (ابن رواحة) من النقباء الاثني عشر في تلك البيعة، ثم عاد إلى المدينة وقد امتلأ قلبه غبطة وسعادة وسروراً يكفي الكون كله من حوله، بل ويزيد عليه.

وهنا بدأ (ابن رواحة) رحلته في الدعوة إلى الله على بصيرة.

شوق وحنين

وازداد شوقه وحنينه لرؤية الحبيب ﷺ وملازمته... فشاء الله عز وجل أن يهاجر الحبيب ﷺ إلى المدينة لتدخل التاريخ من أوسع أبوابه ولتصبح منارة للكون كله عبر العصور والأزمان وخرج ابن رواحة مع قومه

لاستقبال الحبيب ﷺ وما إن استقر النبى ﷺ فى المدينة حتى كان ابن رواحة يلازمه ملازمة العين لأختها ليقبس من هديه وعلمه وأخلاقه العذبة المباركة ولم يكن ابن رواحة يدافع عن الإسلام بسيفه ولسانه فحسب، بل كان يدعو إلى الله ورسوله بكل ما أوتى من قوة فى البيان والإقناع، وهو سبب إسلام أبى الدرداء رضي الله عنه.

كان سبباً فى إسلام أبى الدرداء

كان أبو الدرداء تربطه بعبد الله بن رواحة فى الجاهلية صداقة ومحبة فقد كانا متآخيين فى الجاهلية، فلما جاء الإسلام اعتنقه عبد الله بن رواحة وأعرض عنه أبو الدرداء... وتمر الأيام والليالى وما زال أبو الدرداء على الشرك.

وفى يوم من الأيام خرج أبو الدرداء كعادته إلى متجره وأخذ يبيع ويشترى ثم عاد إلى منزله وهو فى غاية الاشتياق لرؤية إلهه (الصنم) الذى كان يعبده وإذا به يجد مفاجأة لم تخطر بباله أبداً.

فلقد دخل بيته وهو غائب عنه عبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة فكسرا صنمه، فرجع يجمعُ الصنم، ويقول: ويحك! هلا امتنعت! ألا دفعت عن نفسك... فقالت أم الدرداء: لو كان ينفع أو يدفعُ عن أحد دفع عن نفسه ونفعها!!

فقال أبو الدرداء: أعدِّى لى ماءً فى المغتسل فاغتسل ولبس حُلته ثم ذهب إلى النبى ﷺ فنظر إليه ابن رواحة مقبلاً، فقال: يا رسول الله هذا أبو الدرداء وما أراه إلا جاء فى طلبنا؟ فقال: «إنما جاء ليُسلم إن ربى وعدنى بأبى الدرداء أن يُسلم»(١).

---

(١) أخرجه ابن عساكر (١٣/ ٣٦٩/ ٢) وانظر المستدرك (٣/ ٣٣٦- ٣٣٧).

وهكذا احتلَّ عبد الله بن رواحة مساحة عظيمة فى نفس أبى الدرداء إذ هو سبب فى إسلامه وهدايته، وكان أبو الدرداء يعترف بهذا له، وأُثر عنه قوله: «أعوذ بالله أن يأتى علىَّ يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة»[(١)].

وفى كل مجلس يجلسه أبو الدرداء كان يحدث عن عبد الله بن رواحة، ويذكر فضائله ومناقبه، فلم تكن صورته تبرح مخيلة أبى الدرداء.

عبادته وخوفه من الله (جل وعلا)

لقد كان عبد الله بن رواحة عابدًا خاشعًا وكان لا يفتر أبدًا عن الصيام والقيام والذكر وقراءة القرآن.

قال أبو الدرداء: إن كنا لنكونُ مع رسول الله ﷺ فى السفر فى اليوم الحار ما فى القوم أحد صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة[(٢)].

* ومن شده حرصه على العبادة أراد أحد الصحابة أن يعرف كيف كانت عبادة عبد الله بن رواحة فذهب وتزوج امرأته بعد موته وقال لها: أتدرين لِمَ تزوجتك؟ قالت: لا.

قال لها: لتُخبرينى عن عبادة عبد الله بن رواحة فى بيته.

فذكرت له أشياء كثيرة كان من بينها أنها قالت له: كان عبد الله إذا أراد أن يخرج من بيته صلَّى ركعتين وإذا دخل صلَّى ركعتين وكان لا يدع ذلك أبدًا.

* ومع العبادة والخشية كان عبد الله بن رواحة شاعرًا.

قال ابن سيرين: كان شعراءُ رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت وكعب بن مالك[(٣)].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٤٥) كتاب الصوم، ومسلم (١١٢٢) كتاب الصيام.

(٣) السير للإمام الذهبى (١/ ٢٣٣).

وكان ابن رواحة قد جعل مـاله ولسانه وسنانه لنصرة دين الله جل وعلا وكان رحيمًا بـاليتامى . . . فها هو يكفل زيد بن أرقم الذى كان يتيـمًا وقتها فيتربى فى حجره ويعطف عليه ابن رواحة ويغدق عليه الخير الكثير.

موقفه المبارك أمام رأس المنافقين (ابن سلول)

ذهب رسول الله ﷺ بـعد الهجـرة يعود سعـد بن عبـادة فى مرض أصابه قبل وقـعة بدر فركب حمارًا وأردف وراءه أسامـة بن زيد وسار حتى مـرَّ بمجلس فيـه عبـد الله بن أُبى، وإذا فى المجلـس أخلاط من المسلمـين والمشركين (عبدة الأوثان) واليهود، وفى المسلمين عبد الله بن رواحة.

فلما غشيت المجلس عجاجة الدابـة خمَّر عبد الله أنفه بردائه، ثم قال: لا تُغَـبِّروا علينا فسلَّم رسـول الله عليـه الصلاة والسـلام ثم وقف ونزل، فدعاهم إلى الله، وقـرأ عليهم القرآن فقال له عـبد الله بن أُبى ابن سلول: أيها المـرء إنه لا أحسن مما تقـول، إن كان حـقًّا فلا تؤذنا به فى مـجالسنا وارجع إلى رحلك. فمن جاءك فاقصص عليه.

فقال ابن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا بـه فى مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاسـتبَّ المسلمون والمشركـون واليهود حـتى كادوا يتـقاتلون فلم يزل الرسول عليه الصلاة والسلام يُخفضهم حتى سكتوا.

* وكان السبب فـيما فعله رأس المنافقـين مع رسول الله ﷺ أنه قبل قُدوم النبى ﷺ إلى المدينة كان أهلها يستعـدون لتتويج رأس المنافقين عبد الله بن أُبى ابن سلول مـلكًا عليهـم، فلما جـاء النبى ﷺ انصـرف أهل المدينة عن رأس المنافقين واجتمعوا حول النبى ﷺ.

* * *

جهاده في سبيل الله (جل وعلا)

لما حمي الوطيس في غزوة بدر كان عبد الله بن رواحة من الفرسان الشجعان الذين سارعوا لنُصرة دين الله والذود عن حياضه فقاتل في يوم بدر قتالاً شديداً وكان يهدّ صفوف المشركين هدًّا.

* وفي يوم أُحد أبلى بلاءً حسنًا وظل يقاتل حتى آخر لحظة في تلك الغزوة.

* ولقد استخلفه النبي ﷺ على المدينة في غزوة بدر الموعد.

* بل إن النبي ﷺ بعثه على سرية في ثلاثين راكبًا إلى أُسير بن رِزام اليهودي بخيبر فقتله.

وكان كذلك من الأبطال في غزوة الخندق.

وكان لا يقاتل بالسنان فحسب، بل كان يحارب المشركين بشعره وكلامه الذي هو أشد عليهم من وقع النبل.

عن أنس قال: دخل النبي ﷺ مكة في عُمرة القضاء وابن رواحة بين يديه يقول:

خلُّوا بني الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تنزيله
ضربًا يزُيل الهام عن مقيله
ويُذهل الخليل عن خليله

فقال عمر: يا ابن رواحة! في حرم الله وبين يدي رسول الله تقولُ الشعر؟ فقال النبي ﷺ: «خَلِّ يا عمر، فهو أسرع فيهم من نضح النَّبل».

وفي لفظ: «فو الذي نفسي بيده، لكلامه عليهم أشد من وقع النبل»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٨٥١) وأبو يعلى بسند حسن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في مختصر الشمائل (٢١٠).

وظل هذا البطل المغوار شوكة فى ظهـر المشركين إلى أن جاء اليوم الذى كان ينتظره بطلنا على شوق ولهفة ألا وهو اليـوم الذى رزقه الله فيه الشهادة فى سبيله.

فتعالوا بنـا لنتعايش مع هذا المشهد المهيب لهـذا الفدائى الباسل فى يوم (مؤتة).

سرية مؤتة

كان سـبب هذه السرية أن رسـول الله ﷺ كان قـد بعث الحارث بن عُمير الأزدى بكتابه إلى ملك الروم فى الشام فتـعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فأوثقه ثم قتله... وكان قتل السفراء والرسل الذين يرسلهم الملوك والرؤساء جريمة كُبـرى.. فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ لما وصله هذا الخبر فجهز جيشًا من ثلاثة آلاف مقاتل ليرسله إليهم.

تعيين القادة الثلاثة

وفى هذه السرية أمَّر رسـول الله ﷺ زيد بن حارثة وقـال: «إن قُتـل زيدٌ فجعـفـر وإن قُتل جعـفـر فعبد الله بن رواحة»[1].

ومع أن النبى ﷺ كان لا يعين لأى سـرية إلا قائدًا واحدًا إلا أنه فى هذه السرية أمَّر ثلاثة.. وذلك لأهمية هذه السرية.

أهل المدينة يودعون الجيش

ولما تجـهز الجـيش وبدأوا فى الخروج للـجهـاد قام أهل المدينة يودعـون الجيش ويدعون لهم بالنصر والتمكين والعودة بسلام.

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦١) كتاب المغازى.

المفاجأة الكبرى

لقد خرج الجيش المسلم... وخرج رسول الله ﷺ يودعهم ويدعو لهم.

* ومضى الجيش فى طريقه حتى وصلوا إلى مكان فى أرض الشام يُسمى (معان) وهنا بدأوا فى جمع المعلومات عن الجيش الذى سيقابلوه.

وإذا بالمفاجأة الكبرى فى انتظارهم... فقد علموا أن الجيش قد بلغ مائتى ألف... فى حين أن عدد المسلمين ثلاثة آلاف رجل.

فأصبحوا بين ثلاثة حلول: إما أن يرجعوا وإما أن يطلبوا من رسول الله ﷺ أن يرسل لهم مددًا من الرجال وإما أن يدخلوا فيقاتلوا... وظلوا لمدة يومين ينظرون فى أمرهم.

فقام عبد الله بن رواحة وقال لهم هذه الكلمات التى كانت سببًا فى ثباتهم: قال لهم: يا قوم والله إن الذى تكرهون لَلذَى خرجتم له تطلبون (الشهادة)، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة.

* وكان لهذه الكلمة الملتهبة أثرها، فاختفت من صفوف المسلمين مشاعر التردد، وقرروا القتال، مهما كانت النتائج.

وبدأ القتال

وهناك فى مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير، ثلاثة آلاف رجل يواجهون هجمات مائتى ألف مقاتل... معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا هبَّت ريح الإيمان جاءت بالعجائب.

أخذ الراية زيد بن حارثة - حِبُّ رسول الله ﷺ - وجعل يقاتل

بضراوة بالغة، وبسالة لا يوجد لها نظير إلا فى أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاتل حتى شاط فى رماح القوم، وخرّ صريعًا.

وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبى طالب، وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قُطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قُطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعًا إياها حتى قُتل.

يقال: إن روميًا ضربه ضربة قطعته نصفين، وأثابه الله بجناحيه جناحين فى الجنة، يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سُمّى بجعفر الطيار، وبجعفر ذى الجناحين[1].

ولما قُتل جعفر بعد القتال بمثل هذه الضراوة والبسالة أخذ الراية عبد الله بن رواحة، وتقدم بها وهو على فرسه فجعل يُقبل على الجهاد ثم يتردد بعض الشيء.. فجاءه ابن عمه بقطعة من اللحم وقال له: خذ هذه واشدد بها صُلبك فإنك لقيت ما لقيت فى هذه الأيام من الشدة والمتاعب.

فأخذها عبد الله بن رواحة حتى نظر إلى نفسه وقال لها: وأنتِ ما زلتِ حية فى الدنيا... ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل.

فأخذ الراية ثابت بن أرقم وقال: يا أيها الناس اصطلحوا على رجل منكم.

قالوا: أنت.

قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف»[2].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٧٠٩) عن ابن عمر ﷺ أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال: «السلام عليك يا ابن ذى الجناحين»، وقد صح مرفوعًا إثبات الجناحين لجعفر انظر «فتح البارى» (٧/ ٧٦).

(٢) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/ ١٥٩، ١٦٠): رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

لقد كان هدف (خالد) مناوشة الرومان بحيث يُلحق بهم أفدح الخسائر دون أن يُعرض كتلة الجيش لالتحام عام، وقد أفلحت هذه الخطة في إنقاذ الآلاف القليلة التي معه، وإنقاذ سمعة المسلمين في أول معركة لهم مع الدولة الكبرى.

والعجيب أن الرومان أعياهم هذا القتال وأصيبوا فيه بخسائر كبيرة، بل إن بعض فرقهم انكشف، وولى مهزومًا. واكتفى خالد بهذه النتيجة، وآثر الانصراف بمن معه[(١)].

النبي ﷺ ينعى القادة الثلاثة للناس

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»[(٢)].

رضي الله عن عبد الله بن رواحة وجمعنا به في الفردوس الأعلى.



(١) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٤١٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٢٦٢) كتاب المغازي.

أبو هريرة رضي الله عنه

أبو هريرة رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابي الجليل الذي ملأ الدنيا بعطر حديث النبي ﷺ.

إنه الصحابي الذي صَـحب النبي ﷺ فترة يسيرة ومع ذلك فـقد كان من أكثر الصحابة رواية لحديث النبي ﷺ.

إنه الرجل الذي اسـتطاع منذ اللحظة الأولى لإسـلامه أن يعلم ويحـدد دوره في خدمة هذا الدين.

إنه الإمام الفقيه المجتـهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ (أبو هريرة) الدوسي اليماني سيد الحفاظ.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

قصة إسلامه

كان أبو هريرة رضي الله عنه يعيش في بلاد اليمن في قبيلة دوس وكان اسمه في الجاهلية (عـبد شمس) فسمَّاه النبي ﷺ عـبد الله وكنَّاه بأبي هِرٍّ، ولذلك كان أبو هريرة يقـول للصحابة: لا تُكنوني أبا هريرة فلقـد كناني رسول الله ﷺ أبا هِرٍّ فقال: «ثكلتك أمك أبا هِرٍّ».

* وكان سبب إسلام أبي هريرة أن الطفـيل بن عمرو الدوسي الذي كان سيداً في قبيلة دوس... لما ذهب إلى مكة ولقـيه زعماء قريش وحذروه من أن يستمع إلى النبي ﷺ فـوضع قُطنًا في أذنيه حتى لا يسمـعه لكن شاء الله أن يمر الطفيل بجوار الرسـول ﷺ ويسمع بعض آيات القرآن تنساب

من فم النبي ﷺ فذهب إليه وسأله عما يدعو إليه فتكلم معه النبي ﷺ وقرأ عليه القرآن فأسلم الطفيل وعاد إلى قبيلة دوس ليدعوهم إلى الله جل وعلا فأسلم عدد كبير على يديه وكان من بينهم أبو هريرة رضي الله عنه.

أسلم أبو هريرة متأخرًا وأخذ أمه وذهب بها إلى المدينة وشهد فتح خيبر ولما ذهب إلى النبي ﷺ فسأله عن اسمه قال له: اسمي عبد شمس فقال له النبي ﷺ: «بل أنت عبد الله» وكنَّاه أبا هِرٍّ. وكان سبب تكنيته بأبي هريرة أنه كان يرعى الغنم لأهله في دوس وكانت له هُريرة (قطة صغيرة) يلعب بها فكنُّوه بأبي هريرة.

ملازمته للحبيب ﷺ ورحلته في طلب العلم

ومنذ اللحظة التي أسلم فيها أبو هريرة رضي الله عنه وخالط الإيمان شغاف قلبه أحسَّ أنه لابد أن يكون واحدًا ممن يحملون هم الإسلام ويبلغون رسالته إلى الكون كله.

فلما قَدِم على رسول الله ﷺ كان يلازمه ملازمة الظل لصاحبه فحمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

وكان قد انقطع لخدمة النبي ﷺ وصحبته... فكان يقيم في مسجد الرسول ﷺ لا يفارقه أبدًا فإنه لم يكن يملك تجارة لينشغل بها ولا يملك أرضًا يقوم برعايتها، وقد كان يقول رضي الله عنه عن نفسه: نشأت يتيمًا وهاجرت مسكينًا[(١)].



(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٩).

ليست العبرة بالسبق

وعلى الرغم من أنه لم يصحب النبي ﷺ إلا أربع سنوات إلا أنه أصبح من أكثر الصحابة ﷺ رواية لحديث رسول الله ﷺ حتى إنه حدَّث عنه خلقٌ كثير من الصحابة والتابعين فقيل: بلغ عدد أصحابه ثمان مئة.

وفي عصرنا هذا أيها الابن الحبيب فإننا لا نكاد نجد خطيبًا أو واعظًا أو محاضرًا يُحدِّث عن الحبيب ﷺ إلا ونسمع اسم أبي هريرة ﷺ فهو الذي نقل للأمة هذا العلم الغزير الذي يكون في ميزان حسناته يوم القيامة حين لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

إن العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كل وقتك

وكان ﷺ يعلم جيدًا أن العلم لا يتحصل عليه إلا من بذل وقته ونفسه وماله وأخلص في طلبه وتبليغه للناس من حوله.

ومن أجل ذلك كان ﷺ يعاني من الفقر والجوع في سبيل التفرغ لطلب العلم ومرافقة الحبيب ﷺ.

عن أبي هريرة قال: إن كنت لأتبع الرجل أسأله عن الآية من كتاب الله عز وجل؛ لأنا أعلم بها منه ومن عشيرته وما أتبعه إلا ليطعمني القبضة من التمر أو الدقيق أسد بها جوعي.

فأقبلت أمشي مع عمر بن الخطاب ذات ليلة أُحدثه حتى بلغ بابه فأسند ظهره إلى الباب فاستقبلني بوجهه فكلما فرغت من حديث حدثته آخر، حتى إذا لم أرَ شيئًا انطلقت فلما كان بعد ذلك لقيني فقال: أبا هريرة، أما لو أنه كان في البيت شيء لأطعمناك.

• وعن أبي رافع أن أبا هريرة قال: ما أحد من الناس يهدي لي هدية إلا

قَبلتها، فأما أن أسأل فلم أكن لأسأل[١].

وقال: لقد رأيتني وإني لأخِرُّ[٢] فيما بين منزل عائشة والمنبر مغشيًّا عليَّ من الجوع، فيمر الرجل فيجلس على صدري، فأرفع رأسي فأقول: ليس الذي ترى، إنما هو الجوع[٣].

قال الإمام الذهبي رحمه الله: قلتُ: كان يظنهُ من يراه مصروعًا، فيجلس فوقه ليرقيه، أو نحو ذلك[٤].

وعن أبي هريرة، قال: والله؛ إن كنت لأعتمدُ على الأرض من الجوع، وإن كنتُ لأشد الحجر على بطني من الجوع؛ ولقد قعدتُ على طريقهم، فمرَّ بي أبو بكر، فسألته عن آية في كتاب الله - ما أسأله إلا ليستبعني[٥]، فمرَّ ولم يفعل، فمر عمر (فكذلك)، حتى مرَّ بي رسول الله ﷺ فعرف ما في وجهي من الجوع فقال: «أبو هريرة» قلت: لبيك يا رسول الله. فدخلتُ معه البيت، فوجد لبنًا في قدح فقال: «من أين لكم هذا؟» قيل: أرسل به إليك فلان، فقال: «يا أبا هريرة انطلق إلى أهل الصُّفة[٦]، فادعهم» وكان أهل الصفة أضياف الإسلام لا أهل ولا مال... إذا أتت رسول الله ﷺ صدقة، أرسل بها إليهم، ولم يُصب منها شيئًا وإذا جاءته هدية،

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٩٣).

(٢) أخِرُّ: أي أسقط.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٣٢٤) كتاب الاعتصام والترمذي (٢٣٦٧) كتاب الزهد.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٥٩١).

(٥) أي: يأخذني إلى بيته لآكل معه.

(٦) الصُّفَّة: كانت في مسجد النبي ﷺ في المدينة يكون فيها فقراء المهاجرين ومن لا منزل له منهم، وأهلها منسوبون إليها. وكان أهل الصُّفَّة يقومون بفروض عظيمة، منها تلقي القرآن والسنة فكانت الصفة مدرسة الإسلام ومنها حراسة النبي ﷺ، ومنها الاستعداد لتنفيذ أوامره وحاجاته في طلب من يريد طلبه من المسلمين وغير ذلك، وكانوا قائمين بهذه الفروض عن المسلمين.

أصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني إرساله إياي، فقلت: كنت أرجو أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها... وما هذا اللبن في أهل الصفة!.

ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُدّ، فأتيتهم فأقبلوا مجيبين، فلما جلسوا قال: «خذ يا أبا هريرة فأعطهم» فجعلت أعطي الرجل، فيشرب حتى يُروى، حتى أتيت على جميعهم؛ وناولته رسول الله ﷺ، فرفع رأسه إليَّ متبسمًا وقال: «بقيت أنا وأنت» قلت: صدقت يا رسول الله قال: «فاشرب» فشربت. فقال: «اشرب»، فشربت فما زال يقول: «اشرب»، فأشرب؛ حتى قلت: والذي بعثك بالحق، ما أجد له مساغًا... فأخذ فشرب من الفضلة [(١)].

النبي ﷺ يشهد له بحرصه على طلب العلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله مَن أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه» [(٢)].

لم ينس حديثا حفظه ببركة دعاء النبي ﷺ له

عن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه قال: «ابسُط رداءك» فبسطته، قال: فغرف بيده ثم قال: «ضُمَّه فضممته فما نسيت شيئًا بعده» [(٣)].

وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا تسألني من هذه الغنائم

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٤٥٢) كتاب الرقاق، والترمذي (٢٤٧٧) صفة القيامة.
(٢) صحيح: رواه البخاري (٩٩) كتاب العلم وابن سعد في الطبقات (٢/ ٢/ ١١٨).
(٣) صحيح: رواه البخاري (١١٩) كتاب العلم.

التي يسألني أصحابك؟» قلت: أسألك أن تعلمني مما علمك الله. فنزع نَمِرة كانت على ظهري، فبسطها بيني وبينه حتى كأني أنظر إلى النمل يدب عليها؛ فحدثني حتى إذا استوعبت حديثه، قال: «اجمعها فَصُرّها إليك» فأصبحت لا أُسقطُ حرفًا مما حدَّثني[(١)].

كان يدعو الناس إلى ميراث رسول الله ﷺ !!!

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يريد من إخوانه أن يحرصوا على طلب العلم وتبليغه مثلما يصنع هو لكي تثمر الدعوة وينتشر العلم بين الناس في كل مكان.

وكان رضي الله عنه يبتكر أساليبًا طيبة في الدعوة إلى الله.

ففي يوم من الأيام كان يمر بسوق المدينة فوجد أن الناس قد انشغلوا بالبيع والشراء فخاف عليهم من إقبال الدنيا عليهم وانصرافهم عن طلب العلم فقال لهم: ما أعجزكم يا أهل المدينة!!

فقالوا: وما رأيت من عجزنا يا أبا هريرة؟!

فقال: ميراث رسول الله ﷺ يُقسَّم وأنتم ها هنا!!

ألا تذهبون وتأخذون نصيبكم!!

قالوا: وأين هو يا أبا هريرة؟!

قال: في المسجد.

فخرجوا سراعًا ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا؛ فلما رأوه قالوا: يا أبا هريرة لقد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر شيئًا يُقسَّم.

فقال لهم: أوَ ما رأيتم في المسجد أحدًا؟!

---

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٨١) وابن عساكر في تاريخه (١٩/ ١١٣/ ٢) والنمرة: شملة فيها خطوط بيض وسود.

قالوا: بلى . . . رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يتذاكرون في الحلال والحرام.

فقال: ويحكم . . . ذلك ميراث محمد ﷺ.

قصة إسلام أم أبي هريرة

لما أسلم أبو هريرة رضي الله عنه وجاء ليقيم بجوار النبي ﷺ في المدينة المنورة . . كانت معه أمه وكانت كافرة لم تُسلم بعد.

وكان أبو هريرة رجلاً رقيق القلب . . فكان يخشى على أمه أن تموت كافرة فتدخل النار.

فظل أبو هريرة يتألف قلبها ويعاملها أحسن معاملة ويدعوها إلى الإسلام لتكون من أهل الإيمان والتوحيد فتنجو من النار وتدخل الجنة . . فكانت ترفض دائمًا.

فأحس أبو هريرة بالخوف الشديد على أمه ومن أجل ذلك لم ييأس أبدًا بل ظل يدعوها بكل رحمة وحنان لعلها تُسلم لله (جل وعلا).

وفي يوم من الأيام دخل عليها أبو هريرة ليدعوها إلى الإسلام فقالت كلامًا بذيئًا في حق الرسول ﷺ . . فبكى أبو هريرة بكاءً شديدًا لأن النبي ﷺ أغلى عنده من أمه وأبيه ومن الناس أجمعين.

فأسرع أبو هريرة إلى النبي ﷺ ودموعه على خده فلما رآه رسول الله ﷺ سأله: **«ما الذي يُبكيك يا أبا هريرة؟»**.

فقال أبو هريرة: إن أمي مشركة، وإني كنت أدعوها إلى الإسلام فتأبى وترفض . . وإني دعوتها اليوم إلى الإسلام فأسمعتني فيك ما أكره.

ثم قال أبو هريرة للنبي ﷺ: يا رسول الله ادع الله أن يهدي أمي.

فقال النبي ﷺ: «اللهم اهد أم أبي هريرة».

فرح أبو هريرة بدعاء النبي ﷺ لأمه بالهداية واستبشر بذلك وعاد مسرعًا إلى البيت ليرى نتيجة دعاء النبي ﷺ فهو يعلم أن النبي ﷺ مستجاب الدعاء.

فلما وصل أبو هريرة إلى البيت وجد الباب مغلقًا وسمع صوت الماء.. فلما سمعت أمه صوت رجليه قالت: انتظر يا أبا هريرة.

ثم فتحت الباب ونظرت إلى أبي هريرة وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

قال أبو هريرة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح فقلت: يا رسول الله لقد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة.

ففرح النبي ﷺ وحمد الله وقال: «خيرًا».

فقال أبو هريرة: يا رسول الله ادع الله أن يُحببني وأمي إلى المؤمنين وأن يُحبب المؤمنين إلينا.

فقال النبي ﷺ: «اللهم حبِّب عُبيدك هذا وأمه إلى المؤمنين وحبِّب المؤمنين إليهما».

قال أبو هريرة: فما خُلق مؤمن يسمع بي أو يراني إلا أحبني[1].

عبادته رضي الله عنه

ولقد كان أبو هريرة مع كثرة انشغاله بحفظ حديث النبي ﷺ عابدًا لا يفتر أبدًا عن الصلاة والصيام والذكر وتلاوة القرآن.... وها هو أبو عثمان النهدي يحكي لنا هذا الموقف الذي حدث له مع أبي هريرة.

قال أبو عثمان: تضيفت أبا هريرة سبعة أيام عندي في البيت فكان هو

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٩١) كتاب فضائل الصحابة.

وامرأته وخادمه يقتسمون الليل أثلاثًا... يصلى هذا ثم يوقظ هذا... ويصلى هذا ثم يوقظ هذا.. وهكذا كانت العبادة لا تنقطع أبدًا من بيته طوال الليل.

وكان أبو هريرة يُسَبِّح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة ويقول أُسبح بقدر ديتي.

خفة ظله رضي الله عنه

وقد وَلِي أبو هريرة المدينة من قِبَل معاوية بن أبي سفيان أكثر من مرة، فلم تُبدل الولاية من سماحة طبعه، وخفة ظله شيئًا.

فقد مرَّ بأحد طرق المدينة وهو والٍ عليها وكان يحملُ الحطب على ظهره لأهل بيته، فمر بثعلبة بن مالك فقال له: أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك فقال له: يرحمك الله أما يكفيك هذا المجال كله؟! فقال له: أوسع الطريق للأمير، وللحُزْمة التي على ظهره[1].

قصة أبي هريرة مع الشيطان

حبايبي الحلوين: والآن أترك المجال للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه ليحكي لنا هذه القصة العجيبة.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: أمرني النبي ﷺ أن أكون حارسًا على المكان الذي توضع فيه زكاة رمضان وأن أحفظ هذا المكان حتى لا يقترب منه أحد.

فرأيت رجلاً يسرق من الطعام فأخذته وقلت له: سوف أذهب بك إلى رسول الله ﷺ لأشكوك إليه.

فقال الرجل: سامحني يا أبا هريرة فأنا فقير ومحتاج وعندي عيال في أشد الحاجة إلى الطعام وأنا رجل مديون.

---
(١) صفة الصفوة (١/ ٢٩٤) بتصرف.

قال أبو هريرة: فتركته وخليت عنه .. فلما أصبحت وجدت النبي ﷺ يقول: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟».

فتعجب أبو هريرة .. كيف علم النبي ﷺ بقصة هذا الرجل؟ .. لكنه تذكر أن النبي ﷺ يُوحَى إليه من السماء فمن المؤكد أن الله عز وجل أرسل إليه جبريل عليه السلام ليخبره بهذا الخبر.

وفي تلك اللحظة تذكر أبو هريرة أن النبي ﷺ سأله: «ما فعل أسيرك البارحة؟».

فقال أبو هريرة: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله.

فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد كذب عليك وسيعود مرة أخرى».

قال أبو هريرة: فعلمت أنه سيعود لأن النبي ﷺ أخبرني أنه سيعود.

قال: فجلست في مكان لا يراني فيه أحد .. وفجأة جاء هذا الرجل وأخذ يحثو من الطعام فأخذته وقلت له: سوف أذهب بك إلى رسول الله ﷺ لأشكوك إليه.

فقال الرجل مرة أخرى: سامحني فأنا فقير ومحتاج وعندي عيال في أشد الحاجة إلى الطعام .. ولن أعود مرة أخرى.

قال أبو هريرة: فرحمته وخليت سبيله .. فلما أصبحت وجدت النبي ﷺ يقول: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟».

قال أبو هريرة: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله.

فقال ﷺ: «أما إنه قد كذب عليك وسيعود مرة أخرى».

قال أبو هريرة: فرصدته للمرة الثالثة فوجدته يحثو من الطعام فأخذته وقلت له: سوف أذهب بك إلى رسول الله ﷺ ولن أتركك هذه المرة.

فأنت في كل مرة تكذب وتقول: لن أعود ومع ذلك تعود في كل مرة.

فقال له الرجل: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها.

قال أبو هريرة: ما هي؟

قال له الرجل: إذا أويت إلى فراشك لتنام فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [1] حتى تختم الآية فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنَّك شيطان حتى تصبح.

قال أبو هريرة: فخليت سبيله.. فلما أصبحت قال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟».

قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله.

قال النبي ﷺ: «ما هي؟».

قال أبو هريرة: قال لي: إذا أويت إلى فراشك لتنام فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية.. وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح.

فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب - أي: أنه ليس من عادته أن يكون صادقًا لكنه كان صادقًا معك هذه المرة -».

ثم قال له النبي ﷺ: «أتدري يا أبا هريرة من الذي يكلمك منذ ثلاث ليال؟».

قلت: لا يا رسول الله.

---

(1) سورة البقرة: الآية (٢٥٥)

قال النبي ﷺ: «ذاك شيطان».

- أي: أن الرجل الذي كان يسرق الطعام كان شيطانًا ولكنه كان يأتي إلى أبي هريرة في صورة رجل.

حلمه رضي الله عنه وعفوه عمَّن أساء إليه

ولقد كان أبو هريرة قمة في الحلم والعفو فلم يكن يثأر وينتقم لنفسه أبدًا بل كان يعفو ويصفح عمَّن أساء إليه.

وكانت لأبي هريرة جارية زنجية فأساءت إليه، وغمَّت أهله، فرفع السوط عليها ليضربها به، ثم توقف وقال: لولا القصاص يوم القيامة لأوجعتك كما آذيتنا، ولكن سأبيعك ممن يوفيني ثمنك وأنا أحوج ما أكون إليه، اذهبي فأنت حرة لله عز وجل.

كان لا يحرص على الولاية

ولقد كان رضي الله عنه لا تطمح نفسه إلى شيء من حُطام الدنيا الفانية فقد عاش حياته عابدًا زاهدًا ومجاهدًا وطالبًا للعلم.

ولكنه مع ذلك كان إذا كلَّفه أمير المؤمنين بالولاية فإنه كان يقبلها على مضض وكُرهٍ فهو يعلم أنها تكليف لا تشريف.

وفاة الرسول ﷺ

وبعد فترة يسيرة نام الحبيب ﷺ على فراش الموت وفاضت روحه إلى بارئها جل وعلا، وحزن أبو هريرة حُزنًا شديدًا كاد أن يمزق قلبه ولكنْ عزاءه أن النبي ﷺ مات وهو راضٍ عنه.

❊ ❊ ❊

حنينه إلى النبي ﷺ

وبعد وفاة النبي ﷺ كانت صورته لا تفارق أبي هريرة رضي الله عنه فقد كان يحبه حبًا جمًا على الرغم من أنه لم يصحب النبي ﷺ إلا سنوات معدودة لا تتعدى الأربع سنوات، ولكنها كانت تساوى فى عمر الزمن أعمار أمم وأجيال.

وكان أبو هريرة إذا ذكر الحبيب ﷺ تتوق نفسه لرؤيته فيجهش بالبكاء شوقًا لرؤية حبيبه ﷺ.

وإننى أقول: والله لو رأينا رسول الله ﷺ دقيقة واحدة ما استطعنا أن نستمتع بالحياة من بعده لحظة واحدة.

عن عبد الوهاب المدنى، قال: بلغنى أن رجلاً دخل على معاوية فقال: مررتُ بالمدينة، فإذا أبو هريرة جالس فى المسجد، حوله حلقة يحدثهم فقال: حدثنى خليلى أبو القاسم ﷺ ثم استعبر، فبكى، ثم عاد، فقال: حدثنى خليلى ﷺ نبى الله أبو القاسم، ثم استعبر فبكى ثم قام[1].

وكان رضي الله عنه يشعر بقرب أجله فكان إذا مرت به جنازة قال: اغدو فإنا رائحون وروحوا فإنا غادون[2].

٭ ٭ ٭

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ١٢٣/ ١).

(٢) تاريخ دمشق (١٩/ ١٢٦/ ٢) وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٣٨٣).

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة مليئة بالكفاح والتضحية وطلب العلم والدعوة إلى الله تعالى نام أبو هريرة رضي الله عنه على فراش الموت ليلحق بحبيبه ﷺ الذى لطالما اشتاق إليه وذرفت دموعه حزنًا على فراقه.

ولقد كان رضي الله عنه يدعو قائلاً: «اللهم لا تدركنى سنة ستين»[(١)] فتوفى فيها أو قبلها بسنة.

عن سلم بن بشير أن أبا هريرة بكى فى مرضه فقيل: ما يُبكيك؟ قال: ما أبكى على دنياكم هذه، ولكن على بُعد سفرى، وقلة زادى، وأنى أمسيت فى صعود، ومهبطه على جنة أو نار، فلا أدرى أيهما يؤخذ بى[(٢)].

وعن المقبرى قال: دخل مروان على أبى هريرة فى شكواه، فقال: شفاك الله يا أبا هريرة. فقال: اللهم، إنى أُحب لقاءك فأَحِبَّ لقائى.

قال: فما بلغ مروان وسط السوق حتى مات[(٣)].

وهكـذا رحـل أبو هريرة رضي الله عنه بعد أن ملأ الدنيا علمًا وبلّغ سُنة الحبيب ﷺ.

* رضى الله عن أبى هريرة وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

* * *

---

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات ذكره الحافظ فى الفتح (١٣/ ٨) السير للذهبى (٢/ ٦٢٦).

(٢) فى الطبقات (٤/ ٣٣٩): فلا أدرى إلى أيهما يسلك بى. وهو فى الحلية (١/ ٣٨٣).

(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣٩) وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ١٢٨/ ١).



زيد بن ثابت رضي الله عنه

زيد بن ثابت رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابي الجليل الذي أكرمه الله بثوابٍ لا يخطر على قلب بشر.

فمـا من مسلم يقرأ آية من كـتاب الله عز وجل إلا كان ذلك في مـيزان حـسنات هذا الصـحـابي الجليل الذي كـان يكتب الـوحي للنبي ﷺ . . . وجمع القرآن بعد موت النبي ﷺ .

إنه الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه .

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

من هنا نبدأ

وتبدأ قصة هذا الصحابي الجليل يوم أن قُتل أبوه في يوم بُعاث فنشأ زيد ابن ثابت يتيمًا وعكفت أمه على تربيته وتعليمه فكان في قمة الذكاء.

وتمر الأيام ويهاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة وتسمع أم زيد بدعوة النبي ﷺ المباركة فـتأخذ ابنها زيد بن ثابت ليعـلن إسلامه بين يدي النبي ﷺ وكان زيد يبلغ من العمر عندما أسلم إحدى عشرة سنة فسعد به النبي ﷺ سعادة غامرة على أنه استجاب لدعوة الحق في تلك السن المبكرة.

وكان زيد بن ثابت يحب النبي ﷺ حـبًا جمًا ويحـرص كل الحرص على حضور مجالسه مع الصحابة ليتعلم من النبي ﷺ .



موقفه في غزوة بدر

وفي غزوة بدر أراد هذا الفتى الصغير أن ينال شرف الجهاد والشهادة في سبيل الله.. فأقبل على النبي ﷺ وقال: جُعلت فداك يا رسول الله ائذن لي أن أكون معك وأجاهد أعداء الله تحت رايتك، فنظر إليه الرسول ﷺ نظرة سرورٍ وإعجاب وطيَّب خاطره وردَّه لصغر سنه.

فعاد الغلام حزينًا وأمه أكثر حزنًا منه، فهي التي كانت تتمنى أن ترى ولدها الصغير مجاهدًا في سبيل الله.

ماذا قدمت لدين الله (جل وعلا)؟!

وما إن رَدَّ النبي ﷺ زيدًا حتى وقف مع نفسه وقفة صدق ينظر ويتأمل في مواهبه وإمكاناته وكيف يستخدمها لنصرة الإسلام وإذا به يرى أن الله تعالى قد امتن عليه بنعمة الحفظ الجيد والذاكرة المتوقدة، ومحبة العلم والإقبال على طلبه.

فأخبر أمه برغبته الشديدة في طلب العلم، وقامت هي بدورها لتُخبر قومها برغبة ابنها، فقام رجال من قومه وأقبلوا به على رسول الله ﷺ.

فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بني النجار وقد قرأ مما أُنزل عليك سبع عشرة سورة.

فقام زيد فقرأ القرآن أمام النبي ﷺ فأُعجب به النبي ﷺ وقال له: «يا زيد أريدك أن تتعلم لي كتاب اليهود فإني لا آمنهم على كتابي» فقام زيد بن ثابت ليتعلم كتاب اليهود حتى أتقنه في نصف شهر وكان يكتب لرسول الله ﷺ إذا أراد أن يكتب إليهم[1].

بل وفي يوم من الأيام سأله النبي ﷺ وقال له: «يا زيد أتُحسن اللغة

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٤٥) كتاب العلم، والترمذي (٢٧١٥) كتاب الاستئذان، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٨٧).

السريانية؟» فقال له: لا، فقال له النبي ﷺ: «فتعلَّمها» قال زيد: فتعلمتها في سبعة عشر يومًا[1].

كاتب الوحي

وبعد فترة يسيرة رأى النبي ﷺ من زيد بن ثابت رضي الله عنه الخير الكثير من دقته وإتقانه في الحفظ والكتابة وأمانته في النقل، وفهمه للنصوص، فكلَّفه بأعظم مهمة وُجدت في هذا الكون كله ألا وهي كتابة الوحي الذي يتنزل على رسول الله ﷺ ويا له من شرف يعجز القلم عن وصفه.

إنها ثقة عظيمة وضعها النبي ﷺ في زيد رضي الله عنه.

فكان زيد يتلقى القرآن من فم الصادق المصدوق ﷺ غضًا طريًا وهو يتعايش مع كل آية وسبب نزولها، بل ومكان نزولها.

فأشرقت نفسه واستنار عقله وهو يلامس ويباشر أنوار القرآن عن قريب بل ويزداد قربًا في كل يوم من الحبيب ﷺ... فيا لها من عيشة ما أجملها ويا لها من لحظات ما أعذبها ويالها من مهمة مباركة ما أطيبها.

فلقد أصبح زيد رضي الله عنه هو المرجع الأول للقرآن في أمة الحبيب ﷺ.

موقفه الخالد يوم السقيفة

وظل زيد رضي الله عنه ملازمًا للحبيب ﷺ يكتب له الوحي حتى تُوفِّي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ.

وفي يوم السقيفة حينما اجتمع المهاجرون والأنصار لاختيار خليفة المسلمين كادت أن تحدث فتنة عظيمة بينهم... وهنا جاء دور القرآن وحَمَلَة القرآن... بل لقد جاء دور كاتب الوحي الذي استنار بنوره حتى إنه ليهتدي

(1) صحيح: رواه أحمد (٥ / ١٨٢) والحاكم (٣ / ٤٢٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٨٧).

بإذن الله إلى أصوب رأي في تلك المواقف التي يحار فيها أولوا الألباب.

عن أبي سعيد قال: لما تُوفى رسول الله، قام خطباء الأنصار، فتكلموا وقالوا: رجلٌ منا ورجلٌ منكم فقام زيد بن ثابت، فقال: إن رسول الله كان من المهاجرين ونحن أنصاره؛ وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره.

فقال أبو بكر: جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار، وثبّت قائلكم لو قلتم غير هذا ما صالحناكم[1].

وبهذا الموقف وُئدت نار الفتنة في مهدها ولله الحمد.

جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه

وفي أثناء حروب الرِّدة وعلى وجه الخصوص في معركة اليمامة قُتل عدد كبير من حفظة القرآن فكان لابد من جمع القرآن خوفًا من ضياعه... وكان في مقدمة الأبطال الذين نالوا شرف هذه المهمة التاريخية زيد بن ثابت رضي الله عنه.

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر الصديق عقب مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده... قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقُرَّاء القرآن وإني أخشى إن استحرَّ القتل بالقرَّاء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.. قلت لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. قال زيد: فو الله لو

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٢٢) والطبراني (٤٧٨٥) وقال الذهبي: إسناده صحيح وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٨٣) رجاله رجال الصحيح.

كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قال زيد: فتتبعت القرآن حتى جمعته كله في صُحف.

فكانت تلك الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم أجمعين... وقد أصبح زيد بن ثابت بفضل القرآن وتفقهه فيه وطول ملازمته لرسول الله ﷺ منارة للمسلمين يستشيره خلفاؤهم في المعضلات، ويستفتيه عامتهم في المشكلات، ويرجعون إليه في المواريث خاصة؛ إذ لم يكن بين المسلمين إذ ذاك من هو أعلم منه بأحكامها فقد خطب عمر رضوان الله عليه في المسلمين يوم الجابية[1] فقال: أيها الناس؛ من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت زيد بن ثابت... ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل... ومن أراد أن يسأل عن المال فليأت إليَّ، فإن الله عز وجل جعلني عليه واليًا، وله قاسمًا[2].

مهمته الخالدة في كتابة المصحف العثماني

وكما وقف زيد رضي الله عنه هذا الموقف الخالد في جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه كان له دور عظيم في كتابة المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه وذلك لجمع المسلمين على مصحفٍ واحدٍ خوفًا عليهم من الفُرقة والاختلاف.

ففي يوم من الأيام كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يجاهد في بلاد الشام وبلاد العراق فرأى أن كثيرًا من الناس قد اختلفوا في قراءة القرآن لأن هناك من يقرأ بقراءة عبد الله بن مسعود وهناك من يقرأ بقراءة أُبي بن كعب فخشي حذيفة أن يختلف المسلمون في القرآن كما اختلف اليهود والنصارى قبل ذلك.

فذهب حذيفة ليخبر عثمان بن عفان بذلك، فقام عثمان بن عفان وطلب

---

(١) الجابية: قرية غربي دمشق اجتمع فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الصحابة للتداول في شئون الفتح، وخطب فيها خطبته المشهورة فسُمِّي ذلك يوم بيوم الجابية.

(٢) صور من حياة الصحابة (ص ٣٦٧).

من حفصة بنت عمر أن ترسل له الصحف التى جمعها زيد بن ثابت لينسخها ويرسل بها إلى كل البلاد فتكون نسخة واحدة لا يختلف عليها المسلمون.

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القُرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يُحرَّق[1].

علمه رضي الله عنه ومكانته فى قلوب الصحابة رضي الله عنهم

عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال: «أفرضُ أمتى زيدُ بنُ ثابت»[2].

أى: أعلمهم بعلم المواريث.

ولقد علم طلاب العلم من الصحابة والتابعين لزيد بن ثابت قدره، ومنزلته، فكانوا يحملون له فى قلوبهم كل محبة وتقدير وإجلال لمكانته العظيمة فى العلم.

فهذا هو تُرجمان القرآن وبحر العلم (عبد الله بن عباس) يعرف لزيد بن ثابت قدره ومنزلته السامية.

فعن أبى سلمة أن ابن عباس قام إلى زيد بن ثابت فأخذ له بركابه، فقال: تنحَّ يا ابن عمِّ رسول الله ﷺ فقال: إنَّا هكذا نفعلُ بعلمائنا وكبرائنا[3].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٩٨٧) كتاب فضائل القرآن.

(٢) رواه أحمد والترمذى والنسائى وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٩٥).

(٣) أخرجه ابن سعد (٢/ ٣٦٠) وصححه الحاكم (٣/ ٤٢٣) وأقره الذهبى.

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مباركة مليئة بالبذل والعطاء والتضحية.. ساق الله فيها على يدى زيد بن ثابت الخير الكثير لنفسه وللأمة الإسلامية... نام زيد ﷺ على فراش الموت.

ولما مات ﷺ قال أبو هريرة ﷺ: مات خَير هذه الأمة، ولعل الله أن يجعل فى ابن عباس منه خَلَفًا.

وعن عمار بن أبي عمار قال: لما مات زيد بن ثابت قعدنا إلى ابن عباس فى ظل القصر فقال: هكذا ذهاب العلم، لقد دُفن اليوم علمٌ كثير[1].

ورحل بطلنا عن هذه الدنيا... وها نحن كلما قرأنا سورة أو آية من كتاب الله لا نستطيع أن ننسى أبدًا مَن كَتب هذا القرآن ومن جَمَعه.

فرضى الله عن زيد وجزاه الله خير الجزاء عن كل مسلم قرأ القرآن وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

---

(١) قال الأرنؤوط: أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٢/ ٣٦١) والحاكم (٣/ ٤٢٨) ورجاله ثقات.

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه



عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابي الجليل الذي ملأ الدنيـا زهدًا وورعًا وعلمًا وطاعة وتواضـعًا وجهادًا في سـبيل الله جل وعلا.

إنه الرجل الذي كان النبي ﷺ يحب أن يسمع القرآن بصوته.

إنه أول من جهر بالقرآن في مكة.

إنه الرجل الذي كان النبي ﷺ يوصي أصحابه بأن يتعلموا منه القرآن لأنه يقرأ القرآن غضًا طريًا كما أُنزل من السماء.

إنه الرجل الذي أخبر النبي ﷺ بأن ساقـه في الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أُحد.

إنه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

كيف كانت قصة إسلامه؟!!

وتعالوا بنا لنبدأ قصته من أولها... لقد كان لإسلامه قصة يحلو ذكرها وتأنس النفوس وتطيب القلوب بتكرارها.

فقد كان ابن مسعود يرعى الغنم لسيد من سادات قريش ألا وهو: عقبة ابن أبي مُعيط.

وكان ابن مسـعود مخلصًـا أمينًا ورعًا على الرغم من أنه لم يسـمع بعدُ عن الإسلام وما يدعو إليه من الأمانة والصدق والإخلاص.

وفي يوم من الأيام كان ابن مسعود رضي الله عنه على موعد مع شمس الهداية ومع النور الإلهي فقد جاءه الحبيب ﷺ بخيري الدنيا والآخرة.

ولنترك الحديث لابن مسعود رضي الله عنه ليقص علينا قصته مع النبي ﷺ.

عن ابن مسعود قال: كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعيط فمر بي رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال: يا غلام! هل من لبن؟ قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: فهل من شاة لم ينزُ عليها الفحل؟ - أي لا تُدر لبنًا - فأتيته بشاة، فمسح ضرعها فنزل لبن، فحلب في إناء، فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلُص - أي انضم وأمسك عن إنزال اللبن- فقلص قال: ثم أتيته بعد هذا، فقلت: يا رسول الله! علمني من هذا القول فمسح رأسي، وقال: يرحمك الله إنك غُلَيِّم مُعلَّم[1].

لقد انبهر عبد الله بن مسعود حين رأى عبد الله الصالح ورسوله الأمين ﷺ يدعو ربه، ويمسح ضرعًا لا عهد له باللبن بعدُ، فإذا هو يُعطي من خير الله ورزقه لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين!!

وما كان يدري يومها، أنه إنما يشهد أهون المعجزات وأقلها شأنًا، وأنه عما قريب سيشهد من هذا الرسول الكريم معجزات تهز الدنيا، وتملؤها هدى ونورًا.

بل ما كان يدري يومها، أنه وهو ذلك الغلام الفقير الضعيف الأجير الذي يرعى غنم عُقبة بن أبي مُعيط، سيكون إحدى هذه المعجزات يوم يخلق الإسلام منه مؤمنًا يهزم بإيمانه كبرياء قريش، ويقهر جبروت سادتها[2].

لم يمض غيرُ قليل حتى أسلم عبد الله بن مسعود وجعل نفسه في خدمة النبي ﷺ.

---

(١) قال الأرنؤوط: إسناده حسن. أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٣٧).

(٢) رجال حول الرسول ﷺ / أ. خالد محمد خالد (ص ٢٢٩).

ويا لها من مكانة عظيمة تعانق كواكب الجوزاء فبعد أن كان ابن مسعود يرعى الأغنام وإذا به ينتقل إلى خدمة سيد الأنام ﷺ.

صبره على الإيذاء

لقد كان إسلام ابن مسعود مبكراً... فلقد أسلم قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم... ويقال أنه كان سادس رجل في الإسلام.

ولما علم المشركون بإسلامه أذاقوه من العذاب ألوانًا فلما رأى النبي ﷺ ما يحدث لأصحابه أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة فهاجر ابن مسعود الهجرتين إلى الحبشة لكنه لم يستطع أن يعيش بعيداً عن رسول الله ﷺ فعاد ليتنعم بصحبة النبي ﷺ وتعرض مرة أخرى للإيذاء والتعذيب... فأذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة فهاجر ابن مسعود إلى المدينة وعاش هناك في صحبة النبي ﷺ أسعد أيام حياته وشهد معه كل المشاهد والغزوات.

وكان صاحب سر رسول الله ﷺ ووساده، وسواكه، ونعليه، وطهوره في السفر، وكان يُشبَّه بالنبي ﷺ في هديه، ودلّه، وسمته، وكان خفيف اللحم قصيراً وكان من أجود الناس ثوبًا ومن أطيب الناس ريحاً.

مكانته عند الله (عز وجل)

ولقد كان رضي الله عنه من بين هؤلاء الصحب الكرام الذين أنزل الله في شأنهم قرآنًا يوصي فيه النبي ﷺ بألا يطردهم من مجلسه، بل يقربهم إليه فهم الذين سيبذلون دماءهم وأموالهم وأنفسهم لنصرة هذا الدين.

عن سعد قال: كنا مع رسول الله ﷺ، ونحن ستة، فقال المشركون:

اطرد هؤلاء عنك فلا يجترئون علينا، وكنت أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، ورجلان نسيت اسمهما، فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله وحدث به نفسه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[1][2].

وعن حذيفة أنه قال: لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن عبد الله بن مسعود من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة[3].

أول من جهر بالقرآن

لقد عاش ابن مسعود في رحاب النبي ﷺ وأحبه حبًا جمًا... وكان النبي ﷺ يحبه.

وكان ابن مسعود يأتي إلى النبي ﷺ ويتعلم القرآن بين يديه حتى أنه حفظ من فم النبي ﷺ سبعين سورة لا ينازعه فيها أحد.

* ويحكي لنا الزبير بن العوام كيف أن ابن مسعود كان أول من جهر بالقرآن في مكة بعد رسول الله ﷺ.

قال الزبير رضي الله عنه: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه... قال: اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهَر لها به قط، فمَن رجلٌ يُسمعهم القرآن.

فقال عبد الله بن مسعود: أنا.. قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يحمونه من القوم إذا أرادوه قال: دعوني فإن الله سيمنعني قال:

(١) سورة الأنعام: الآية: (٥٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٣) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٥٤٨) والحاكم (٣/ ٣١٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى، وقريش فى أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. رافعًا بها صوته: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[1]، قال: ثم استقبلها يقرؤها قال: فتأملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن مسعود؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمدٌ، فقاموا إليه فجعلوا يضربون فى وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثَّروا فى وجهه، فقالوا له: هذا الذى خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون علىَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدًا، قالوا: لا حسبُك قد أسمعتهم ما يكرهون[2].

نشأة فى ظلال الوحى

وظل ابن مسعود رضي الله عنه ملازمًا للحبيب ﷺ لا يفارقه فى ليله أو نهاره فى حِلِّه أو ترحاله.

فاقتبس الكثير والكثير من هدى النبى ﷺ وأخلاقه وعلمه حتى أصبح من أقرب الناس سمتًا وهديًا بالنبى ﷺ.

فعن عبد الرحمن بن يزيد قال: سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدى من النبى ﷺ حتى نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا وهديًا ودلاً بالنبى ﷺ من ابن أم عبد[3] يعنى ابن مسعود.

وبلغت مكانته رضي الله عنه عند النبى ﷺ درجة عظيمة لا تخطر ببال... فقد أذن له النبى ﷺ بالدخول عليه متى شاء فقال له ذات مرة: «إذنُك علىَّ أن يُرفع الحجابُ وأن تستمع سوادى - أى: سرى - حتى أنهاك»[4].

---

(١) سورة الرحمن: الآيتان: (١- ٢).

(٢) أخرجه الطبرى فى التاريخ (٢/ ٣٣٤- ٣٣٥) وإسناده صحيح متصل.

(٣) أخرجه البخارى (٣٧٦٢) والترمذى (٣٨٠٧) وأحمد (٥/ ٣٨٩، ٤٠١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٩) كتاب السلام وأحمد (١/ ٣٨٨، ٤٠٤) وابن ماجه (١٣٩).

حتى إن بعض الصحابة ﷺ كانوا يظنون فى بادئ الأمر أن ابن مسعود ﷺ من آل بيت النبى ﷺ من كثرة دخوله عليه.

فعن الأسود بن يزيد قال: سمعت أبا موسى الأشعرى ﷺ يقول: «قدمت أنا وأخى من اليمن فمكثنا حينًا ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجلٌ من أهل بيت النبى ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبى ﷺ»[1][2].

الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا

وكان من بين هؤلاء الذى رفع الله شأنهم وأعلى قدرهم (عبد الله بن مسعود) الذى كان ملازمًا للحبيب ﷺ يأخذ منه القرآن غضًا طريًا حتى أصبح واحدًا من أفضل الصحابة فى قراءة القرآن وعلومه، مما دعا النبى ﷺ أن يوصى أصحابه بأن يتعلموا القرآن من عبد الله بن مسعود: فقال ﷺ: «استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - وسالم مولى أبى حذيفة وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل»[3].

ولِمَ لا يكون (ابن مسعود) فى تلك المكانة وهو الذى أخذ القرآن من فم النبى ﷺ مباشرة، وتعلمه من نبعه الصافى... ولك أن تتخيل معى أيها الابن الحبيب أنك تسمع القرآن من فم مَن أُنزل عليه القرآن ﷺ.

قال ابن مسعود ﷺ: والله الذى لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ولو أعلم أحدًا أعلم منى بكتاب الله تبلُغُهُ الإبل لركبت إليه[4].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٦٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٦٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) قال الحافظ فى الإصابة (٢/ ٢٦٠): أمه (أى أم عبد الله بن مسعود).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٥٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٦٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٠٢) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢٤٦٢) كتاب فضائل الصحابة.

كان القرآن يخرج من فمه غضًا طريًا كما أُنزل

عن عبد الله أن رسول الله ﷺ مَرّ بين أبي بكر وعمر، وعبد الله قائم يصلي، فافتتح سورة النساء يقرؤها قراءة مفصلة فقال ﷺ: «من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أُنزل فليقرأ قراءة ابن مسعود» فأخذ عبد الله في الدعاء فجعل رسول الله ﷺ يقول: «سَلْ تُعطه» فكان فيما سأل: اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفدُ، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنان الخلد فقال النبي ﷺ: «آمين»... قال عمر: والله لأغدون على عبد الله ولأبشرنه بتأمين رسول الله على دعائه، فأتى عمر (عبد الله) يبشره، فوجد أبا بكر خارجًا قد سبقه، فقال: إنك لسبّاق بالخير[1].

الحبيب ﷺ يبكي لسماع القرآن من ابن مسعود رضي الله عنه

ولقد أحب النبي ﷺ عبد الله بن مسعود حبًا شديدًا كان يزداد يومًا بعد يوم وكان يقربه إليه لما يرى فيه من أمارات الذكاء والنجابة والأخلاق الرفيعة وحُسن الاتباع.

وفي مرة اشتاق الحبيب ﷺ أن يسمع القرآن من فم ابن مسعود رضي الله عنه ويا لها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

عن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآن» قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري. فقرأتُ عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[2]، فغمزني برجله، فإذا عيناه تذرفان[3].

---

(١) قال الأرنؤوط: إسناده حسن: وهو في المسند (١/ ٤٤٥، ٤٥٤) وأخرجه الحاكم بنحوه (٣/ ٣١٧).

(٢) سورة النساء: الآية: (٤١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٠٠) كتاب المسافرين، والبخاري (٤٠٤٩) كتاب فضائل القرآن.

ساقه أثقل من جبل أحد

وتتعاقب الأيام والليالي ويأتي موقف عظيم يبين للناس مكانة عبد الله ابن مسعود عند الله وعند رسول الله ﷺ.

فعن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكًا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله ﷺ: مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله نضحك من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحُد[1] - أي من جبل أحد -.

بل قال الحبيب ﷺ ذات مرة لأصحابه: «اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود»[2].

فكانت وصية عظيمة لأصحابه علموا من خلالها قدر ابن مسعود ومكانته ومنزلته السامقة.

ولِمَ لا؟ ولقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يتابع النبي ﷺ ويأخذ عنه القرآن حتى آخر يوم في حياته فعلم كل شيء عن القرآن وتفوق على غيره من الصحابة رضي الله عنهم في القرآن وعلومه.

جهاده في سبيل الله (جل وعلا)

ولقد شهد ابن مسعود المشاهد والغزوات كلها مع رسول الله ﷺ ولم يتخلف أبدًا عن أي غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

بل لقد وقف في يوم بدر موقفًا عظيمًا عندما قتل أبا جهل بعدما ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء بالسيف.

فقال النبي ﷺ: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟» فانطلق ابن مسعود فوجده

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤٢٠- ٤٢١) والطبراني في الكبير (٩/ ٧٥) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٧٥٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٨٠٥) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٢٣٣).

قد ضربه ابنا عفراء حتى بَرُدَ، قال: أأنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيتي قال: وهل فوق رجل قتلتموه أو رجل قتله قومه(١).

وفاة الرسول ﷺ

وظل ابن مسعود رضي الله عنه ملازمًا للحبيب ﷺ ثابتًا على دينه وإيمانه تاليًا لكتاب ربه.. حافظًا لسنة حبيبه ﷺ إلى أن جاء اليوم الذى أظلمت فيه المدينة كلها بموت النبى ﷺ، فحزن عليه ابن مسعود حزنًا شديدًا فقد كان ﷺ حبيبه ورسوله ومعلمه وأستاذه... ففقد كل ذلك فى لحظة واحدة، وبعد وفاة النبى ﷺ كان أصحابه رضي الله عنهم يعلمون قدر ابن مسعود رضي الله عنه ويعرفون مكانته ومنزلته.

وفى عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة: إننى قد بعثتُ إليكم عمارًا أميرًا، وابن مسعود مُعلمًا ووزيرًا، وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فاسمعوا لهما واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسى(٢).

ولقد أحبه أهل الكوفة حبًا جمًا لم يظفر به أحدٌ قبله ولا بعده.



---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٩٦٢) المغازى ومسلم (١٨٠٠) كتاب الجهاد والسير واللفظ للبخارى.

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٨٢) والحاكم (٣/ ٣٨٨) وصححه ووافقه الذهبى.

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالعلم والخشية والجهاد والبذل والتضحية والرحمة والتواضع... نام ابن مسعود رضي الله عنه على فراش الموت، فقد آن الأوان ليلحق بحبيبه ﷺ الذي لطالما ملأ عليه قلبه ولطالما تعلم على يديه.

وبينما هو رضي الله عنه على فراش الموت، وإذا بعثمان بن عفان رضي الله عنه يأتي إليه يزوره في مرضه.

وقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه[1].

ومات ابن مسعود بالمدينة ودفن بالبقيع ليلحق بأحبابه.

رضي الله عن ابن مسعود وجمعنا به في الفردوس الأعلى

* * *

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٤٩٨).

حكيم بن حزام رضي الله عنه



حكيم بن حزام رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابي الجليل الذي بدأ حياته مولودًا صغيرًا في جوف الكعبة وختم حياته بشراء دارٍ في الجنة.

إنه الصحابي الجليل حكيم بن حزام الذي كان من أحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ قبل البعثة... فلما بُعث النبي ﷺ تأخَّر إسلام حكيم أكثر من عشرين سنة!!!

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

من هنا نبدأ

في يوم من الأيام دخلت أم حكيم مع بعض النسوة في جوف الكعبة وكانت أمه حاملاً فجاءها مخاض الولادة وهي في جوف الكعبة فولدت غلامًا جميلاً فكان هذا المولود هو حكيم بن حزام رضي الله عنه.

وينشأ حكيم في أسرة ذات جاهٍ ومنصب وثراء.

وتمر الأيام ويُقتل أبوه في حربِ الفِجار الأخير فنشأ حكيم يتيمًا وربَّته أمه فأحسنت تربيته.

وكانت عمته خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ تحبه حبًا جمًّا حتى أنه في يوم من الأيام كان حكيم في سوق عكاظ ورأى غلامًا نجيبًا اسمه زيد ابن حارثة رضي الله عنه فاشتراه وأعطاه هدية لعمته خديجة التي لما تزوجها النبي ﷺ ورأت حبه لزيد بن حارثة أعطته هدية له وكان ذلك قبل بعثه النبي ﷺ فأعتقه النبي ﷺ وأصبح زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ.

علاقته بالنبي ﷺ قبل البعثة

وكان بين حكيم بن حزام وبين النبي ﷺ قبل البعثة محبة ومودة لا تخطر على قلب بشر فلما بُعث النبي ﷺ وأصبح نبيًا كان الناس يتوقعون أن يكون حكيم من أول من يُسلم لله جل وعلا ولكن المفاجأة أن حكيم لم يُسلم إلا بعد أكثر من عشرين سنة في عام الفتح وظل طوال هذه الفترة على الشرك.

* وقد حدث بين حكيم وبين النبي ﷺ في بداية البعثة موقف عجيب فقد حضر حكيم الموسم وهو ما زال مشركًا فوجد حُلة جميلة لذي يزن تُباع فاشتراها بخمسين دينارًا ليقدمها هدية لرسول الله ﷺ فذهب بها إلى المدينة ورأى النبي ﷺ فقدَّم له تلك الحُلة هدية فلم يقبلها النبي ﷺ وقال له: «إنَّا لا نقبل من المشركين شيئًا ولكن إن شئت بالثمن»[1].

وفي رواية: أن النبي ﷺ أخذها ولبسها.

قال حكيم: فرأيت الحُلة عليه على المنبر فلم أرَ شيئًا أحسن منه يومئذ فيها...

ثم أعطاها النبي ﷺ بعد ذلك لأسامة بن زيد فرآها (حكيم) على (أسامة).

فقال: يا أسامة! أتلبس حُلة ذي يزن؟ قال: نعم، والله لأنا خير منه، ولأبي خير من أبيه، فانطلقت إلى مكة، فأعجبتهم بقوله.

وهكذا كانت بين حكيم وبين النبي صداقة ومودة قبل البعثة وازدادت المحبة عندما تزوج النبي ﷺ عمته خديجة بنت خويلد ﵂ وعلى الرغم من كل ذلك لم يُسلم حكيم إلا يوم الفتح بعد أن مضى على بعثة النبي ﷺ أكثر من عشرين سنة.

ولقد كان حكيم حزينًا على تأخُّر إسلامه فلقد كان يتمنى أن لو أسلم

(١) أخرجه الحاكم (٣ / ٤٨٤ - ٤٨٥) وأحمد (٣ / ٤٠١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٧٠٧).

منذ اللحظة الأولى لبعثة النبي ﷺ، ليشهد معه المشاهد كلها وليبذل نفسه وماله لله جل وعلا. ولكنه لما تأخر إسلامه إلى يوم الفتح كان حكيم يجتهد ليلاً ونهاراً في أن يستدرك كل ما فاته ويغتنم كل لحظة في طاعة الله وكل درهم في نُصرة دين الله.

إسلامه رضي الله عنه

وفي يوم فتح مكة شرح الله صدر حكيم بن حزام فأسلم وأعلن التوحيد لله جل وعلا... وكما قلت لكم فقد كان حكيم حزينًا على تأخر إسلامه بعد تلك السنوات الطويلة.

وهنا أراد حكيم أن يستوثق من النبي ﷺ أن الله سيغفر له ما قد مضى فقال له: يا رسول الله ﷺ أيغفر الله لي؟ فقال له النبي ﷺ: «يا حكيم أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الحج يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها».

فقال له حكيم: يا رسول الله أرأيت الخير الذي كنت أعمله في الجاهلية هل لي فيه من شيء؟ فقال له النبي ﷺ: «أسلمت على ما أسلفت من خير».

أي أن الخير الذي عملته في الجاهلية أصبح في ميزان حسناتك بعد إسلامك.

فقال: يا رسول الله... والله ما وقفت موقفًا في عداوتك إلا وقفت أضعافه في نُصرتك وما أنفقت نفقة في عداوتك إلا أنفقت أضعافها في نُصرتك.

وكان قد أعتق في الجاهلية مائة عبد فأعتق بعد إسلامه مائة عبد وكان قد ساق في الجاهلية مائة ناقة وألف شاة في موسم الحج ليُطعم فقراء الحرم فساق بعد إسلامه مائة ناقة وألف شاة ليُطعم فقراء الحرم في موسم الحج.

وهكذا أراد حكيم رضي الله عنه أن يكفر عن كل موقف وقفه في الجاهلية أو

نفقة أنفقها في عداوة رسول الله ﷺ.

وكان إذا اجتهد في يمينه قال: «لا والذي نجاني يوم بدر من القتل»[1].

فكان يحمد الله أن أبقاه حتى أسلم وفعل الخير الذي يمحو به خطاياه في الجاهلية.

كرمه وجوده رضي الله عنه

لقد كان حكيم قمة في الجود والكرم حتى أنه كان أكثر الناس أحمالاً في سبيل الله... أي: أكثر من يحمل الزاد والطعام والكساء في سبيل الله حتى أنه كان يقول: ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة إلا علمت أن هذا من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها، أي أنه كان يحزن إذا لم يجد من يقف على بابه يسأله المال والطعام والكساء.

* وفي يوم من الأيام لما مات الزبير بن العوام رضي الله عنه لقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير فسأله وقال له: كم ترك أخي الزبير من الدَّين؟ أي كم عليه من الديون.

فقال له عبد الله: ألف ألف... أي عليه مليون درهم.

فقال حكيم: عليَّ خمسمائة ألف... أي سأقضي عنه من الديون نصف مليون درهم.

فيا له من كرم لا يخطر على قلب بشر.

* * *

---

(١) جمهرة نسب قريش (ص ٣[illegible]٣).

زهده في الدنيا رضي الله عنه

قال حكيم بن حزام رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم قال لي: «يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس، بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس، لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى» فقال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أسأل أحدًا بعدك شيئًا، حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر يدعو حكيمًا إلى العطاء، فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه، فقال: إني أُشهدكم معشر المسلمين على حكيم، أني أعرضُ عليه حقه من هذا الفيء، فيأبى أن يأخذه فلم يسأل حكيم أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي[(١)] .

يشتري دارًا في الجنة

ولعلكم تعرفون جميعًا دار الندوة التي كانت قريش تعقد فيها مؤتمراتها ومؤامراتها، وكان من أقبح تلك المؤامرات - المؤامرة التي عقدوها لقتل رسول الله ﷺ . . . فأراد حكيم بن حزام أن يغلق هذا التاريخ الأسود والماضي البغيض فلما آلت إليه دار الندوة - أصبحت في مُلكه - باعها بمائة ألف درهم فقال له ابن الزبير: بعت مكرمة قريش، فقال: ذهبت المكارمُ يا ابن أخي إلا التقوى، إني اشتريتُ بها دارًا في الجنة، أُشهدكم أني قد جعلتُها لله»[(٢)] .

❊ ❊ ❊

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٧٢) كتاب الزكاة - ومسلم (١٠٣٥) كتاب الزكاة وقوله لا أرزأ: أي لا أُنقص ماله بالطلب منه.

(٢) قال الهيثمي: أخرجه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن مجمع الزوائد (٩/ ٣٨٤)

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالزهد والورع والجود والكرم نام حكيم بن حزام على فراش الموت وهو يقول: لا إله إلا الله قد كنت أخشاك وأنا اليوم أرجوك... وفاضت روحه إلى بارئها جل وعلا.

وهكذا رحل حكيم رضي الله عنه الذي بدأ حياته في جوف الكعبة، وختم حياته والإسلام في قلبه فيشتري داراً في جنة الرحمن جل وعلا ليلحق بالحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في جنات الخلود إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

رضي الله عن حكيم بن حزام وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

خالد بن سعيد رضي الله عنه



خالد بن سعيد رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع صحابي جليل ضحَّى بكل شيء وترك زخارف الدنيا الفانية من أجل أن يفوز بنعمة الإسلام والتوحيد.

إنه الصحابي الجليل خالد بن سعيد رضي الله عنه.

إنه الرجل الذي يَصْدُقُ فيه قول الله جل وعلا: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ (١). فقد كان أبوه كافراً... عاش كافراً ومات كافراً فأخرج الله من صُلبه هذا الصحابي الجليل الذي كان شامة في جبين التاريخ.

لقد نشأ خالد في بيت قد امتلأ بكل أنواع النعيم الدنيوي والسيادة الزائفة، فقد كان أبوه (سعيد بن العاص) من السادة الذين تصدروا للزعامة والرئاسة في قومه، فهو صاحب كلمة مسموعة.

وكان سعيد بن العاص يبغض الحبيب ﷺ ويسعى بكل ما أُوتي من قوة لوأد دعوته في مهدها قبل أن تنتشر بين الناس في كل مكان.

ولكن بطلنا الحبيب (خالد) رضي الله عنه كان يشعر برغبة شديدة في رؤية النبي ﷺ ليسمع كلامه ويعلم عن دعوته ولو شيئاً يسيراً ليعرف السبب الذي حمل أباه على عدائه بتلك الصورة البشعة... فلما سأل عن النبي ﷺ علم أنه لا ينبغي لإنسانٍ على وجه الأرض إلا أن يحبه من كل قلبه.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٥).

أسلم بسبب تلك الرؤيا

وتعالوا بنا لنرى كيف دخل نور الإسلام قلب خالد بن سعيد.

كانت البداية أن خالد بن سعيد رأى في المنام أنه واقف على شفير جهنم فرآها كبيرة بشكل لا يخطر عل قلب بشر.

ورأى أن هناك من يدفعه ليقع فيها فلما كاد أن يقع في النار وإذا برسول الله ﷺ يُمسك به لينقذه من الوقوع في النار فـفزع خالد من نومه وقال: أحلف بالله أن هذه لرؤيا حق. فذهب إلى أبي بكر الصديق وحكى له تلك الرؤيا.

فقال له أبو بكر: والله لقد أراد الله بك خيراً... فهـا هو رسول الله ﷺ فـاتبعـه فإنك إن اتبـعتـه ودخلت معـه في الإسلام فـسوف ينقـذك إسلامك ويحجزك من الوقوع في النار.

فذهب خـالد بن سعيد إلى رسـول الله ﷺ فوجده في مكان اسـمه أجياد فقال له: يا رسول الله إلى ما تدعو؟

قال له النبي ﷺ: «أدعوك إلى الله وحده لا شـريك له وأن محـمداً عـبده ورسوله وأن تترك ما أنت عليه من عباده الأصنام».

فقال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله.

فسُرَّ رسول الله ﷺ بإسـلامه، وتغـيَّب خالد وعلم أبوه بإسـلامه، فأرسل في طـلبه فأتي به فـأنَّبه وضـربه بمقرعـة في يده حتى كسـرها على رأسه، وقال: والله لأمنعنَّك القوت. فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يكرمه ويكون معه[1].

فكان خالد بن سعيد خامس خمسة أسلموا لله جل وعلا.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٣١، ٣٢).

يستعذب العذاب في سبيل الله

وبمجرد أن أسلم خالد بن سعيد رضي الله عنه تعرض للبلاء الشديد... فلما علم أبوه بإسلامه أرسل إليه مولاه رافعًا وأخويه أبان وعمرو فرأوه يصلي فامتلأت قلوبهم نورًا لهذا المشهد المهيب الذي رأوه وعاد معهم خالد إلى أبيه فلما علم بإسلامه آمره بأن يترك هذا الدين العظيم فأبى خالد بكل عزة.

فقال له أبوه: إذن أحرمك من رزقي.

فقال له خالد: الله خير الرازقين.

فطفق والده يضربه ضربًا شديدًا حتى سالت الدماء الشريفة من هذا الجسد الطيب المبارك ثم أوثقه و زجَّ به في غرفة مظلمة ومنع عنه الطعام والشراب ثلاثة أيام.

ثم جاءه في اليوم الرابع نفرٌ من أهله وقالوا: كيف أنت يا خالد؟

فقال: إني أتقلب في نِعم الله عز وجل.

فقالوا: أما آن لك أن تعود إلى عقلك وتطيع أباك.

فقال: أما رُشدي فما فارقني وما فارقته.

وأما أبي فلا أطيعه فيما يعصى به الله عز وجل.

فقالوا: قُل لأبيك كلمة تُرضيه في اللات والعُزَّى يفرج عنك.

فقال: إن اللاتَ والعزى حجران أصمان أبكمان.

وإني لا أقول فيهما إلا ما يرضي الله ورسوله وليفعل بي ما يشاء.

فأمر أبوه غلمانه بأن يشدوا وثاقه ويخرجوا به إلى الشمس المحرقة حتى تصهره فكان كلما أخرجوه وألقوه في الهاجرة يقول: الحمد لله الذي أكرمني بالإيمان وأعزني بالإسلام. إن ذلك كله أهونُ عليَّ من لحظة عذاب في جهنم التي أراد أن يُلقيني فيها أبو أحيحة. وجزى الله نبيه وصفيه عني

وعن المسلمين أكرم الجزاء.

ثم حانت لخالد فرصة؛ فتفلّت من سجن أبيه، ومضى إلى نبيه صلوات الله وسلامه عليه.. ثم ما لبث أن لحق به أخواه عمرو وأبان وانضما معه إلى موكب الخير والنور. عند ذلك أحسَّ أبوه بالهزيمة النفسية فقال: واللات والعزى لأعزلن بمالي بعيدًا عن مكة، فذلك خيرٌ لي ولأهجرن أولئك الذين يعيبون آلهتي وأربابي.

ثم انتقل إلى قرية قريبة من الطائف وظل فيها حتى مات كمدًا وهو على الشرك.

ولما أذن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة نزح إليها خالد بن سعيد بن العاص ومعه زوجته أمينة بنت خلف الخزاعية وقد أقام فيها بضع عشرة سنة داعيًا إلى الله، ولم يُغادرها إلى المدينة إلا بعد أن فتح الله على المسلمين خيبر.

فَسُرَّ الرسول عليه الصلاة والسلام بمقدمه أبلغ السرور، وقسم له من غنائم خيبر كما قسم للمحاربين.

ثم ولاه اليمن فظل واليًا عليها إلى أن لحق الرسول الكريم ﷺ بجوار ربه[1].

استشهد فسطع له نور إلى السماء فكان سببًا في إسلام قاتله

وخاض خالد بعض المعارك ضد الروم، وكان من أشجع الفرسان، وكان معه أخواه أبان وعمرو فأما عمرو فلقد استُشهد البطل في معركة فحل، «رُئي وهو مضروب على حاجبه بالسيف، وقد ملأ الدم عينيه، وهو لا

(١) نقلاً من صور من حياة الصحابة (ص: ٤٥٥- ٤٥٧) بتصرف.

يستطيع أن يطرف ولا أن يفتح جفنه من الدم وكـان الروم قد حنقوا عليه لما رأوا من شدة قتاله، فجرّدوا له فريقًا، فمشى إليهم بسيفه فضاربهم ساعة، وثار بينهم الغبـار، فشد عليهم المسلمـون، وإذا الروم قد قطعوه بسـيوفهم، ووُجد به أكثر من ثلاثين ضربة[1].

وأما خالد وأبان فلقد استُشهدا يوم أجنادين.

وروي أن خالدًا ﷺ استُشهـد فقال الذي قتله بعد أن أسلم: مَنْ هذا الرجلُ؟ فإني رأيتُ نورًا له ساطعًا إلى السماء.

وقيل: كان خالدُ بن سعيد وسيمًا جميلاً قُتلَ يوم أجنادين[2].

وهكذا رحل بطلنا الحبيب عن دنيا الناس بعـد أن ضحى بثروة أبيه وآثر الإسـلام على هذا المتاع الزائل من أجـل أن يظفر بصـحبـة الحبيـب ﷺ وبرضوان الله جل وعلا ومن ثم بالنعيم المقيم في جنـة الرحمن التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فرضي الله عن خالد وأبان وعمرو وعن سائر الصحابة أجمعين وجمعنا بهم في الفردوس الأعلى.



(١) الطريق إلى دمشق (ص: ٣٤٤).
(٢) السير للإمام الذهبي (١ / ٢٦٠).



أبو ذر الغفاری رضی الله عنه



أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعد مع هـذا الصحابي الجليل الذي ملأ الدنيا زهداً وورعاً... فلم تستطع الدنيا أن تنال من قلبه شيئًا.

إنه خامس رجل أسلم في هذه الأمة المباركة.

إنه الرجل الذي كان يقول كلمة الحق ولا يخشى في الله لومة لائم.

إنه الرجل الذي قال عنه النبي محمد ﷺ: «من سرَّه أن ينظر إلى تواضع عيسى فلينظر إلى أبي ذر»[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

قصة إسلامه رضي الله عنه

لقد كان أبو ذر رضي الله عنه يعيش في قبيلة تُسمى غِفار وهي قبيلة مشهورة بقطع الطريق على القوافل فإن أعطتها القافلة ما تريد وإلا أغارت عليها وأخذت كل ما فيها.

وكان أبو ذر يتعبد قبل مبعث رسول الله ﷺ بل كان يجلس وحده كثيرًا للتفكر. إنه يبحث عن عالم آخر يجد فيه الأمان والأمانة والمحبة والإخاء يبحث عن فجر قريب يضيء أركان الكون ويُبدد ظلمات الجاهلية فيحولها إلى عالم مثالي يعيش الناس فيه على قلب رجل واحد.

وكانت تلك الأمنية لا يمكن أن تتحقق بحال من الأحوال إلا في ظل هذا الدين العظيم.

---

(١) صحيح: أخرجه ابن سعد (٤/٢٢٨)، وابن أبي شيبة (٦/٣٨٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٣٤٣).

وما هي إلا فترة يسيرة حتى سمع أبو ذر بمبعث نبي آخر الزمان ﷺ فأراد أن يتثبت من هذا الخبر... أقصد هذا الحلم الجميل الذي ملأ قلبه فرحة وسرورًا وسعادة لو وُزِّعت على الكون كله لاكتفى الكون من تلك السعادة وتصدقوا بما تبقى منها على سائر الكواكب.

وهنا أدع المجال لهذا الصحابي الجليل ليروي لنا جميعًا قصة إسلامه.

وما أجملها من قصة.

* قال أبو ذر: بلغني أن رجلاً بمكة قد خرج، يزعمُ أنه نبي، فأرسلتُ أخي ليكلمه، فقلت: انطلق إلى هذا الرجل، فكلمه، فانطلق فلقيه، ثم رجع، فقلت: ما عندك؟ قال: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر... قلت: لم تشفني.

قال أبو ذر: فأخذت جرابًا وعصًا ثم ذهبت إلى مكة وكنت لا أعرف النبي ﷺ وأخاف أن أسأل الناس عنه فجلست قريبًا من بئر زمزم لأشرب منه وأكون في المسجد.

فبينما أنا على تلك الحالة إذ مرَّ بي علي بن أبي طالب وقال لي: هل أنت رجلٌ غريب؟ قلت له: نعم.

فقال لي: انطلق معي إلى المنزل.

قال أبو ذر: فانطلقت معه لا أكلمه ولا يكلمني.

فلما أصبح الغد عُدت إلى المسجد وأنا أخشى أن أسأل أحدًا عن النبي ﷺ فمرَّ بي (عليٌّ) فقال: أما آن للرجل أن يعود؟ قلت: لا. قال: ما أمرك، وما أقدمك؟ قلت: إن كتمت عليَّ أخبرتك؟ قال: أفعل. قلت: قد بلغنا أنه قد خرج نبي قال: أما قد رشدت! هذا وجهي إليه، فاتبعني وادخل حيث أدخل، فإني إن رأيت أحدًا أخافه عليك، قمتُ إلى الحائط كأني أصلح نعلي! وامضِ أنت.

فمضى، ومضيتُ معه، فدخلنا على النبى ﷺ، فقلت: يا رسول الله، اعرض علىّ الإسلام، فعرض علىّ، فأسلمت مكانى. فقال لى: «يا أبا ذر، اكتم هذا الأمر، وارجع إلى قومك! فإذا بلغك ظهورنا، فأقبل».

فقلتُ: والذى بعثك بالحق، لأصرُخنّ بها بين أظهرهم.

فجاء إلى المسجد وقريش فيه، فقال: يا معشر قريش، إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ. فقاموا: فضُربت لأموت! فأدركنى العباسُ، فأكبَّ علىَّ، وقال: ويلكم تقتلون رجلاً من غفار، ومتجركم وممركم على غفار! فأطلقوا عنى. فلما أصبحتُ، رجعتُ فقلت مثل ما قلت بالأمس. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ! فصنُع بى كذلك، وأدركنى العباس، فأكبّ علىّ[1].

* ويقال أن أبا ذر قال لأخيه أُنيس: كُن مكانى حتى أذهب إلى مكة فأعرف حقيقة الأمر.

قال أبو ذر: فاخترت رجلاً ضعيفاً وقلت له: أين هذا الرجل الذى تقولون عنه أنه صابئ - أى ترك دين الآباء والأجداد - فنادى هذا الرجل الضعيف على قريش وقال لهم وهو يشير إلى أبى ذر: الصابئ الصابئ. فأخذوا يضربونه بكل قسوة حتى نزفت الدماء من جسده.

قال أبو ذر: فأتيت زمزم فغسلت عنى الدماء وشربت من مائها، ولقد لبثت يا ابن أخى ثلاثين ليلة ويوم ما كان لى طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسَّرت عُكَن بطنى وما وجدت على كبدى سخفة جوع إلى أن قال: وجاء رسول الله حتى استلم الحَجَر، وطاف بالبيت هو وصاحبه ثم صلى فلما قضى صلاته قال أبو ذر: فكنت أنا أول من حيّاه بتحية الإسلام قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «وعليك ورحمة الله» ثم قال: «من أنت؟» قال: قلت: من غفار. قال: فأهوى بيده فوضع أصابعه على

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٢٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٧٤) كتاب فضائل الصحابة.

جبهته فقلت في نفسي: كَرِه أن انتميت إلى قبيلة غفار، ثم رفع رأسه ثم قال: «متى كنت هاهنا؟» قال: قلت: قد كنت ههنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم. قال: «فمن كان يطعمك؟» قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما أجد على كبدي سخفة جوع. قال: «إنها مباركة، إنها طعام طُعم» فقال أبو بكر: يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة، فانطلق رسول الله، وأبو بكر، وانطلقت معهما ففتح أبو بكر بابًا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، وكان ذلك أول طعام أكلته بها ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال: «إنه قد وُجِّهت لي أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب فهل أنت مُبلِّغ عني قومك؟ عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم» فأتيت أُنيسًا فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت أني قد أسلمت وصدقت. قال: ما بي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفارًا فأسلم نصفهم، وكان يؤمهم إيماءُ بن رحضة الغفاري، وكان سيدهم، وقال نصفهم: إذا قَدِم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا... فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي، وجاءت قبيلة أسلم فقالوا: يا رسول الله! إخوتنا نُسْلِم على الذي أسلموا عليه، فأسلموا، فقال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله»[(١)].

وهكذا حمل أبو ذر أمانة هذا الدين على أعناقه فمن أول لحظة لامس الإيمان شغاف قلبه وأحس بنوره أراد أن يعيش الكون كله في هذا النور.

وعاش أبو ذر في قبيلته زاهدًا عابدًا حتى مضت غزوة بدر وأُحد والخندق، ثم جاء إلى الحبيب ﷺ في المدينة ولازم النبي واستأذنه في أن يقوم بخدمته فأذن له.

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٧٣) كتاب فضائل الصحابة وأحمد مطولاً (٥/ ١٧٤- ١٧٥).

محبة النبي ﷺ ووصاياه الغالية له رضي الله عنه

ولقد أحبه النبي ﷺ حبًا جمًا من أعماق قلبه حتى إنه قال ذات مرة عن أبي ذر رضي الله عنه: «ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى ابن مريم»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى ابن مريم، فلينظر إلى أبي ذر»(٢).

وها هو الحبيب ﷺ يوصيه بتلك الوصايا الغالية.

فعن أبي ذر، قال: أوصاني خليلي ﷺ بسبع: «أمرني بحُبِّ المساكين والدنو منهم، وأمرني أن انظر إلى من هو دوني، وأن لا أسأل أحدًا شيئًا وأن أصل الرحم وإن أدبرت، وأن أقول الحق وإن كان مُرًا، وألا أخاف في الله لومة لائم، وأن أُكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش»(٣).

وقد قال النبي ﷺ لأبي ذر مع قوة أبي ذر في بدنه وشجاعته: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين، ولا تُولينَّ مال يتيم»(٤).

بل كان النبي ﷺ يقربه إليه كثيرًا.

فعن أبي ذر، قال: كنتُ ردفَ رسول الله ﷺ على حمار وعليه برذعة، أو قطيفة(٥).

وهذا دليل على عظيم تواضع النبي ﷺ وعلى شدة محبته لأبي ذر رضي الله عنه.

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٨٠٢) كتاب المناقب، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٥٣٨).

(٢) صحيح: أخرجه ابن سعد (٤/ ٢٢٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٣٤٣).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٩) وابن سعد (٤/ ٢٢٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٥٢٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٦) كتاب الإمارة، وأحمد (٥/ ١٨٠) وابن سعد (٤/ ٢٣١).

(٥) إسناده صحيح: وهو في طبقات ابن سعد (٤/ ٢٢٨) ومسند أحمد (٥/ ١٦٤).

موقفه فى غزوة تبوك

كانت غزوة تبوك فى شهر رجب سنة تسع من الهجرة وكانت فى وقت عُسرة من الناس وجدب فى البلاد . . . وبدأت الثمار تطيب فى هذا الوقت فكان الناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الخروج للغزو فى هذا الوقت لأنه كان وقت جنى الثمار.

* وكانت الأخبار قد وصلت إلى النبى ﷺ أن الرومان قد قامت بإعداد جيشها للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين.

* وعاش المسلمون لحظات عصيبة فقد كانوا لا يسمعون صوتًا غير معتاد إلا ويظنونه زحف الرومان نحو المدينة المنورة . . وهذا يدل على خطورة الموقف الذى كان يواجهه المسلمون بالنسبة إلى الرومان.

* ولذلك أمر النبى ﷺ أصحابه بالتهيؤ لغزو الرومان فى ديارهم قبل أن يأتوا إلى المدينة المنورة.

ولما تجهَّز الجيش الإسلامى استعمل النبى ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة وخرج النبى ﷺ بهذا الجيش الكبير الذى بلغ ثلاثين ألفًا من الناس وبلغت الخيول عشرة آلاف فرس.

* ولما سار النبى ﷺ تخلف عبد الله بن أُبى ابن سلول رأس المنافقين ومن كان معه من المنافقين.

* وتخلف بعض الصحابة الأفاضل الذين لم يتخلفوا عن شكٍّ ولا ارتياب ولا نفاق . . منهم: كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع.

* وتخلف أيضًا: أبو خيثمة وأبو ذر لكنهما لحقا بالنبى ﷺ بعد ذلك وشهدا غزوة تبوك.

❊ ❊ ❊

رحم الله أبا ذر

ثم مضى رسول الله ﷺ سائرًا، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان.

فيقول: «دعوه فإن يك فيه خير فسيُلحقه الله تعالى بكم. وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره؛ فقال: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم. وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»؛ وتلوَّم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيًا.

ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا لرجل يمشي على الطريق وحده.

فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذر».

فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر.

فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده ويموت وحده، ويُبعث وحده»[1].

وفاة الرسول ﷺ

وعاش أبو ذر ملازمًا للنبي فتعلم بين يديه الكثير والكثير من خيري الدنيا والآخرة.

وكان النبي ﷺ يحبه حبًا جمًا.

وتمر الأيام وينام النبي ﷺ على فراش الموت وتفيض روحه إلى بارئها جل وعلا فمات وهو راضٍ عن أبي ذر.

ولما توفي رسول الله ﷺ ولحق بالرفيق الأعلى لم يستطع أبو ذر أن يعيش

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٢، رقم ٤٣٧٣) وقال: صحيح الإسناد، وابن عساكر (٦٦/ ٢١٦).

في المدينة بعد أن أظلمت بموت الحبيب ﷺ وخلت من صوته العذب ومجالسه المباركة فرحل إلى البادية وعاش فيها مُدة خلافة الصديق والفاروق رضي الله عنهما.

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه نزل في دمشق فلما رأى أن كثيراً من المسلمين قد أقبلوا على الدنيا وانغمسوا في الترف قام فيهم ناصحًا ومُذكرًا.

ولما استدعاه عثمان رضي الله عنه يومًا قام أبو ذر رضي الله عنه وطلب منه أن يأذن له في أن ينزل (بالربذة) فأذن له.

وحان وقت الرحيل

وبعد تلك الحياة المليئة بالزهد والعطاء والطاعة نام أبو ذر رضي الله عنه على فراش الموت ليُسلم الروح إلى بارئها وليلحق بالحبيب ﷺ وأصحابه في جنة الرحمن إخوانًا على سُرر متقابلين.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله واصفًا موت أبي ذر رضي الله عنه: ثم نزل بالربذة فأقام بها حتى مات في ذي الحجة من هذه السنة[1] وليس عنده سوى امرأته وأولاده، فبينما هم كذلك لا يقدرون على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه فحضروا موته، وأوصاهم كيف يفعلون به، وقيل: قَدِموا بعد وفاته، فتولوا غُسله ودفنه.

وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاة من غنمه ليأكلوه بعد الموت، وقد أرسل عثمان بن عفان إلى أهله فضمَّهم مع أهله[2].

وهكذا يحفظ الله المؤمن في ذريته كما كان يحفظ الله في السر والعلن ويمتثل أمره في المنشط والمكره.

* رضي الله عن أبي ذر الغفاري وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

---

(١) سنة ٣٢.

(٢) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/ ١٧٢).

سلمان الفارسي رضي الله عنه



سلمان الفارسى رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: ها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابى الجليل الذى ضحَّى بالمال والجاه والسلطان من أجل أن يفوز بنعمة الإسلام والتوحيد.

إنه الرجل الذى ظل أكثر من عشرين سنة يبحث عن الحق والحقيقة.

إنه الرجل الذى نصر الله به المسلمين فى يوم الأحزاب.

إنه الرجل الذى اشتاقت الجنة إليه نعم والله اشتاقت الجنة إليه.

إنه ابن الإسلام الذى كان يعتز دائمًا ويقول:

أبى الإسلام لا أبَ لى سواه

إذا افتخروا بقيس أو تميم

إنه سلمان الفارسى رضي الله عنه الذى قال عنه النبى ﷺ: «سلمان منَّا أهل البيت».

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

الباحث عن الحقيقة

المكان: شجرة ملتفة وارفة الظلال، أمام دار متواضعة بالمدائن يجلس تحت ظلها صاحب الدار شيخ كبير تعلوه الهيبة، ويُزينه الوقار قد أحاط به جلساؤه الأخيار، يُنصتون لحديثه الشيِّق، وقصته الرائعة ورحلته المباركة فى البحث عن الحقيقة.

ها هو ذا يروى لهم كيف غادر دين قومه الفرس إلى النصرانية، ثم إلى الإسلام، وكيف ضحَّى فى سبيل الحقيقة الكبرى بثراء أبيه الباذخ، ورمى نفسه فى أحضان الفقر بحثًا عن خلاص عقله وروحه.

إنه يروي لهم: كيف بيع في سوق الرقيق، وهو في طريق بحثه عن الحقيقة؟ كيف التقى برسول الله ﷺ وكيف آمن بالله . . . .؟

إنه: سلمان الفارسي، أو سلمان الخير صاحب رسول الله ﷺ.

مثلٌ أعلى لكل باحث عن الحقيقة بصدق وإخلاص وتجرُّد. . . هيا بنا نقترب من مجلسه المهيب، وتعالوا معي لنُصغي إلى النبأ الباهر الذي يرويه (١).

قال سلمان رضي الله عنه: كنت رجلاً فارسيًّا من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها: (جي)، وكان أبي دهقان قريته - رئيسها - وكنتُ أحبَّ خلق الله إليه، فلم يزل به حبُّه إياى حتى حبسني في بيتي كما تُحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قاطن النار (٢)، الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة. قال: وكانت لأبي مزرعة عظيمة قال: فشُغل في بنيان له يومًا فقال لي: يا بُني إني قد شُغلت في بنيانٍ هذا اليوم عن مزرعتي فاذهب فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد مزرعته فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبي إياى في بيته، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون قال: فلما رأيتهم أعجبني صلاتهم، ورغبت في أمرهم وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس. وتركت ضيعة أبي ولم آتها فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. قال: ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، قال: فلما جئته قال: أى بني أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت. يا أبتِ مررت بناس يصلون في

---

(١) علو الهمة/ دكتور: محمد إسماعيل المقدم - حفظه الله - (ص: ٢١٧، ٢١٨).

(٢) قاطن النار: القيم على نار المجوس ومُوقدها.

كنيسة لهم، فأعجبتني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بُني ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه. قال: قلت: كلا والله إنه خير من ديننا. قال: فخافني، فجعل في رجلي قيدًا ثم حبسني في بيته. قال: وبعثت إليَّ النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركبٌ من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم.

قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى. قال: فأخبروني بهم. قال: فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم. قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: مَن أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأُسقف في الكنيسة قال: فجئته فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك. قال: فادخل فدخلت معه. قال: فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويُرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورِق (فضة) قال: وأبغضته بُغضًا شديدًا لما رأيته يصنع، ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يُعطِ المساكين منها شيئًا، قالوا: وما علمك بذلك؟ قال: قلت: أنا أدلكم على كنزه قالوا: فدُلنا عليه. قال: فأريتهم موضعه. قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا وورِقًا. قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدًا، فصلبوه ثم رجموه بالحجارة، ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه بمكانه.

قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس[1] أرى أنه أفضل منه. أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهارًا منه. قال:

---

(١) أي أنه أفضل رجل من غير المسلمين.

فأحببته حبًا لم أحبه من قبله، وأقمت معه زمانًا ثم حضرته الوفاة فقلت له: يا فلان إني كنت معك وأحببتك حبًا لم أحبه من قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى مَن توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم أحدًا اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدَّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل - اسم مدينة - وهو فلان فهو على ما كنت عليه فالحق به. قال: فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره قال: فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلانًا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به، قال: فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب نصيبين فجئته فأخبرته بخبري وما أمرني به صاحبي قال: فأقم عندي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حُضر قلت له: يا فلان إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما نعلم أحدًا بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية فإنه بمثل ما نحن عليه فإن أحببت فأته قال: فإنه على أمرنا. قال: فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري فقال: أقم عندي فأقمت مع رجل على هدى أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغُنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي

بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حَرَّتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال: ثم مات وغُيِّب فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مَرَّ بي نفر من (كلب) تجاراً فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم.

فأعطيتهموها وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني إلى رجل من يهود عبداً، فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي. ولم يحق لي في نفسي فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه - أي اشتراني - فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها، وبعث الله رسوله، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرِّق، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال فلان: قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء - يعني الرعدة - حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك. قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبت عما قال. . وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك

غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم. قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كُلوا» وأمسك يده فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة. ثم انصرفت عنه فجمعت شيئًا وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئت به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه. قال: فقلت: في نفسي هاتان اثنتان. ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد: وقد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان له وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه. ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله استدرته عرف أني أستثبت من شيء وُصف لي. قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أُقبّله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تحوَّل» فتحولت فقصصت عليه حديثي فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه. ثم شغل سلمان الرّق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدرٌ وأُحدٌ قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كاتب[1] يا سلمان» فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أزرعها له بالفقير وبأربعين أوقية ذهب، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل يأتي الرجل بثلاثين ودية[2] والرجل بعشرين والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر يعني الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب يا سلمان فاحفر لها فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي» فحفرت لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول

---

(١) المكاتبة: تعهد العبد بدفع مال لسيده مقابل عتقه.

(٢) الودية: الشتلة الصغيرة.

الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة. فأديت النخل وبقي عليّ المال فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي فقال: «ما فعل الفارسي المكاتب؟» قال: فدُعيت له فقال: «خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان» فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ؟ قال: «خذها فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك» قال: فأخذتها فوزنت لهم منها، والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم، وعُتقت فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتني معه مشهد[1].

صاحب فكرة الخندق

وفي يوم الأحزاب (الخندق) وقف سلمان رضي الله عنه موقفًا عظيمًا لا ينساه التاريخ أبدًا على مدى العصور والأزمان.

غزوة الخندق (الأحزاب)

وكان سبب الغزوة أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد... وكان اليهود يحقدون على النبي ﷺ وأصحابه بسبب نفيهم إلى خيبر.

فخرج بعض سادتهم مثل (سلام بن أبي الحُقيق - سلام بن مشكم - كنانة بن الربيع) وغيرهم إلى قريش بمكة ليُحرضوهم على غزو رسول الله ﷺ ووعدوهم بأن يقفوا بجوارهم وينصروهم.

* فوافقت قريش وخرج أبو سفيان في أربعة آلاف وخرج معهم غطفان وبنو أسد وبعض القبائل التي تعادي النبي ﷺ ... حتى بلغ عددهم عشرة آلاف من الكفار.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٤١) وابن سعد في الطبقات (٤/ ١/ ٥٣) وإسناده حسن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٨٩٤).

حفر الخندق

وسارع رسول الله ﷺ إلى عقد مجلس استشارى أعلى، تناول فيه خطة الدفاع عن كيان المدينة، . . . وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى، اتفقوا على قرار قدمه الصحابى النبيل سلمان الفارسى رضي الله عنه . . . .
قال سلمان: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك.

وأسرع رسول الله ﷺ إلى تنفيذ هذه الخطة، فوكَّل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعًا[1].

ولما كانت المدينة تحيط بها الجبال وبساتين من النخيل من كل جانب سوى الشمال، وكان النبى ﷺ يعلم كخبير عسكرى حاذق أن زحف مثل هذا الجيش الكبير، ومهاجمة المدينة - لا يمكن إلا من جهة الشمال، اتخذ الخندق فى هذا الجانب.

وواصل المسلمون عملهم فى حفره، فكانوا يحفرونه طول النهار، ويرجعون إلى أهليهم فى المساء حتى تكامل الخندق حسب الخطة المنشودة قبل أن يصل الجيش الوثنى العرمرم إلى أسوار المدينة[2].

وهكذا يجب على المسلم أن يبحث لنفسه عن دور وعن عمل لخدمة دين الله جل وعلا.

ولن تعجز أيها المسلم أن تجد هذا الدور، ولكن أخلص النية لله واسأله أن يستعملك وأن يستخدمك لنُصرة دينه وسوف يُجرى الله الخير على يديك وينفع بك الإسلام والمسلمين. . . فها هو سلمان رضي الله عنه يأتى من بلاد فارس ليُسلم لله جل وعلا ويكون سببًا فى حفر الخندق لينفع الله به الإسلام والمسلمين.

---

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٢٧).

(٢) ابن هشام (٣/ ٢٣١).

علمه رضي الله عنه

ولقد امتنّ الله عز وجل على سلمان رضي الله عنه بسعة العلم، ولعل من تدبر وتأمل قصة إسلامه يتبين له هذا الأمر واضحًا جليًّا... فعن رجل، عن زاذان قال: كنا عند عليّ قلنا: حدِّثنا عن سلمان، قال: مَن لكم بمثل لقمان الحكيم، ذاك امرؤ منا وإلينا أهل البيت، أدرك العلم الأول والعلم الآخر، بحر لا يُنزف(١).

* بل لقد كان يستعمل علمه في دلالة الناس من حوله إلى كل خير.

فعن ابن أبي جحيفة قال: «آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، - لا تتزين لزوجها - فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعامًا، فقال له: كُل، قال: فإني صائم. قال سلمان: ما أنا بآكل حتى تأكل قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال: نم. فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل. قال سلمان: قم الآن، فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا ولأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كل ذي حقٍّ حقه. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبي ﷺ: «صدق سلمان»(٢).

بل لقد كان كلما ازدادت المحن والفتن والابتلاءات على أصحاب النبي ﷺ كان سلمان رضي الله عنه يُذكرهم بنصرة الله لأوليائه المؤمنين الصابرين على المحن والابتلاءات فيقول: كانت امرأة فرعون تُعذَّب فإذا انصرفوا أظلتها الملائكة بأجنحتها، وترى بيتها في الجنة وهي تُعذَّب قال: وجُوِّع لإبراهيم أسدان ثم أُرسلا عليه، فجعلا يلحسانه، ويسجدان له(٣).

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤/ ١/ ٦١) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٨٧) والاستيعاب (٤/ ٢٢٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٩٦٨) كتاب الصوم والترمذي (٢٤١٥) كتاب الزهد.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٦) نقلاً من السير للذهبي (١/ ٥٥٢).

وهكذا فإن العلم من أعظم أسباب الثبات في الدنيا والآخرة، وبخاصة إذا كان العالم عاملاً بعلمه مريداً به وجه الله تعالى.

مناقبه ومكانته عند الله (جل وعلا)

ولقد كان سلمان رضي الله عنه له مكانة عظيمة عند الله جل وعلا وعند رسول الله ﷺ.

فأما عن مكانته عند الله فلقد أخبر رسول الله ﷺ أن الله عز وجل يغضب لغضب سلمان رضي الله عنه فهل تصدق هذا؟!!!.

عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان مرّ على سلمان وبلال وصهيب في نفر فقالوا: ما أخذت سيوفُ الله من عُنق عدو الله مأخذها فقال أبو بكر: تقولون هذا لشيخ قريش وسيدها! ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر! لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا يا أبا بكر يغفر الله لك[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[2]. قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثًا، وفينا سلمان الفارسي فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثُريا لناله رجال، أو رجل من هؤلاء»[3].

بل وتأتي أعظم منقبة في الكون كله فها هو رسول الله ﷺ يبشره بأن الجنة تشتاق إليه، فقال ﷺ: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمار وسلمان»[4].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٠٤) كتاب الفضائل.

(٢) سورة الجمعة: الآية: (٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٩٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٤٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٩٧) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٥٩٨).

خفة ظله رضي الله عنه

وكان سلمان رضي الله عنه يتمتع بخفة الظل، فعلى رغم من أنه العابد التقى الورع المخبت البكّاء إلا أنه كان يتحين الفرص ليُدخل الفرحة والبسمة على قلوب الصحابة رضي الله عنهم.

عن أبي وائل قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف، لتكلفت لكم. فجاءنا بخبز وملح، فقال صاحبي: لو كان في ملحنا صعتر. فبعث سلمان بمطهرته فرهنها فجاء بصعتر، فلما أكلنا، قال صاحبي: الحمد لله الذي قنّعنا بما رزقنا.

فقال سلمان: لو قنعت لم تكن مطهرتي مرهونة[١].

تواضعه رضي الله عنه

قال ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله»[٢].

ولقد كان سلمان رضي الله عنه متواضعًا ولذلك رفعه الله تعالى وأعلى قدره في الدنيا والآخرة.

وها هي أمثلة نادرة من تواضع هذا الصحابي الجليل.

عن جرير بن حازم قال: سمعت شيخًا من بني عبس يذكر عن أبيه قال: أتيتُ السوق، فاشتريتُ علفًا بدرهم، فرأيتُ سلمان ولا أعرفه فسخّرته فحملت عليه العلف، فمرّ بقومٍ فقالوا: نحملُ عنك يا أبا عبد الله، فقلت: من ذا؟ قالوا: هذا سلمان صاحبُ رسول الله. فقلتُ له: لم أعرفك ضعه فأبى حتى أتى المنزل[٣].

---

(١) قال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٧٩): أخرجه الطبراني (٦٠٨٥) ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الطوسي وهو ثقة.

(٢) صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٤٦) عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٣٨).

(٣) أخرجه ابن سعد (٤/ ١/ ٦٣) نقلاً من السير للذهبي (١/ ٥٤٦)

وعن عبد الله بن بريدة أن سلمان كان يعمل بيده، فإذا أصاب شيئًا اشترى به لحمًا أو سمكًا ثم يدعو المجذَّمين فيأكلون معه[1].

وعن أبي قلابة أن رجلاً دخل على سلمان وهو يعجن فقال: ما هذا؟ قال: بعثنا الخادم في عمل فكرهنا أن نجمع عليه عملين[2].

* وهكذا عاش سلمان طوال حياته زاهدًا ورعًا متواضعًا عابدًا خاشعًا وكيف لا وهو الذي تعلَّم كل هذا من النبي ﷺ.

فقد كان النبي ﷺ يحبه حبًا جمًّا ومات وهو راضٍ عن سلمان بل قالها صريحة: «سلمان منا أهل البيت».

وحان وقت الرحيل

وهكذا ظل سلمان رضي الله عنه (الباحث عن الحقيقة) شمسًا في سماء الكون تنشر النور والدفء على من حولها.

فهو الزاهد العابد المجاهد الحكيم.

ولكن آن لهذا العملاق أن يرحل عن تلك الحياة ليعيش حياة أخرى حيث النعيم المقيم.

عن ثابت، عن أنس قال: دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت، فبكى. فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: عَهْدٌ عَهِده إلينا رسول الله ﷺ لم نحفظه. قال: «ليكن بلاغُ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب».

قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهمًا نفيقة كانت عنده[3].

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤/ ١/ ٦٤) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٠).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٢٧).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٤) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٣٨٤).

وعن بُقيرة امرأة سلمان أنها قالت: لما حضره الموت: دعاني وهو في علية له لها أربعة أبواب، فقال: افتحي هذه الأبواب فإن لي اليوم زُوارًا لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون عليَّ، ثم دعا بمسك فقال: أديفيه في تور ثم انضحيه حول فراشي، فاطلعت عليه فإذا هو قد أخذ روحُهُ - مات - فكأنه نائم على فراشه[1] .

وهكذا رَحَل الباحث عن الحقيقة عن تلك الدنيا ذات المتاع الزائف ليعيش هناك في النعيم الحقيقي في جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وتوفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

* رضي الله عن سلمان وجمعنا به في الفردوس الأعلى.



(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٨).



سراقة بن مالك رضي الله عنه





سراقة بن مالك رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعد مع الصحابي الجليل الذي خرج ليطارد النبي ﷺ وأبا بكر من أجل مائة ناقة فإذا به يفوز بنعمة الإسلام التي هي أعظم من كنوز الدنيا كلها.

إنه الصحابي الجليل سراقة بن مالك رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

من هنا نبدأ

وتبدأ قصة سراقة رضي الله عنه منذ أن بُعث النبي محمد ﷺ وبدأ ينشر دعوته في مكة فعاداه المشركون عداءً كبيرًا وآذوه إيذاءً شديدًا هو وأصحابه.

فلما أشفق النبي ﷺ على أصحابه أمرهم بالهجرة إلى يثرب (المدينة المنورة) ثم هاجر النبي ﷺ من بعدهم.

وكان المشركون قد دبروا مؤامرة لقتل النبي ﷺ في فراشه فجاءه جبريل عليه السلام ليخبره بأن الله عز وجل يأمره ألا يبيت في فراشه في تلك الليلة... فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام مكانه ليردَّ الأمانات التي عنده لأصحابها من المشركين.

وخرج النبي ﷺ بعد أن طمس الله أبصار المشركين عند خروجه حتى لا يرونه وهو خارج من بيته.

فلما علم المشركون بخروج النبي ﷺ مهاجرًا إلى يثرب (المدينة المنورة) جعلوا مكافأة كبيرة لمن يأتيهم بالنبي ﷺ حيًا أو ميتًا وكانت

المكافأة هى مائة ناقة.

وبات كل رجل يحلم بتلك المكافأة الكبيرة... ولذلك خرج كثيرٌ من المشركين بحثًا عن النبى ﷺ وأبى بكر رضي الله عنه.

سراقة يلتقى بالنبى ﷺ

ولما سمع سراقة بتلك الجائزة الكبرى التى جعلتها قريش لمن يأتى بالنبى ﷺ حيًا أو ميتًا بات يحلم بأن يكون هو الفائز بتلك الجائزة.

فبينما هو جالس فى نادى قومه إذ أقبل رجل وقال: والله لقد رأيت محمدًا وصاحبيه الآن.

فغمزه سراقة حتى يسكت وقال له: إنه ليس محمدًا وصاحبيه وإنما هم بنو فلان يبحثون عن شيء ضاع منهم. فسكت الرجل وقال: لعله ذلك.

ثم جلس سراقة قليلاً وقام بعدها ودخل بيته وأمر أهل بيته أن يُجهزوا له فرسه وسلاحه فجهزوا له فرسه وسلاحه فأخذ السلاح وركب فرسه وأخذ معه قِداحه والأزلام التى يستقسم بها[1]... فاستقسم بالأزلام فخرج الذى كُتب عليه لا تفعل.

أى لا تذهب وراء محمد ﷺ... فعصى سراقة الأزلام وسار خلف النبى ﷺ وصاحبيه ثم أعاد الاستقسام بالأزلام فخرج السهم الذى كُتب عليه لا تفعل فعصى سراقة الأزلام وسار خلف النبى ﷺ وصاحبيه.

وبينما هو يقترب من النبى ﷺ إذ عثر فرسه فسقط به على الرمال وغاصت أقدام الفرس فى الرمال فأخرج سراقة الأقداح واستقسم بالأزلام

(١) والاستقسام بالأزلام هى أن يأتى بقداح ويضع فيها ثلاثة أسهم: مكتوب على أحدهم (افعل) ومكتوب على الآخر (لا تفعل) وأما الثالث فليس فيه شيء ثم يخلط الأسهم ويضرب بالقداح ويمد يده ليُخرج سهمًا منهم. فإذا اخرج الذى كُتب عليه افعل فإنه يفعل وإن خرج الذى كُتب عليه لا تفعل فإنه لا يفعل وإذا خرج الفارغ أعاد مرة أخرى.

فخرج السهم الذى كُتب عليه لا تفعل فعصى سراقة الأزلام للمرة الثالثة فلما اقترب أكثر من النبى ﷺ عثر فرسه فسقط به على الرمال وغاصت أقدام الفرس فى الرمال.

قال سراقة: فعرفت أن الله قد حماه من أن يصل إليه مكروه وعلمت أن الله سينصره وينصر دينه.

وهنا نادى سراقة على النبى ﷺ وصاحبيه وقال لهم: أنا سراقة بن مالك بن جُعشم أريد أن أتكلم معكم فوالله لن يصلكم منى أى مكروه.

فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر: «قل له: وما تبتغى منا؟» قال: فقال لى ذلك أبو بكر، قال: قلت: تكتب لى كتابًا يكون آية بينى وبينك، قال: «اكتُبْ له يا أبا بكر»[1].

قال سراقة: فكتب لى كتابًا فى عظم أو فى رقعة ثم ألقاها إلىَّ فأخذته فجعلته فى كنانتى ثم رجعت، فسكتُّ فلم أذكر شيئًا مما كان.

عاد سراقة أدراجه، فوجد الناس قد أقبلوا ينشدون رسول الله صلوات الله عليه فقال لهم: ارجعوا، فقد نفضت الأرض نفضًا بحثًا عنه فلم أجده.

وأنتم لا تجهلون مبلغ بصرى بالأثر.. فرجعوا.

ثم كتم خبرهُ مع محمد وصاحبه حتى أيقن أنهما بلغا المدينة وأصبحا فى مأمن من عدوان قريش، عند ذلك أذاعهُ... فلما سمع أبو جهل بخبر سراقة مع النبى ﷺ وموقفه منه؛ لامهُ على تخاذله وجُبنه وتفويته الفرصة فقال سراقة يجيبه على ملامته:

أبا حكمٍ، والله لو كنت شاهدًا
لأمر جوادى إذ تسوخُ قوائمه

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبى ﷺ هو وأصحابه إلى المدينة (٧/ ح ٣٩٠٦ فتح) وفيه أن الذى كتب له الكتاب عامر بن فهيرة فى رقعة من أدم (جلد).

علمت ولم تشكك بأن محمداً

رسول ببرهان، فمن ذا يقاومه؟!

ودارت الأيام دورتها. . . فإذا بمحمد ﷺ الذي خرج من مكة طريداً شريداً مستتراً بجنح الظلام يعود إليها سيداً فاتحاً تَحُفُّ به الألوف المؤلفة من بيض السيوف وسُمر الرماح.

وإذا بزعماء قريش الذين ملأوا الأرض عنجهية وغطرسة يُقبلون عليه خائفين واجفين؛ يسألونه الرأفة ويقولون: ماذا عساك تصنع بنا؟!

فيقولُ لهم في سماحة الأنبياء: «اذهبوا فأنتمُ الطُّلَقاء».

عند ذلك أعدَّ سراقة بن مالك راحلته، ومضى إلى رسول الله ﷺ ليعلن إسلامه بين يديه، ومعه العهد الذي كتبه له قبل عشر سنوات[1].

قال سراقة بن مالك: حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ وفرغ من حنين والطائف خرجت ومعي الكتاب لألقاه، فلقيته (بالجعرانة) قال: فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار. قال: فجعلوا يقرعونني بالرماح، ويقولون: إليك إليك ماذا تريد؟ قال: فدنوتُ من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، قال: فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت: يا رسول الله هذا كتابك لي أنا سُراقة بن جُعشم قال: فقال رسول الله ﷺ: «يوم وفاء وبِرٍّ، ادنُه»[2] قال: فدنوت منه فأسلمت.

❊ ❊ ❊

---

(١) صور من حياة الصحابة (ص: ٤٦٥ - ٤٦٦) بتصرف.

(٢) أي: اقترب.

سراقة يلبس سوارى كسرى

وبعد ذلك بشهور معدودة توفى رسول الله ﷺ وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها جل وعلا . . . وحزن سراقة حزنًا شديدًا وجلس يتذكر يوم أن خرج خلف النبى ﷺ يريد قتله من أجل مائة ناقة.

وتوالت الأيام حتى أصبح عمر بن الخطاب رضي الله عنه أميرًا للمؤمنين وقامت جيوشه تهدم عروش الكفر وتدك الحصون وتحرز الغنائم حتى سقطت فى عهده الفرس والروم وجاء رُسل سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه يحملون البشرى بالنصر لأمير المؤمنين ومعهم خُمس الغنائم التى غنمها الغُزاة فى سبيل الله فنظر إليها عمر متعجبًا فإن فيها تاج كسرى المرصع بالدُّر ووشاحه المنظوم بالجوهر، وثيابه المنسوجة بخيوط الذهب، وسواراه اللذان وعد النبى ﷺ سراقة بأن يلبسهما.

* وهنا تذكَّر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعد رسول الله ﷺ لسراقة بأن يلبس سوارى كسرى فقال: أين سراقة؟ فجاء سراقة وقال: ها أنا ذا يا أمير المؤمنين.

فقام أمير المؤمنين عمر فألبس سراقة سوارى كسرى وقال له: ارفع يديك وقل: الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابى[1].

وهكذا أعزَّ الله سراقة بنعمة الإسلام التى لا توازيها نعمة فى الوجود.

وبعد أن عاش سراقة عابدًا لله جل وعلا زاهدًا فى الدنيا وزينتها ومتاعها الزائل نام على فراش الموت ليلقى الحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فى جنة النعيم إخوانًا على سُرر متقابلين.

* رضى الله عن سراقة بن مالك وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

---

(١) الإصابة للحافظ ابن حجر (٣/ ٣٥ - ٣٦).



أُبي بن كعب رضي الله عنه

أبي بن كعب رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابي الجليل الذي شهـد بيعة العـقبة الثـانية . . . بل وكان من أهل بدر الذين قـال عنهم النبي ﷺ : «لعل الله اطَّلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[1] .

إنه الصحـابي الذي كان من كُتَّاب الـوحي للنبي ﷺ بل إنه كان ممن شاركوا في جمع القرآن على عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما .

وإن أردت أن أجمع كل مناقبه فسـوف أقول: إنه الصحابي الذي ذكره الله من فوق سبع سماوات وأمر نبيه ﷺ أن يقرأ عليه سورة البينة .

إنه الصحابي الجليل أُبي بن كعب رضي الله عنه .

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل .

إسلامه رضي الله عنه

كان أُبي بن كعب يعيش في يثـرب (المدينة) وكان حزينًا على ما وصلت إليه البشـرية من الجاهلية والانحطاط الأخلاقي فكان يتمنى من أعـماق قلبه أن يرسل الله جل وعلا من ينقذ البشرية من هذا الضلال .

وجاء الفـرج وأشرقت شـمس الإسلام على أرض الجـزيرة وبُعث النبي ﷺ . . . وبعد فترة أرسل النبي ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة ليكون أول سفير للدعوة إلى الله جل وعلا .

وفي ليلة من الليـالي أراد الله عز وجل أن يسوق لأُبـي بن كعب أعظم هدية فشرح صدره للإسلام فذهب إلى سعد بن الربيع وطرق بابه ليسأله عن

---

[1] متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٠٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

هذا الدين، وإذا بسعد يخبره بمكان مصعب بن عمير الذي تعلم بين يدي الحبيب ﷺ كيف تكون الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، فدعاه إلى الله فانشرح صدره فأسلم.

وتعايش أُبي بن كعب بقلبه وجوارحه مع آيات القرآن التي سمعها من مصعب بن عُمير رضي الله عنه... بل إنه أحب النبي ﷺ قبل أن يراه ولم يستطع الانتظار حتى يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة بل ذهب مع إخوانه الذين ذهبوا ليبايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الثانية... وهناك في مكة رأى النبي ﷺ وسَعِد برؤيته ثم عاد بعد ذلك إلى المدينة وهو في قمة السعادة بلقاء رسول الله ﷺ.

وازداد اشتياق أُبي بن كعب لرؤية النبي ﷺ مرة ثانية... ومرت الأيام وازداد إيذاء المشركين للنبي ﷺ وأصحابه فما كان من النبي ﷺ إلا أن أمر الصحابة بالهجرة إلى المدينة ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة فأضاءت المدينة كلها بهجرة النبي ﷺ إليها... وفرح أُبي بن كعب لذلك فرحًا شديدًا فقد كان في شوقٍ شديد لرؤية النبي ﷺ... فكان يلازم النبي ﷺ ملازمة الإنسان لظله من أجل أن يتعلم ويتربى بين يديه ﷺ.

كاتب الوحي

ولما وصل النبي ﷺ المدينة بدأ في بناء المسجد ليجتمع فيه مع أصحابه للصلاة وللعلم وليكون المسجد مدرسة كبيرة يتعلم فيها الصحابة كل ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم.

ولاحظ النبي ﷺ نبوغ وذكاء أُبي بن كعب فاتخذه واحدًا من كُتَّاب الوحي فكان أُبي ينتظر الأمر من النبي ﷺ بعد نزول الوحي عليه لكي يكتب تلك الآيات التي نزلت على النبي ﷺ... ومن هنا تعايش أُبي

مع كل آية من آيات القرآن فأصبح من أعلم المسلمين بالقرآن بل كان من حبه للقرآن يختم القرآن في ثمان.

ولذا كان من تلاميذه حَبر الأمة وتُرجمان القرآن عبد الله بن عباس ﷺ فقد كانوا يقولون: إن عامة علم ابن عباس من ثلاثة: عمر، وعليّ، وأُبي.

أحب القرآن فرفعه الله به إلى أعلى المنازل

لقد أسلم قلبه قبل أن تُسلم جوارحه، وعاش بكل أحاسيسه مع آيات القرآن وحروفه حتى بلغ به القرآن أعلى المنازل، فأصبح واحدًا من بين أربعة كان النبي ﷺ يأمر الصحابة أن يأخذوا عنهم القرآن.

عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: «استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبي، ومعاذ بن جبل»[1].

وقال أنس بن مالك: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كُلُّهم من الأنصار: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد أحد عمومتي[2].

الله يأمر رسوله ﷺ أن يقرأ القرآن على أُبي بن كعب

ويالها من منقبة يعجز اللسان عن وصفها ويعجز القلم عن التعليق عليها ولو بكلمة واحدة.

لك أن تتخيل معي أيها الابن الحبيب أن الله قد ذكر اسمك من فوق سبع سماوات وليس ذلك فحسب، بل إن الله يأمر نبيه ﷺ أن يقرع عليك بابك ويقول لك: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن!!!!.

تالله لو كنتُ مكان أُبي بن كعب ﷺ لتمنيت أن ألقى الله في تلك

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٠٦) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٦٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٠٣) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢٤٦٥) كتاب فضائل الصحابة.

اللحظة لتكون تلك المنقبة هي خاتمة السعادة.

فهيا بنا نعيش تلك اللحظات مع الفرحة الغامرة التي ملأت قلب (أُبي) سعادة وسروراً.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن»، وفي لفظ: «أمرني أن أُقرئك القرآن»، قال أُبي: الله سمَّاني لك؟: قال: «نعم» قال: وذُكِرت عند رب العالمين؟ قال: «نعم» فذرفت عيناه[1].

وفي رواية: عن عبد الرحمن بن أبزى، قال: قال أُبي بن كعب قال لي رسول الله ﷺ: «أُمرتُ أن أقرأ عليك القرآن» قلت: يا رسول الله! وسُمِّيت لك؟ قال: «نعم» قلت لأبي: فرحت بذلك؟ قال: وما يمنعني وهو تعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[2][3].

دعوة مستجابة

وفي يوم من الأيام قال أُبي بن كعب: يا رسول الله أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ما لنا فيها؟ قال النبي ﷺ: «كفارات»، أي: يكفر الله بها الذنوب والسيئات.

فقال له أُبي: وإن كانت قليلة؟

قال النبي ﷺ: «وإن شوكة فما فوقها».

فقال له أُبي: فما جزاء الحُمَّى؟

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٩٩) كتاب صلاة المسافرين، والبخاري (٤٩٥٩) كتاب التفسير وأحمد (٣/ ١٣٠).

(٢) سورة يونس: الآية: (٥٨).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٢٢، ١٢٣) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥١).

قال النبي ﷺ: «تجرى الحسنات على صاحبها».

فقال أُبي: اللهم إني أسألك حُمَّى لا تمنعني خروجًا في سبيلك ولا خروجًا إلى مسجد نبيك ﷺ[(١)].

فاستجاب الله لدعاء أُبي بن كعب... فأصيب أُبي بالحمى طوال حياته حتى مات فما من إنسان يمسّ جسده إلا وجد حرّ الحمى في جسده حتى مات.. ومع ذلك لم تمنعه الحمى من الصلاة في مسجد النبي ﷺ ولا من الجهاد في سبيل الله. وبذلك فقد فاز بأجر المرض وأجر العبادة.

منقبة عظيمة

وبعد أن أمر النبي ﷺ أصحابه أن يأخذوا القرآن من أربعة - كان منهم أُبي بن كعب -... أراد النبي ﷺ أن يُلفت أنظار المسلمين إلى قدر أُبي بن كعب في العلم والفهم فقال ﷺ: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟» فقال أُبي: الله لا إله إلا هو الحي القيوم.

وفرح رسول الله بعلم أُبي وفقهه، فضرب على صدره مُهنئًا إياه يقول: «ليهنك العلم يا أبا المنذر»[(٢)].

بل قالها النبي ﷺ بكل وضوح: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب»[(٣)].

وتمر الأيام وما زال المسلمون يعرفون قدر ومكانة أُبي بن كعب وظل أُبي ملازمًا للنبي ﷺ حتى آخر لحظة في حياته وتوفي رسول الله ﷺ وهو

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٢٧/ ٢) وعنه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥٥)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في الضعيفة (٣٣٨٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨١٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٩٠) كتاب المناقب، والنسائي في الكبرى (٥/ ٦٧)، وابن ماجه (١٥٤) في المقدمة، وأحمد (٣/ ٢٨١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٢٢٤).

راضٍ عن أُبي بن كعب.

وظل المسلمون يعرفون قدر ومكانة أُبي بعد وفاة الرسول ﷺ.

فكانوا يستفتونه في أمور دينهم ويرجعون إليه في كثير من أمور دينهم ودنياهم.

فلقد كان عمر رضي الله عنه يقول عنه: هذا سيد المسلمين.

وكان الصحابة يعلمون قدر (أُبي) ويحملون له كل الحب والتقدير في قلوبهم.

جمع القرآن

وبعد وفاة النبي ﷺ أراد أبو بكر أن يجمع القرآن فكان أُبي بن كعب هو الذي يُملي المصحف على زيد بن ثابت الذي كان يتتبع القرآن ويكتبه بيده.

وشارك أُبي مرة أخرى في جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وكما قلت فقد كان له منزلة ومكانة عظيمة في قلوب المسلمين وكان عمر ابن الخطاب يحبه حبًا جمًا ويسميه: سيد المسلمين... وكان يرى أنه لابد ألا ينشغل أُبي بأي شيء من أمور الدنيا حتى ينتفع المسلمون بعلمه... ولذلك لم يستعمله عمر في ولاية ولا إمارة فلما سأله أُبي وقال له: ما لك لا تستعملني؟ قال له عمر: أكره أن يُدنَّس دينك.

وكان عمر يقول: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأتِ إلى أُبي بن كعب.

❊ ❊ ❊

عمر يجمع المسلمين على صلاة التراويح خلف أبي

ولذلك لما أراد عمر أن يجمع الناس في رمضان على صلاة التراويح لم يجد أفضل من أُبي بن كعب حتى يُصلُّوا خلفه.

وبالفعل فقد اجتمع الناس على صوت أُبي ليصلي بهم صلاة التراويح فلما مرَّ علي ابن أبي طالب ﷺ على مسجد رسول الله ﷺ في ليلة من ليالي رمضان فوجد المسجد مضيئًا تنبعث منه أنوار القرآن وأنوار المصابيح قال: نوَّر الله قبر عمر كما أنار لنا مساجدنا.

وحان وقت الرحيل

وعاش أُبي بن كعب ﷺ بل وتعايش مع كل حرف من حروف القرآن حتى إنه يوم أن مات في خلافة عثمان ﷺ قال الناس جميعًا: مات سيد المسلمين أُبي بن كعب.

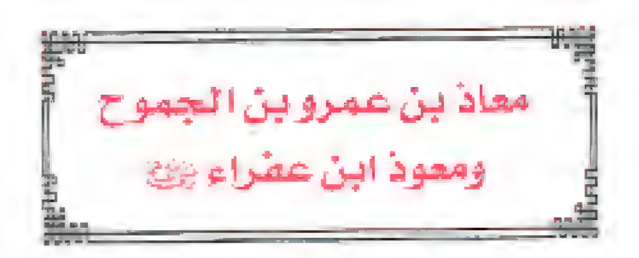
هكذا فإن من عرف قدر القرآن فإنه يعيش سيداً ويموت سيداً ويُبعث يوم القيامة مع سلوك أهل الجنة الذين أحبوا الله وأحبوا كلامه فأحبهم الله وقرَّبهم إليه في جنته.

رضي الله عن أُبي بن كعب وجمعنا به في الفردوس الأعلى.





معاذ بن عمرو بن الجموح
ومعوذ ابن عفراء رضي الله عنهما



حبايبي الحلوين: ها نحن على موعد مع غلامين من أبناء الصحابة الذين أحبوا النبي ﷺ أكثر من حبهم لأنفسهم فتمنَّى كل واحد منهما أن يفدي النبي ﷺ بنفسه.

وها أنا أهدي من خلال تلك السطور قدوة طيبة مباركة لبراعم الأمة المسلمة ليتعلموا كيف يكون الولاء لدين الله وكيف تكون المحبة لرسول الله ﷺ وكيف تكون الغيرة عليه.

فإلى هؤلاء جميعًا أهدي إليهم هذا المشهد التاريخي الذي تتوارى الكلمات أمامه خجلاً من مهابته وعظمته.

إنه مشهد غلامين من أبناء الصحابة رضي الله عنهم سمعا أن أبا جهل يَسُبُّ رسول الله ﷺ فما استطاع واحدٌ منهما أن يصبر لحظة واحدة على هذا الخبيث الذي يسب الحبيب ﷺ فعزما في السر واللحظة على أن يذهبا إليه ليقتلاه.

فتعالوا بنا لنرى ماذا صنع معاذ بن عمرو بن الجموح ومُعوِّذ بن عفراء مع أبي جهل (فرعون هذه الأمة).

مقتل أبي جهل

وتعالوا بنا لنرى كيف استطاع هذان الغلامان قتل أبي جهل (فرعون هذه الأمة).

كان الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ﷺ واقفًا في أرض الجهاد في غزوة بدر انتظارًا لبدء الجهاد في سبيل الله... وإذا به ينظر حوله ليرى مَن سيكون بجانبه وقت الجهاد فرأى شيئًا عجيبًا... يا ترى ما هو؟

لقد نظر عبد الرحمن بن عوف عن يمينه فوجد غلامًا صغيرًا واقفًا بجواره مستعدًا للجهاد... نظر إلى يساره فوجد غلامًا آخر واقفًا بجواره ينتظر بدء الجهاد.

فحزن عبد الرحمن بن عوف فقد كان يتمنى أن يكون واقفًا بين رجلين حتى يأمن على نفسه.

وفجأة غمزه الغلام الذي عن يمينه وسأله سرًا: يا عمِّ هل تعرف أبا جهل؟

قال عبد الرحمن: نعم ولكن لماذا تسأل يا ابن أخي عن أبي جهل هل تريد منه شيئًا؟

قال له الغلام: لقد سمعت أنه يسب رسول الله ﷺ... فوالله لئن رأيته فلن أفارقه حتى يموت هو أو أموت أنا دفاعًا عن رسول الله ﷺ.

* فتعجب عبد الرحمن بن عوف... ولكنه قبل أن يفكر في هذا الكلام وجد الغلام الثاني يغمزه ويقول له سرًّا: يا عم... هل تعرف أبا جهل؟

قال عبد الرحمن: نعم.. ولكن لماذا تسأل يا ابن أخي عن أبي جهل هل تريد منه شيئًا؟

قال له الغلام: لقد سمعت أنه يسب رسول الله ﷺ... فوالله لئن رأيته فلن أفارقه حتى يموت هو أو أموت أنا دفاعًا عن رسول الله ﷺ.

* ففرح عبد الرحمن بن عوف بهذين الغلامين وقال في نفسه: إنهما في نظري أفضل من رجلين من الأقوياء.

* قال عبد الرحمن بن عوف: وفجأة بدأ الجهاد ورأيت أبا جهل يتحرك في أرض الجهاد يريد أن يقتل أحداً من المسلمين... فقلت للغلامين: ألا تريان هذا الرجل الذي يسير هناك؟

قال الغلامان: نعم.

فقال عبد الرحمن: فهذا هو أبو جهل.

* قال عبد الرحمن بن عوف: فأسرع الغلامان وانقضّا عليه كالصقرين فقتلاه بسيفيهما... ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ وهما في غاية الفرح والسعادة أنهما قد قتلا هذا الرجل الذي كان يسب رسول الله ﷺ.

فدخلا على النبي ﷺ وكل واحد منهما يقول: أنا قتلته يا رسول الله.

فأراد النبي ﷺ أن يُطيب خاطر كل واحد منهما فسألهما: «هل مسحتما سيفيكما؟».

فقالا: لا.

فنظر النبي ﷺ في السيفين وقال: «كلاكما قتله»[1].

* فانصرف الغلامان وهما في غاية السعادة والسرور أنهما قتلا رجلاً كان يسب رسول الله ﷺ.

* هل تعرف اسم الغلامين؟

إنهما: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ ابن عفراء.

فيا له من موقف عظيم يعبر عن مدى حبهما للنبي ﷺ وعن مدى شجاعتهما وبسالتهما في الجهاد في سبيل الله جل وعلا.

إننا في أشد الحاجة إلى أن نربي أولادنا على حب الله وحب رسول الله ﷺ لينشأ الولد نشأة طيبة مباركة فيحب الله حبًا يحول بينه وبين معصيته ويأخذ بناصيته إلى طاعته ورضوانه ويستنفر همته إلى العمل لنُصرة هذا الدين.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٤١) كتاب فرض الخمس، ومسلم (١٧٥٢) كتاب الجهاد والسير.

كما أننا في أشد الحاجة لأن نربط الطفل بالقدوة والمعلم الأول محمد بن عبد الله ﷺ . . . فهو القدوة وهو الأسوة لمن أراد القدوة والأسوة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] .

فلا يمر علينا يوم إلا ونعلِّم أولادنا سُنة من سنن الحبيب ﷺ حتى يخرج هذا الجيل عالمًا بالسُّنة . . . كارهًا لكل بدعة . . . متأسيًا بحبيبه وقدوته ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ .

ونحن أيضًا في أشد الحاجة لأن نأخذ بنواصي أولادنا إلى حفظ القرآن والعمل بما فيه فإن النصرة لن تأتي إلا من خلال التعايش مع كل آية من آيات القرآن الكريم الذي يمثل منهج حياة مباركة لكل من أراد الحياة الحقيقية التي عاش في ظلالها أصحاب الحبيب ﷺ الذين تربوا في ظلال القرآن وامتزجت دموعهم بل ودماؤهم بكل حرف من حروفه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[2] .

وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حروبه ضد الفرس إذا مر بخيمة من خيام المسلمين بالليل فسمعهم يقرأون القرآن كان يقول: من هنا يأتي النصر.

وإذا مر بخيمة أخرى فوجد أصحابها قد ناموا كان يقول: ومن هنا تأتي الهزيمة.

ولقد كانت أم (سفيان الثوري) تقول له وهو طفل صغير: يا بني كلما تعلمت آية فاعرض نفسك عليها فإن ازددت خشية بعلمك وإلا فاعلم أن العلم وبالٌ عليك.

ونحن أيضًا في أشد الحاجة لأن نُعلِّم أطفالنا سيرة الأنبياء وبخاصة سيرة

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٣٠).

النبي ﷺ ، وكذلك سيرة الصحابة ﷺ ونعلمهم المغازي ليعرفوا كيف كان الصحابة يضحون بالنفس والمال من أجل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله) ومن أجل نُصرة دين الله.

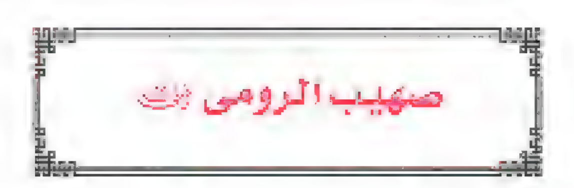
كان بعض السلف الصالح يقولون: كنا نُعلم أولادنا السِّير والمغازي، كما كنا نعلمهم السورة من القرآن.

رضي الله عن معاذ بن عمرو بن الجموح ومُعوِّذ بن عفراء وجمعنا بهما في الفردوس الأعلى.





صهيب الرومى رضي الله عنه



صهيب الرومى رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع صحابى جليل ضحَّى بالجاه والمال من أجل أن يفوز بنعمة الإسلام.

وبذل الغالى والنفيس بعد ذلك لخدمة هذا الدين العظيم.

إنه الصحابى الذى أنزل الله فيه قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة.

إنه الصحابى الذى قال له النبى ﷺ: «ربح البيع أبا يحيى».

إنه الصحابى الذى لم يتخلف أبدًا عن أى غزوة مع النبى ﷺ.

إنه الصحابى الجليل صُهيب الرومى رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

من هنا نبدأ

نشأ صهيب فى بيئة مترفة يخيم عليها النعيم والسعادة فقد كان أبوه حاكم (الأُبلَّة) وعاملاً عليها لكسرى وكان يعيش معه ابنه صهيب فى القصر الذى يطل على شاطئ الفرات مما يلى الجزيرة والموصل. وكان أبوه من بنى نمير وأمه من بنى تميم، ولكنه سُمى بصهيب الرومى؛ لأنه عاش زمانًا طويلاً فى بلاد الروم.

من النعيم إلى الأسر

وبينما صهيب يعيش فى تلك السعادة ويرفل فى ذاك النعيم، وإذا بأمه تخرج به للنزهة ومعها الحشم والخدم إلى قرية «الثِّنى» من أرض العراق،

وإذا بالبلاد تتعرض لهجوم الروم، فـقتلت الحراس ونهبت الأموال، وأسرت الذرارى وكان من جملة من أسرتهم (صهيب).

ويباع صـهيب فى أسواق الرقـيق وظل يتنقل من مكان إلى مكان، ومن خدمة سيد إلى خدمة سيد آخر إلى أن انتهى به التطواف إلى مكة المكرمة.

قيل اشتراه عبد الله بن جدعـان وأعتقه وقيل: بل هرب صهيب من رِقِّ أسياده إلى مكة المكرمة، وحالف عبـد الله بن جدعان، وظل يعمل معه فى التجارة إلى أن أصبح عنده ثروة كبيرة.

حنينه إلى الإسلام

وظل صهيب يترقب ظهور النبى ﷺ وبخاصة بعد أن سمع كاهنًا من كهنة النصـارى وهو يقول لسيد من أسـياده: لقد أظل زمان يخـرج فيه من مكة فى جزيرة العرب نبىٌّ يصدق رسالـة عيسى بن مريم ويُخرج الناس من الظلمات إلى النور.

فلما وصل صـهيب إلى مكة واشتغل بالتـجارة وامتلك ثروة كبـيرة ظل قلبه يتـطلع لأعظم ثروة ألا وهى نعمـة الإسلام. ولم يلبث إلا قليـلاً حتى سمع بمبعث النبى ﷺ فكان من المسارعين إلى الإسلام.

قصة إسلامه رضي الله عنه

وفى يوم من الأيام سمع صهيب أن نبى آخـر الزمان قد ظهر وأنه يدعو إلى دينٍ جديد.... إنه دين يدعو إلى عبـادة إلهٍ واحدٍ ونبذ جميع الأصنام حتى اللات والعزى وهُبل؛ ومـضت أيامٌ أُخَر، فإذا بالهمس يتعـالى أكثر، وتتضح الرؤيا وتظهر مـعالم الدعوة إلى الإسلام جليـة، وأخذ الحق طريقه إلى نفس صهـيب، فراح يتسـاءل: إلام يدعو مـحمد؟ ويأتيـه الجواب من

الواقع: إنه يدعو إلى التحرر من عبودية الأصنام، يدعو إلى التراحم والمساواة، إلى العدل، إلى الخروج من الظلمات إلى النور.

وذات صباح، قبل أن تدب الحياة فى مكة، وقبل أن يخرج الناس من دورهم، كان صهيب قد يمَّم وجهه إلى دار الأرقم بن أبى الأرقم[1].

مضى صهيب إلى دار الأرقم حذرًا يتلفت، فلما بلغها وجد عند الباب عمار بن ياسر، وكان يعرفه من قبل فتردد لحظة ثم دنا منه وقال: ما تريد يا عمار؟ فقال عمار: بل ما تريد أنت؟ فقال صهيب: أردت أن أدخل على هذا الرجل، فأسمع منه ما يقول.

فقال عمار: وأنا أريد ذلك أيضًا.

فقال صهيب: إذن ندخل معًا على بركة الله.

دخل صهيب بن سنان الرومى، وعمار بن ياسر على رسول الله ﷺ واستمعا إلى ما يقول، فأشرق نور الإيمان فى صدريهما، وتسابقا فى مَدِّ أيديهما إليه، وشهدا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأمضيا يومهما عنده ينهلان من هديه وينعمان بصحبته.

ولما أقبل الليل، وهدأت الحركة، خرجا من عنده تحت جُنح الظلام، وقد حمل كلٌّ منهما من النور فى صدره ما يكفى لإضاءة الدنيا بأسرها[2].

تحمل الأذى فى سبيل الله

بدأت الحياة عند صهيب من جديد، فقد شعر أنه وُلد يوم دخل بيت الأرقم، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، أحس أنه وصل إلى هدفه المنشود، وسرعان ما تلاشت صور حياته الماضية وتفاهتها من

(١) رجال مبشرون بالجنة (ص: ٤٥٠- ٤٥١).

(٢) صور من حياة الصحابة ص: (٢٠١- ٢٠٢).

ذاكرته، فقد أضحت حياته ذات عمق ومغزى، وأخذ نور الإيمان يسطعُ من وجهه، وكلمة التوحيد تنيرُ له الدرب.

وعندما أخذ صوت الإسلام يعلو ويرتفع، قرر المشركون محاربة الإسلام وإيذاء جميع الداخلين فيه، واشتد غضب قريش حينما رأت هؤلاء المستضعفين يدخلون في دين الله أفواجًا، فلم يجدوا متنفسًا لغيظهم إلا أن يثوروا بالضعفاء الذين أسلموا واتبعوا محمدًا ﷺ [1].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد رضي الله عنهم فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدْرُع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحدٍ إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ أحدٌ [2].

فصبر صهيب على هذا الأذى راضيًا بقضاء الله تعالى راغبًا فيما عند الله مستعذبًا هذا العذاب في سبيل الله فهو يعلم أن طريق الجنة محفوف بالمكاره.

ربح البيع أبا يحيى

وتأتي الهجرة المباركة ويهاجر النبي ﷺ وصاحبه، وتتوق نفس صهيب إلى الهجرة، فاعترضته قريش فضحى بماله كله من أجل أن يتركوه ليلحق بالنبي ﷺ، وأبي بكر، ففاز بأعظم جائزة فقد أنزل الله فيه قرآنًا

(١) رجال مبشرون بالجنة (ص: ٤٥١).

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٢٨٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح، ورواه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٩) وابن عبد البر في الاستيعاب.

يُتلى إلى يوم القيامة وقال له الحبيب ﷺ: «ربح البيع أبا يحيى»[1].

وها هي قصته التي تثلج الصدر: لما خرج صهيب مهاجرًا تبعه أهل مكة فنثل كنانته فأخرج منها أربعين سهمًا فقال: لا تَصِلون إليَّ حتى أضع في كل رجل منكم سهمًا ثم أصير بعد إلى السيف.

فقال له أهل مكة: يا صُهيب لقد جئتنا صُعلوكًا لا مال لك وبعد أن أصبحت ثريًا تريد أن تذهب بالمال.

فقال لهم: أنتم تعلمون أني من أمهر الرجال في رمى السهام فأنا أستطيع أن أقضى عليكم جميعًا ولكن ما رأيكم في أن أترك لكم مالى كله وتتركونى لألحق بالنبي ﷺ فوافقوا.

فقال لهم: مالى في المكان الفلاني فذهبوا ليأخذوه وتركوه ليهاجر خلف النبي ﷺ.

فجاء جبريل إلى النبي ﷺ وأخبره بما فعله صهيب الرومى فلما وصل صهيب إلى المدينة قابله النبي ﷺ وهو يبتسم ويقول: «ربح البيع أبا يحيى... ربح البيع أبا يحيى».... ونزل قول الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[2].

وتالله إن الدنيا بكل ما فيها من زُخرف وزينة ومتاع لا تساوى أبدًا قول النبي ﷺ لصهيب: «ربح البيع أبا يحيى... ربح البيع أبا يحيى».

باقة من صفاته العطرة

تطالعنا كتب السيرة بوصف موجز لشخصية صهيب رضي الله عنه فقد كان رجلاً أحمر شديد الحمرة شعرة كثيف متوسط الطول، في لسانه لُكنة لمكثه مدة طويلة عند الروم، وكان حسن الشكل والثياب، حلو الشمائل، يحب

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٤٥٠، رقم ٥٧٠٠) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٠٧) ومعنى يشرى: أى يبيع.

الدعابة والمَرَح، فطنًا حاضر البديهة.

وكان صهيب رضي الله عنه كريم النفس سخي اليد، ولا عجب في ذلك فهو ابن أمير وحالف أحد الأجواد وهو عبد الله بن جدعان ثم علّمه الإسلام الإنفاق(١).

خفة ظله

وكان صهيب رضي الله عنه يتمتع بخفة الظل التي تجعل الإنسان لا يمل أبدًا من صحبته، بل يشتاق لمجالسته في كل وقت وحين.

فعن صهيب قال: قَدِمتُ على رسول الله ﷺ قُباء، وقد مرضت عيني، وجُعْتُ، وبين يديه رُطَب، فوقعت فيه، فقال عمر: يا رسول الله: ألا ترى صهيبًا يأكل الرطب وهو أرمد؟ فقال النبي ﷺ لي ذلك. قلت: إنما آكل على شق عيني الصحيحة... فتبسَّم.

جهاده في سبيل الله

لقد كان صهيب من كبار السابقين البدريين.

يقول صهيب عن نفسه لم يشهد رسول الله ﷺ مشهدًا قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة إلا كنت حاضرها، ولم يَسِر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو عن شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله ﷺ(٢).

❋ ❋ ❋

---

(١) رجال مبشرون بالجنة (ص: ٤٥٨).

(٢) صفة الصفوة (١/ ١٧٧).

مكانته عند الله وعند رسوله ﷺ

كانت مكانة صهيب تزداد فى نفس الرسول ﷺ ، فقد كان دائماً بجوار النبى، لا يتخلف عنه أبداً، ويحرص الحرص كله على أن ينال رضاه النبى ﷺ ، وكان من السابقين إلى الإسلام؛ وكان الرسول ﷺ ينظر إلى صهيب والمستضعفين نظرة إكبار واحترام؛ فهؤلاء فى ميزان الإسلام أفضلُ من السادة الكفار(١).

وإذا أردنا دليلاً على ذلك فما علينا إلا أن نتأمل هذا الحديث.

فعن عائذ بن عمرو، أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عُنق عدو الله مأخذها. قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه هل أغضبتكم؟ قالوا: لا. يغفر الله لك يا أُخَيّ(٢).

مكانته فى قلوب الصحابة رضي الله عنهم

توفى رسول الله ﷺ وهو راضٍ عن صهيب، ثم جاء خليفته أبو بكر الصديق، فكان رجل الإسلام الذى أبطل الشرك وحارب المرتدين، ونصح الأمة، وعمل للإسلام وأهله، وقد عاش صهيب رضي الله عنه فى كنف الصديق يؤدى ما عليه من واجبات وكان أبو بكر رضي الله عنه يعرف لصهيب مكانته عند رسول الله ﷺ وهو الحريص على احترامه واحترام المستضعفين أمثاله.

وفى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت لصهيب مكانة عُظمى، لا تقلّ عن المكانة ذاتها فى حياة الصدّيق، فقد كان عمر محبًا لصهيب أشد الحب،

---

(١) رجال مبشرون بالجنة (ص: ٤٥٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٠٤) كتاب فضائل الصحابة، وأحمد (٥/ ٦٤) والنسائى فى فضائل الصحابة (١٧٢).

فكثيراً ما كان صهيب موضع استشارة عمر في مسائل الدين أو الغزوات، أو يكون رسوله لإنجاز بعض الأمور المتعلقة بالمسلمين[(١)].

وذات يوم قال عمر رضي الله عنه لصهيب: يا صهيب مالك تُكنَّى أبا يحيى وليس لك ولد، وتقول: إنك من العرب وأنت رجل من الروم، وتُطعم الطعام الكثير وذلك سَرَفٌ في المال؟ فقال صهيب رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ كنَّاني أبا يحيى، وأما عن قولك في النسب وادعائي إلى العرب؛ فإني رجل من النمر بن قاسط من أهل الموصل، ولكن سُبيت، سبتني الروم غلامًا صغيراً بعد أن عقلتُ أهلي وقومي وعرفت نسبي وأما قولك في الطعام وإسرافي فيه فإن رسول الله ﷺ كان يقول: «إن خياركم من أطعم الطعام، وردَّ السلام» فذلك الذي يحملني على أن أُطعم الطعام[(٢)].

ولما طُعن عمر بن الخطاب لم ينسَ قدر ومكانة صهيب حتى في تلك اللحظات العصيبة فاستناب صهيبًا لكي يصلي بالمسلمين إلى أن يتفق أهل الشورى على إمام.

إنها لشهادة عظيمة من الفاروق عمر رضي الله عنه لصهيب، فقد كان يقال: صلى عمر على أبي بكر عندما توفي، وصلى صهيب على عمر، ويلغ من مكانة صهيب أيضًا أنه نزل في قبر عمر مع عثمان بن عفان وسعيد بن زيد، وعبد الله بن عمر.

وظل صهيب رضي الله عنه يحتل مكانة عظيمة في خلافة سيدنا عثمان.

ينال احترام الخليفة، والمسلمين، ويبذل كل ما يملك في سبيل الله[(٣)].

---

(١) رجال مبشرون بالجنة (ص: ٤٦٠- ٤٦١) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه ابن عساكر (٨/ ١٩٤ - ١٩٥) والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٦/ ١) و الحافظ ابن حجر في «الأحاديث العاليات» (رقم ٢٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٤٤).

(٣) رجال مبشرون بالجنة (ص: ٤٦٣).

وحان وقت الرحيل

بقي صهيب رضي الله عنه يقضي حياته في الجهاد والعمل الصالح، يجاهد بنفسه وماله ابتغاء مرضاة الله إلى أن زاد عمره على السبعين، وحتى رأى أن الله قد أعزَّ جنده ونصر دينه وأتم نعمته على المؤمنين، فحُطمت قلاع الكفر وحصون البغي في بلاد الروم وفارس وترددت كلمة التوحيد في أركان الأرض، وشعر صهيب رضي الله عنه بالطمأنينة تستقر في أعماقه، وسُرَّ بانتصارات المسلمين وعزتهم[1].

وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه.

وبعد حياة مديدة مملوءة بالتضحية والعطاء، فاضت روحه الطاهرة ومات بالمدينة في شهر شوال سنة ثمان وثلاثين.

رضي الله عن صهيب وجمعنا به في الفردوس الأعلى.



(١) رجال مبشرون بالجنة (ص: ٤٦٤).



عامر بن فهيرة رضي الله عنه

عامر بن فهيرة رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعد مع صحابي جليل قدَّم الكثير والكثير لنصرة هذا الدين... إنه مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

من المهاجرين الأولين، اشتراه أبو بكر وأعتقه قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ابن أبي الأرقم.

إنه واحد من المُعذَّبين في الله عز وجل... عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

كان رقم عامر بن فهيرة يلمع في قائمة الأوائل من سجل المؤمنين السابقين، حيثُ أسلم مبكراً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وقبل أن يدعو فيها.

إنه الرجل الذي كان يرفع اللبن إلى فم النبي ﷺ ليشرب في الغار عندما كان مهاجراً من مكة إلى المدينة فلما استُشهد عامر رفعته الملائكة إلى السماء كما كان يرفع اللبن إلى فم النبي ﷺ... فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

ومن هنا نبدأ

كان عامر بن فهيرة مملوكًا للطُّفَيل بن عبد الله... وكان الطفيل أخا عائشة بنت أبي بكر لأمها (أم رومان).

فلما بُعث النبي ﷺ سمع عامر ببعثة النبي ﷺ وذهب إليه وأسلم قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم وكان ذلك في بداية البعثة.

فلما علم أبو بكر بإسلام عامر بن فهيرة فرح بذلك فرحًا شديدًا وذهب واشتراه ثم أعتقه فأصبح مولى من موالي أبي بكر وكان يرعى الأغنام التي يملكها أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

لقد كان عامر رضي الله عنه من الذين ضربوا المثل في الصبر والمصابرة فلقد كان من المستضعفين في الأرض وكان من الذين صبَّ عليهم كفار قريش ألوانًا من العذاب وعلى الرغم من ذلك كان ثابتًا بإيمانه ويقينه ثبات الجبال الرواسي إلى أن اشتراه أبو بكر رضي الله عنه وأعتقه لوجه الله تعالى خوفًا عليه من أن يُفتَن في دينه .

نعمة جليلة

وكان عامر رضي الله عنه يغدو إلى مجالس رسول الله ﷺ دائمًا ومعه ثُلة مباركة من المستضعفين وعلى رأسهم بلال بنَ رباح وعمار بن ياسر وخبَّاب ابن الأرت وصُهيب بن سنان، فكانوا يتعلمون من هدى النبي ﷺ وأخلاقه العذبة الفياضة ومن سُنته المطهرة ما تزكوا به أنفسهم وتسعد به قلوبهم وأرواحهم في الدنيا والآخرة .

دوره الخالد في الهجرة المباركة

لقد سطَّر عامر بن فهيرة (في قصة الهجرة المباركة) على جبين التاريخ سطورًا من النور لا تبلى أبدًا .

لقد وقف موقفًا لا يُنسى أبدًا ما دامت الحياة . . . إنه موقفه يوم هجرة الحبيب ﷺ فقد كان بمثابة وزارة التموين للنبي ﷺ وصاحبه، حيث كان يأتي إليهما بالغنم ليشربا اللبن، بل كان يمحو آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر حتى لا يهتدي المشركون إلى مكان النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه .

فقد كان عبد الله بن أبى بكر يبيت مع النبى ﷺ وأبى بكر فإذا أصبح الصباح ذهب إلى مكة ليكون بين أهل قريش ليسمع كل ما يدبرونه من مكائد للنبى ﷺ وأبى بكر ثم يذهب فى الظلام ليخبر النبى ﷺ بذلك... وكان عامر بن فهيرة يخرج بغنم أبى بكر ويسير خلف عبد الله حتى تُخفى الأغنام آثار أقدام عبد الله فلا يعلم المشركون مكان النبى ﷺ وأبى بكر رضي الله عنه.

وهكذا فاز عامر بن فهيرة بخدمة النبى ﷺ وأبى بكر رضي الله عنه فى تلك الهجرة المباركة التى لن تتكرر أبدًا إلى قيام الساعة.

جهاده فى سبيل الله تعالى

عامر بن فهيرة واحدٌ من فرسان الرسول ﷺ؛ الذين كُتب لهم شرف الجهاد فى معيته ﷺ، فقد شهد عامر غزوة بدر، وأبلى فيها بلاءً حسنًا وكُتب من أهل بدر عند مليكٍ مقتدر، وشهد كذلك غزوة أُحد، وكان له فيها البلاء المحمود المشكور.

الشهادة فى سبيل الله (جل وعلا)

أما عن قصة استشهاده فالقصة باختصار أن عامر بن مالك جاء إلى النبى ﷺ وكان عامر مشركًا فعرض عليه النبى ﷺ الإسلام. فقال له عامر: ابعث يا رسول الله معنا بعض أصحابك ليدعو الناس إلى الإسلام وأنا أتكفل بحمايتهم فصدَّقه النبى ﷺ وأرسل معه جماعة من أصحابه من حَمَلة القرآن.

فسمع بهم عامر بن الطفيل فأرسل إلى بعض الرجال من بنى سُليم ليساعدوه على قتل هؤلاء الصحابة فخرجوا معه وقتلوا الصحابة فى مكان

يسمى بئر معونة وأسروا عمرو بن أمية الضمري ... أخذه عامر بن الطفيل ثم تركه فعاد إلى رسول الله ﷺ وأخبره بخبر أصحابه الذين قُتلوا.

عن عروة بن الزبير رحمه الله قال: لما قُتل الذين ببئر معونة وأُسر عمرو ابن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ وأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة فقال: لقد رأيته بعد ما قُتل رُفع إلى السماء حتى إني لأنظر إليه بين السماء والأرض، ثم وُضع.

ويقال إنه بعد قتل عامر بن فهيرة بحث الناس عن جسده فلم يجدوه فكانوا يرون أن الملائكة هي التي دفنته.

وفي القصة كرامة ظاهرة لعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، والكرامة هي الخارقة الرحمانية التي يسوقها الله عز وجل على يد ولي من أوليائه.

ومَن أولى بذلك من الصحابة الكرام الذين كانت آيات صدقهم ظاهرة وعلامات إيمانهم وجهادهم باهرة.

وهكذا فالجزاء من جنس العمل فلقد كان عامر يرفع الطعام إلى النبي ﷺ فرُفع إلى السماء ولقد كان عامر يدفن سر النبي ويخفي آثاره فتولت الملائكة دفنه والجزاء من جنس العمل.

وهكذا يكون العمل لدين الله.

فمهما كان العمل صغيرًا أو كبيرًا فما عليك إلا أن تجتهد لخدمة هذا الدين فهذا عامر رضي الله عنه كان يذهب بالغنم إلى الحبيب ﷺ وأبي بكر ليشربا اللبن، ومع ذلك لم يقل: إن هذا العمل صغير أو ضئيل؛ لأنه يعلم بل ويوقن أن الجدار العظيم لهذا الدين يحتاج إلى كل السواعد فهذا يأتي بالماء وذاك يحمل اللبنة على كتفه وآخر يبني ويشيد، وبذلك تتكامل سواعد الأمة.

وعلى قدر النية والإخلاص يكون الأجر من الله والنجاح في القيام بهذا العمل.

ومن هنا فعلى كل مسلم أن يقدم من خلال عمله ومكانته كل ما يستطيع من خلاله أن يبنى به (لبنة) فى جدار الإسلام.

قال ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله» قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعملٍ صالحٍ قبل الموت ثم يقبضه عليه»[1].

رضى الله عن عامر بن فهيرة وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢١٤٢) كتاب القدر، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٥).



معاذ بن جبل رضي الله عنه

معاذ بن جبل رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابي الجليل الذي ملأ الدنيا علمًا وفقهًا وزهدًا وورعًا.

إنه الصحابي الذي أمر النبي ﷺ أصحابه أن يتعلموا القرآن على يديه.

إنه الرجل الذي شهد له النبي ﷺ بأنه أعلم الأمة بالحلال والحرام.

إنه الرجل الذي شهـد له النبي ﷺ بأنه سيأتي يوم القيامة أمام كل العلماء.

إنه الرجل الذي قال له النبي ﷺ: «**والله إني لأحبك**».

إنه الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابي الجليل.

قصة إسلامه رضي الله عنه

بعد بيعة العقبة الأولى أرسل النبي ﷺ مصـعب بن عمير كأول سفير للدعوة في المدينة المنورة.

وكان مصعب بن عـمير يمتلك أسلوبًا جميـلاً في الدعوة إلى الله وقبل ذلك كان يمتلك قلبًا تقيًا نقيًا مخلصًا لله جل وعلا.

فاسـتطاع بفضل الله أولاً ثم بفضل إخـلاصه ورفقه وحلمـه أن يجذب القلوب وأن يأخـذها إلى طريق الجنة فـأسلم على يديه عدد كـبيـر من أهل المدينة... وكان من بينهم معاذ بن جبل رضي الله عنه... وظل مـصعب بن عمير يدعو إلى الله في المدينـة المنورة حتى مرت سنة كـاملة وكان أهل المدينة في

قمة الشوق لرؤية النبي ﷺ . . . وكان على رأسهم معاذ بن جبل الذى كان يتمنى أن يرى النبى ﷺ وأن يكون فى صُحبته.

وبعد مرور سنة على وصول مصعب إلى المدينة تجهزّ سبعون رجلاً وامرأتان ليذهبوا جميعًا للقاء النبى ﷺ فى مكة ليبايعوه بيعة العقبة الثانية. . . ، وكان معهم معاذ بن جبل الذى ما إن رأى رسول الله ﷺ حتى أحسَّ بحلاوة الإيمان تسكن قلبه. . . وبايع معاذ بن جبل رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية ثم عاد إلى المدينة وهو فى قمة الشوق لتلك اللحظة الخالدة التى يهاجر فيها النبى ﷺ إلى المدينة المنورة.

بركة الدعوة إلى الله تعالى

وما إن عاد معاذ رضي الله عنه إلى المدينة حتى أيقن أن الخير الذى حصل له لم يكن إلا ببركة الدعوة إلى الله تعالى، فقام يحمل لواء الإسلام خفاقًا عاليًا ليأخذ بأيدى الناس من حوله إلى جنة الرحمن جل وعلا التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فكان من بركة دعوته أن الله جعله سببًا فى إسلام سيد من سادات بنى سلمة.

ألا وهو عمرو بن الجموح رضي الله عنه فقد شارك معاذ بن جبل صديقه معاذ ابن عمرو بن الجموح فى دعوة أبيه إلى الإسلام.

محبة النبى ﷺ له والأوسمة التى وضعها على صدره

ولما قَدِم الحبيب ﷺ إلى المدينة مهاجرًا فرح معاذ لقدومه أشد الفرح ولازمه ملازمة العين لأختها، وتعلَّم منه العلم الغزير من نبعه الصافى.

بل وتعمّق فى معرفة الحلال والحرام وسائر شرائع الإسلام حتى أصبح من أعلم الصحابة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

وحسبنا من ذلك أن نتعرف على تلك الأوسمة التي وضعها الحبيب ﷺ على صدر معاذ بن جبل رضي الله عنه.

فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأُبي، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياءً عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ»[(٢)].

بل لقد كان النبي ﷺ يُقربه إليه ويكرمه أيما إكرام.

فعن معاذ بن جبل قال: كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار يقال له عُفير[(٣)].

وهذا دليل على عظيم تواضع النبي ﷺ وعلى قدر معاذ ومكانته عند رسول الله ﷺ.

بل تدبر معي ابني الحبيب إلى تلك المنقبة العظيمة التي لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

فعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دُبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك»[(٤)].

بل يوضح النبي ﷺ مكانة معاذ بين العلماء يوم القيامة.

فعن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن معاذ بن

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٩٩) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢٤٦٤) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٩٠) كتاب المناقب، وابن ماجه (١٥٥) في المقدمة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٩٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦/ ٤٤) كتاب الجهاد.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٥٢٢) كتاب الصلاة، والنسائي (٣/ ١٣٠) كتاب السهو، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (١٥٩٦).

جبل أمام العلماء رتوة»[1]. والرتوة هي الدرجة والمنزلة.

ويريد الحبيب ﷺ يومًا أن يثنى عليه فيقول: «نعم الرجل معاذ بن جبل»[2].

وعلم أصحاب النبي ﷺ مكانه معاذ فكانوا يحملون له كل الحب والتقدير في قلوبهم.

فعن عبد الله بن مسعود أنه قال: إن معاذ كان أمة قانتًا لله.

وعن سهل بن أبي حثمة قال: كان الذين يُفتون على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة من المهاجرين: عمر، وعثمان، وعليّ، وثلاثة من الأنصار، أُبي بن كعب، ومعاذ، وزيد.

الله يُلقى محبته فى قلوب الناس

قال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل عليه السلام فقال: إني أحب فلانًا فأحبَّه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادى في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القَبول في الأرض»[3].

ولقد كان معاذ ﷺ من هذا الصنف الكريم. فكل من يراه يحبه من أول وهلة.

عن أبي سلمة الخولاني قال: دخلتُ مسجد حِمْص، فإذا فيه نحوٌ من ثلاثين كهلاً من الصحابة، فإذا فيهم شاب أكحلَ العينين، برَّاقُ الثنايا ساكت، فإذا امترى القوم، أقبلوا عليه، فسألوه فقلت: من هذا؟ قيل: معاذ ابن جبل. فوقعت محبته في قلبي[4].

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢/ ١٠٧) وقال العدوى: وهو صحيح بمجموع طُرقه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٩٥) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٧٧٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٩-٣٢) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٦٩) وابن سعد (٣/ ٢/ ١٢٥) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٠).

خروجه إلى اليمن للدعوة ونشر العلم

لقد كان الحبيب ﷺ يضع الرجل المناسب في المكان المناسب فهو يعلم طاقات الرجال من حوله فكان يوظف تلك الطاقات في خدمة الإسلام والمسلمين على أكمل وجه.

وها هو النبي ﷺ يرى جموع قريش تدخل في دين الله أفواجًا، بعد فتح مكة، ويشعر بحاجة المسلمين الجُدُد إلى مُعلِّم كبير يعلمهم الإسلام، ويفقههم بشرائعه، فيعهد بخلافته على مكة لعتَّاب بن أُسيد، ويستبقي معه معاذ بن جبل ليُعلِّم الناس القرآن ويفقههم في دين الله.

ولما جاءت رسل ملوك اليمن إلى رسول الله صلوات الله عليه تعلن إسلامها وإسلام مَن وراءها وتسأله أن يبعث معها من يعلم الناس دينهم؛ انتدب لهذه المهمة نفرًا من الدعاة الهداة من أصحابه وأمَّر عليهم معاذ بن جبل رضي الله عنه [1].

الحبيب ﷺ يودع حبيبه

ولما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى بلاد اليمن خرج النبي ﷺ ليودع مُعاذًا وهو يمشي ومُعاذ راكبٌ على دابته... فأحسَّ النبي ﷺ أن معاذًا لن يراه بعد اليوم فقال له: «يا معاذ! إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري» [2] فبكى معاذ حُزنًا لفراق رسول الله.

وسافر معاذ إلى اليمن يدعو إلى الله ويُعلِّم الناس شرائع الإسلام وبعد فترة يسيرة توفي رسول الله ﷺ قبل أن يرجع معاذ من اليمن فلما عاد إلى المدينة ولم يجد فيها الحبيب ﷺ أحس وكأن روحه قد خرجت من

(١) صور من حياة الصحابة (ص: ٥١٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٣٥)، والطبراني (٢٠/ ١٢١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٤٩٧).

جسده. . . بل أحس بأن الدنيا كلها أظلمت من حوله وجلس يتذكر تلك الأيام التي قضاها في صحبة الحبيب ﷺ يتلقى على يديه العلم ويتعلم منه الرحمة والأخلاق الكريمة التي يندر وجودها في هذا الكون.

وبعد وفاة الحبيب ﷺ تولى الخلافة أبو بكر رضي الله عنه وكان يعرف لمعاذ قدره ومكانته.

وكان معاذ رضي الله عنه سمح اليد والنفس والخُلق.

فلا يُسأل عن شيء إلا أعطاه حتى ذهب جودهُ وسخاؤه بكل ماله.

صفحات مشرقة من جهاده في سبيل الله

لقد كان معاذ بن جبل يحب الجهاد في سبيل الله وكان يتمنى الشهادة من أعماق قلبه فلم يترك أي فرصة يمكن أن تكون سببًا في فوزه بالشهادة إلا اغتنمها.

فكان رضي الله عنه قائد الميمنة في أجنادين، قام في أصحابه فقال: يا معشر المسلمين، اشروا أنفسكم (أي: بيعوا) اليوم لله فإنكم إن هزمتموهم اليوم، كانت هذه البلاد دار الإسلام أبدًا مع رضوان الله والثواب العظيم من الله.

وفي (فحل بيسان) كان رضي الله عنه على ميمنة المسلمين ليُلقّن الناس درسًا في أن أهل العلم هم أقدر الناس على حمل لواء الجهاد والثبات عند الشدائد وفي المكاره.

قال ثابت بن سهل بن سعد: كان معاذ بن جبل يومئذ من أشد الناس علينا حرصًا، وأمضاهم في رقاب الروم سيفًا، فبينما هو يحارب في ميمنة المسلمين إذ أقبلت جنود الروم تحوط عسكر المسلمين فبرز إليهم معاذ بن جبل في رجاله ونادى فقال: «أيها الناس اعلموا رحمكم الله أن الله قد وعدكم بالنصر وأيّدكم بالإيمان، فانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم واعلموا أن الله معكم، وناصركم على عَبَدة الأوثان».

يوم اليرموك

وفي يوم اليرموك كان رضي الله عنه قائد الميمنة، وفي صباح المعركة وقف يخطب في الناس ويقول: يا قُرّاء القرآن ومستحفظي الكتاب، وأنصار الهدى وأولياء الحق، إن رحمة الله لا تُنال... وجنته لا تُدخَل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله عز وجل... ألم تسمعوا قول الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

أنتم إن شاء الله منصورون، فأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين واستحيوا من ربكم أن يراكم فرارًا من عدوكم وأنتم في قبضته ورحمته، وليس لأحدٍ منكم ملجأ من دونه... ولا متعزز، بغير الله»[2].

ولما انقضَّ الروم على الميمنة صاح معاذ: يا عباد الله المسلمين، إن هؤلاء قد تيسروا للشدة عليكم، ولا والله لا يردهم إلا صدق اللقاء والصبر في البأساء. ثم نزل عن فرسه وقال: من أراد أن يأخذ فرسي ويقاتل عليه فليأخذه وآثر بذلك أن يقاتل راجلاً مع المشاة، فوثب إليه ابنه عبد الرحمن بن جبل وهو غلام قد احتلم، فقال: يا أبتِ، إني لأرجو أن أكون أنا فارسًا أعظم غناء عن المسلمين مني راجلاً، وأنت يا أبت راجل أعظم منك فارسًا، وأعظم المسلمين رجالة، وإذا رأوك صابرًا محافظًا صبروا إن شاء الله وحافظوا؟ فقال معاذ: وفقني الله وإياك يا بُني[3].

---

(١) سورة النور: الآية: (٥٥).

(٢) الطريق إلى دمشق (ص ٤٧٢).

(٣) الطريق إلى دمشق (ص ٤٧٦).

إيثار يفوق الخيال

ولم يكن معاذ بن جبل فارسًا في أرض الجهاد فحسب بل كان فارسًا في ميدان الجود والكرم.

فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرسل أربعمائة دينار مع غلام له وقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عُبيدة، ثم تلهَّ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع، قال: فذهب بها الغلام فقال: يقول لك أمير المؤمنين: خذ هذه، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية! اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها فرجع الغلام إلى عمر، وأخبره، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل فأرسله بها إليه، فقال معاذ: وصله الله... يا جارية! اذهبي إلى بيت فلان بكذا، ولبيت فلان بكذا فاطَّلعت امرأة معاذ، فقالت: ونحن والله مساكين، فأعطنا، ولم يبقَ في الخرقة إلا ديناران، فدحا بهما إليها. ورجع الغلام، فأخبر عمر، فسُرَّ بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض[1].

وحان وقت الرحيل

ويهاجر بعد ذلك معاذ رضي الله عنه إلى بلاد الشام ليكمل رسالته العظيمة في تعليم الناس أمور دينهم وشريعة ربهم وسُنة نبيهم ﷺ.

فلما أُصيب أبو عبيدة رضي الله عنه استخلف عمرُ معاذًا رضي الله عنه على الشام ولم يمضِ على ذلك بضعة أشهر حتى لقي ربه مخبتًا منيبًا.

عن أم سلمة أن أبا عبيدة لما أصيب، استخلف معاذ بن جبل يعني في طاعون عمواس، اشتد الوجع، فصرخ الناس إلى معاذ: ادعُ الله أن يرفع عنا هذا الرجز، قال: إنه ليس برجز ولكن دعوة نبيكم، وموت الصالحين

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١/ ٣٠٠-٣٠١) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٧).

قبلكم، وشهادة يخص الله بها من يشاء منكم.

وفي رواية أنه لما نزل الطاعون في جند الشام وهو فيه قال للصحابة: «رحمة ربكم ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، اللهم فآت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة» فما أمسى حتى طُعن ابنه عبد الرحمن وأحب الناس إليه الذي كان يكنَّى به، فرجع معاذ من المسجد، فوجده مكروبًا، فقال: يا عبد الرحمن، كيف أنت؟ فاستجاب له، فقال عبد الرحمن: يا أبت: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[1].

فقال معاذ رضي الله عنه: وأنا ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

فمات من ليلته، ودُفن من الغد[2].

وكان معاذ يقول عند موته: «أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحبًا بالموت مرحبًا زائرًا مغيب، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إن كنت تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكَب عند حِلَق الذكر»[3].

ورحل معاذ رضي الله عنه عن الدنيا وبقي علمه، بل وبقيت سيرته العذبة.

رحل عن الدنيا ليلحق بالحبيب ﷺ في جنات النعيم التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

رضي الله عن معاذ بن جبل وجمعنا به في الفردوس الأعلى.



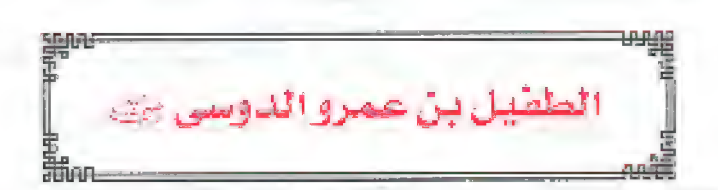
(١) سورة البقرة: الآية: (١٤٧).

(٢) بذل الماعون في فضل الطاعون/ لابن حجر العسقلاني (ص ٢٦٧).

(٣) الزهد للإمام أحمد (ص: ١٨١).

الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه





الطفيل بن عمرو الدوسى رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابى الجليل الذى كان من أهل اليمن وكان سيدًا فى قبيلة دوس فلما أسلم جعله الله سببًا فى إسلام عدد كبير من أهل قبيلته.

إنه الشاعر الكبير إنه ذو النور .... الشهيد أبو الشهيد.

إنه الرجل الذى أسلم على يـديه الصحـابى الجليل أبو هريرة الذى مـلأ الدنيا بعطر حديث النبى ﷺ فكان ذلك فى ميزان حسناته.

إنه الصحابى الجليل الطُّفَيل بن عمرو الدوسى رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

قصة إسلامه

لما بُعث رسول الله ﷺ ظل يدعـو قومه إلى الإسلام والتوحـيد فأبى أكثرهم وأخذوا يعادون النبى ﷺ ويسلطون عليه وعلى أصحابه أشد أنواع الأذى ولم يكتفـوا بذلك بل أخذوا يُحذرون الناس الـذى كانوا يأتون للحج أو التجارة من أن يسمعوا كلام النبى ﷺ.

وفى يوم من الأيام جـاء الطفيل بن عـمرو إلى مكة فلقـيه بعض زعـماء قريش وأخذوا يـحذرونه من أن يسمع كلام النبى ﷺ وقـالوا له: يا طُفيل إنك جئت إلى بلادنا وإنَّا نخشى عليك من هذا الرجل -النبى ﷺ- الذى قد فرق جمـاعتنا وإنما قوله كالسحر يُفرِّق بين الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته فإياك أن تكلمه أو تسمع منه شيئًا.

قال الطفيل: فو الله ما زالوا يكلمونني حتى عزمت على ألا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه... ووضعت قُطنًا في أذني حتى لا أسمعه.

قال الطفيل: فدخلت المسجد فوجدت محمدًا ﷺ قائمًا يصلي عند الكعبة وعلى الرغم من القطن الذي وضعته في أذني إلا أني سمعت بعض ما يقوله فرأيته كلامًا حسنًا فقلت في نفسي: ولماذا تخاف يا طفيل من سماعه فأنت رجل شاعر عاقل تعلم الكلام الحسن من الكلام القبيح فما يمنعك أن تسمع ما يقول.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا فو الله ما زالوا يخوفونني منك حتى سددت أذني كي لا أسمعك ثم أبَى الله إلا أن يُسمعني قولك فرأيته قولاً حسنًا فاعرض عليَّ أمرك.

فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام وتلا عليه القرآن.

قال الطفيل: فو الله ما سمعت قولاً أحسن منه فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت: يا رسول الله إني رجل مُطاعٌ في قومي وأنا راجعٌ إليهم وسأدعوهم إلى الإسلام فادعُ الله أن يجعل لي آية تكون لي عونًا على دعوتهم.

فقال النبي ﷺ: «**اللهم اجعل له آية**».

قال الطفيل: فخرجت من عند رسول الله ﷺ حتى إذا كنت في مكان بين جبلين وقع نورٌ في عيني مثل المصباح. فقلت: يا رب اجعل النور في غير عيني حتى لا يظن قومي أن هذا النور الذي جاء في عيني. إنما هو عقوبة وقعت في وجهي لأني أسلمت وفارقت دينهم.

قال: فتحول النور من وجهي إلى سوطي فكان الناس يرون ذلك النور في سوطي كأنه قنديل مُعلَّق.

قال: وما زال ذلك النور في سوطي حتى وصلت إلى قبيلة دوس

وأصبحت فيهم.

قال: فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخًا كبيرًا قال: فقلت: إليك عني يا أبتِ فلستُ منك ولست مني قال: ولِمَ يا بُني؟ قال: قلت: أسلمتُ وتابعت دين محمد ﷺ قال: أي بني، فديني دينك، قال: فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعالَ حتى أعلمك ما علمت، قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه، قال: ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام، فأسلم.

قال: ثم أتتني زوجتي فقلت: إليك عني، فلست منك ولست مني، قالت: لِمَ؟ بأبي أنت وأمي قال: قلت قد فرق بيني وبينك الإسلام وتابعتُ دين محمد ﷺ قالت: فديني دينك، قال: قلت فاذهبي فتطهري فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلام فأسلمت.

ثم دعوت دوسًا إلى الإسلام فأبطئوا عليَّ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة فقلت له: يا نبي الله، إن دوسًا قد أبت أن تُسلم فادعُ الله عليهم، قال: «اللهم اهد دوسًا... ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم؟» قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق ثم قَدِمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله ﷺ بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأعطانا من الغنيمة.

ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ، حتى إذا فتح الله عليه مكة، قال: قلت: يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفَّين (صنم) حتى أُحرقه.

فخرج إليه فجعل طُفيل يوقد عليه النار ويقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا أقدم من ميلادكا
إني حشوت النار في فؤادكا

قال: ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى مات رسول الله ﷺ فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين؛ فسار معهم حتى فرغوا من طُليحة الذى كان يحارب المسلمين فى حروب الرِّدة.

ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة، فقال لأصحابه إنى قد رأيتُ رؤيا فعبروها لى. رأيتُ أن رأسى حُلق. وأنه خرج من فمى طائرٌ، وأنه لقيتنى امرأة فأدخلتنى فى فرجها، وأرى ابنى يطلبنى طلبًا حثيثًا، ثم رأيته حُبس عنى، قالوا: خيرًا، قال: أما أنا والله قد أوَّلْتُها قالوا: ماذا؟ قال: أما حلق رأسى فوضْعُه، وأما الطائر الذى خرج من فمى فروحى وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالأرض تُحفر لى فأغيب فيها، وأما طلب ابنى إياى ثم حبسه عنى فإنى أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابنى.

فقُتل رحمه الله شهيدًا باليمامة، وجُرِح ابنه جراحة شديدة ثم شُفى منها، ثم قُتل عام اليرموك فى زمن عمر رضي الله عنه شهيدًا.

وهكذا إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا فلن يستطيع الكون كله ولو اجتمع أن يحول بينه وبين ذلك الخير.

ففى الوقت الذى تريد فيه قريش أن يبقى الطفيل على شِركه يريد الله له الإسلام بل والشهادة فى سبيله فكان ما أراده الله (والله غالب على أمره).

ورحل الشهيد وابنه الشهيد ليلحقا بالحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فى جنات النعيم إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

رضى الله عن الطفيل بن عمرو الدوسى وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊



جلیبیب رضی اللہ عنہ



جليبيب رضي الله عنه

حبايبي الحلوين: قال ﷺ: «إن الله تعالى: لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[1].

ونحن على موعدٍ مع رجل لا يملك جمال الخلقة، ولكن يمتلك جمال الخُلق... إنه ليس جميل المظهر، ولكنه تقي السريرة يحمل إيمانًا في قلبه أشد رسوخًا وثباتًا من الجبال.

إنه صحابي جليل من الأنصار الذين جعل الله حبهم سببًا للفوز بمحبة الله جل وعلا.

قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يحب الأنصار رجلٌ حتى يلقى الله إلا لقي الله وهو يحبه، ولا يبغض الأنصار رجلٌ حتى يلقى الله إلا لقي الله وهو يُبغضه»[2].

فالمقاييس البشرية القاصرة تختلف تمامًا عن المقاييس الإلهية، فقد يكون الإنسان مذمومًا في أعين الناس، وهو عند الله من أفضل الناس.

ولذا قال ﷺ موضحًا ذلك: رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه»[3].

وها هو النبي ﷺ يشهد للصحابي الجليل (جُليبيب) بأنه صاحب مكانة عظيمة عند ربه عز وجل.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٣/٤٢٩)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٩٧٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٢) كتاب البر والصلة.

فعن أنس قال: كان رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له جُليبيب في وجهه دمامة، فعرض عليه رسول الله ﷺ التزويج قال: إذًا تجدني كاسدًا فقال: «غير أنك عند الله لست بكاسد»[1].

تلك هي المقاييس الإلهية التي تسقط أمامها مقاييس البشر أصحاب العقول القاصرة والملكات المحدودة.

لقد أسلم (جليبيب) ولامس الإيمان شغاف قلبه فأحسّ بتلك النعمة وتعايش معها في صلاته... في صيامه في قراءته للقرآن في ذكره للرحمن في إحسانه إلى الناس من حوله بل في كل شيء.

فكانت له مكانة عالية وسامقة عند ربه جل وعلا على الرغم من أنه قد لا يمتلك المال أو الجمال، لكنه يمتلك قلبًا يحب الكبير المتعال سبحانه وتعالى.

في الوقت الذي قد نجد فيه أناسًا يمتلكون المال والجمال، بل وأعلى المناصب والدرجات وقد رفعهم الناس إلى أعلى مكانة في قلوبهم مع أنهم في الحقيقة أهون على الله من الدواب والهوام؛ لأنهم لم يشعروا بنعمة الإسلام ولم يتبعوا سيد الأنام ﷺ ولم يؤمنوا بالله جل جلاله.

•ومنذ أن أسلم جليبيب ﷺ أصبح ملازمًا للنبي ﷺ يأخذ من علمه وهديه وأخلاقه ما يتزود به في دنياه وآخرته.

ولقد أحبَّ النبي ﷺ حُبًّا مَلَكَ عليه لُبَّه وفؤاده حتى أنه كان لا يستطيع أن يتأخر لحظة واحدة عن تنفيذ ما يأمره به الحبيب ﷺ.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه أبو يعلى (٦/ ٨٩) عن أنس وقال العدوي: إسناده حسن.

يأبى الله إلا أن يزوجه من الحور العين

فها هو جليبيب رضي الله عنه يريد أن يتزوج امرأة من نساء الدنيا فيأبى الله إلا أن يزوجه من الحور العين.

فقد كان جليبيب رجلاً دميم الخلقة لكنه كان جميل الخُلق فذهب يومًا إلى النبي ﷺ وهو حزين ليشكو إليه همومه وأحزانه فقال له: يا رسول الله لقد شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فهل دمامة خلقتي تمنعني من دخول الجنة؟!.

فقال له النبي ﷺ: «لا».

فقال جليبيب: فلماذا لا يُزوجني أصحابك؟!.

فغضب النبي ﷺ وقال له: «اذهب إلى بيت فلان وقل له: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تُزوجني ابنتك».

فذهب جليبيب إلى هذا الرجل وطرق عليه الباب فلما فتح الباب قال له الرجل بكل شدة: ماذا تريد؟.

قال جليبيب: إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك.

فتبسم الرجل وقال: نعم ونعمة عين.

فقال جليبيب: ولكنه لا يريدها لنفسه.

قال الرجل: فلمن يريدها.

قال جليبيب: إنه يريدها لتكون زوجة لي.

فدخل الرجل ليخبر زوجته بهذا الخبر فقالت: لا والله لا أُزوج جليبيبًا أبدًا.

فقالت الفتاة لأبويها: مَن خطبني إليكما؟

قالا: رسول الله ﷺ.

قالت: أفتردون على رسول الله ﷺ أمره؟ ادفعونى إلى رسول الله فإنه لن يضيعنى.

فذهب أبوها إلى النبى ﷺ فقال: شأنك بها، فزوَّجها جليبيبًا.

فدعا لها النبى ﷺ وقال: «اللهم صُبَّ عليها الخير صبًا ولا تجعل عيشها كدًا كدًا».

فتزوجها جليبيب وذهب لشراء بعض الأغراض لعشِّ الزوجية.

وفجأة سمع منادى الجهاد: يا خيل الله اركبى . . . يا خيل الله اثبتى.

فلم يدخل بزوجته بل ذهب واشترى أدوات الجهاد وخرج ليجاهد فى سبيل الله عسى أن يرزقه الله الشهادة فى سبيله وكان متلثمًا حتى لا يعرفه رسول الله ﷺ فيرده إلى زوجته. . . فلما انتهت غزوة أُحد قال النبى ﷺ لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟».

قالوا: نفقد فلانًا ونفقد فلانًا.

ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟».

قالوا: نفقد فلانًا وفلانًا.

ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟».

قالوا: لا.

قال: «ولكنى أفقد جليبيبًا فاطلبوه فى القتلى».

فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه.

فقال رسول الله ﷺ: «هذا منى وأنا منه، أقتَلَ سبعة ثم قتلوه؟ هذا منى وأنا منه... أقتَل سبعة ثم قتلوه؟ هذا منى وأنا منه».

فوضعه رسول الله ﷺ على ساعديه ثم حفروا له، ما له سرير إلا ساعدى رسول الله ﷺ حتى وضعه فى قبره.

ثم دعا لتلك الفتاة المباركة وقال: «اللهم صُبَّ عليها الخير صبًا ولا تجعل

عيشها كداً كداً، فلم يكن هناك امرأة من الأنصار أغنى منها ببركة دعاء النبي ﷺ لها [1].

وهذا كله ثمرة من ثمرات السمع والطاعة.

وأما عن جليبيب فقد أبى الله إلا أن يرزقه الشهادة في سبيله ليزوجه من الحور العين.

فإنه ما إن سمع منادي الجهاد: يا خيل الله اركبي وكان في هذا اليوم سيدخل على عروسه الجميلة فتركها ولم يدخل عليها وآثر الجهاد في سبيل الله ففاز بالشهادة في سبيل الله تعالى ليزوجه الله من الحور العين في تلكم الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

رضي الله عن جليبيب وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *

(1) رواه أحمد (٤/ ٤٢٢) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.



الفهرس



الفهرس

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عثمان بن عفان رضي الله عنه

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

الزبير بن العوام رضي الله عنه

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

سعيد بن زيد رضي الله عنه

أبو عبيدة بن الجراح

عمار بن ياسر رضي الله عنه

أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه

مصعب بن عمير رضي الله عنه

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

بلال بن رباح رضي الله عنه

أبو العاص بن الربيع

زيد بن حارثة رضي الله عنه

عمرو بن الجموح

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

سعد بن الربيع رضي الله عنه

عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه

أنس بن مالك رضي الله عنه

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

سعد بن معاذ رضي الله عنه

خالد بن الوليد رضي الله عنه

أبو طلحة الأنصاري

عبد الله بن رواحة ﷺ

أبو هريـرة رضي الله عنه

زيد بن ثابت رضي الله عنه

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

حكيم بن حزام رضي الله عنه

خالد بن سعيد رضي الله عنه

أبو ذر الغفارى رضي الله عنه

سلمان الفارسي رضي الله عنه

سراقة بن مالك رضي الله عنه

أبي بن كعب رضي الله عنه

معاذ بن جبل رضي الله عنه

الطفيل بن عمرو الدوسى رضي الله عنه

جليبيب رضي الله عنه

❊ ❊ ❊